



جامعة القادسية للعلوم الإنسانية العالمية

المشكاة

للعالم الإنساني والاجتماعي
مجلة علمية عالمية محكمة

المجلد السادس، العدد (٢) محرم ١٤٤١هـ / أيلول ٢٠١٩م

ISSN 2311-0538



جامعة العلوم الإسلامية العالمية

المشكاة

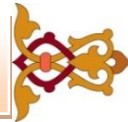
لِلْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ
مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ عَالَمِيَّةٌ مُحْكَمَةٌ

تصدر عن عمادة البحث العلمي في جامعة العلوم الإسلامية العالمية
عمّان/ المملكة الأردنية الهاشمية

المجلد السادس، العدد (٢) محرم ١٤٤١هـ/أيلول ٢٠١٩م



ما ورد في هذه المجلة يعبر عن آراء الباحثين ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير
أو جامعة العلوم الإسلامية العالمية أو سياسة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي





تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

عمادة البحث العلمي - جامعة العلوم الإسلامية العالمية

المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف (+٩٦٢ ٦ ٥٦٠٠٢٣٠) فاكس (+٩٦٢ ٦ ٥٦٠٠٢٣٧)

البريد الإلكتروني: al_mishkat.journal@wise.edu.jo

موقع الجامعة الإلكتروني: www.wise.edu.jo

المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية عالمية محكمة

المجلد السادس، العدد (٢) محرم ١٤٤١هـ / أيلول ٢٠١٩م

رئيس هيئة التحرير

أ. د. هناء محمد الحنيطي

هيئة تحرير المجلة

أ. د. وليد عوجان	جامعة العلوم الإسلامية العالمية
أ. د. عيسى نوري قويدر	جامعة الحسين بن طلال
أ. د. سليم حتامنة	جامعة العلوم الإسلامية العالمية
أ. د. ياسر عبد الكريم الحوراني	جامعة العلوم الإسلامية العالمية
أ. د. محمد بني سلامة	جامعة العلوم الإسلامية العالمية
د. مبارك الطراونة	جامعة العلوم الإسلامية العالمية
د. عبد الرؤوف بني عيسى	جامعة العلوم الإسلامية العالمية
الهيئة الاستشارية	

أ. د. سمير محمود الدروبي	جامعة مؤتة
أ. د. عبد الكريم خليفة	مجمع اللغة العربية
أ. د. عفيف عبد الرحمن	رئيس هيئة التحرير سابقا
أ. د. علي توفيق الحممد	جامعة اليرموك
أ. د. يحيى عطية عابنة	جامعة اليرموك

المحرر اللغوي / اللغة الإنجليزية

د. جبريل السعودي

المحرر اللغوي / اللغة العربية

د. عاطف الدويكات



أمين سر مجلة المشكاة
واخراج العدد

شيماء عبد الكريم خصاونه

فَلَا تُفِرُّوْا كَمَا فِرَّوْا
عَلَى اللَّهِ



مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية عالمية محكمة

قواعد النشر:

- لغة المجلة هي العربية، ويمكن أن تُقبل بحوثٌ باللغة الإنجليزية أو بأي لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.
- يُقبل للنشر في المجلة البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية.
- يُشترط فيما يُقدّم للمجلة أن يكون أصيلاً وليس مقدّماً للمجلة أو أي جهة ناشرة أو أكاديمية. ويتعهّد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث للنشر.
- أن يكون البحث المقدّم خاضعاً لأسس البحث العلمي وشرائطه.
- يُصبح البحث بعد قبوله حقاً محفوظاً للمجلة، ولا يجوز النقل منه إلا بالإشارة إلى المجلة.
- يجوز للباحث إعادة نشر بحثه في كتاب بعد مضي سنتين على نشره والحصول على موافقة هيئة التحرير الخطية على أن يُشار إلى المجلة حسب الأصول.
- يتولّى تقييم البحث محكّمان، ويمكن أن يُرسل إلى ثالث حسب تقرير هذين المحكمين.
- يقدّم الباحث أربع نسخ مطبوعة ونسخة إلكترونية على قرص مدمج (C.D) باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS Word) بمسافات مزدوجة بين الأسطر وهوامش (٥ , ٢)، وعلى وجه واحد من الورقة (A4)، بحيث لا يزيد عدد صفحات البحث على (٤٠) صفحة.
- يكون نوع الخط المستخدم في المتن Simplified Arabic بنط ١٤. أما الحواشي فتكون بالخط نفسه وبنط ١٢.
- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ورتبته الأكاديمية والمؤسسة التي يعمل فيها.
- تحتفظ الهيئة بحقّها في عدم نشر أي بحث وتُعدّ قراراتها نهائية.
- الأبحاث التي لا تُقبل لا تُردّ لأصحابها.
- يترتّب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم، دفع النفقات المالية التي تحملتها الجامعة.
- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون خلال شهر من تاريخ تسلّمه القرار.
- تقدّم المجلة للباحث نسخة من عدد المجلة المنشور بحثه فيه مع عشرين مستلة من البحث.

- يخضع ترتيب الأبحاث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.
- لا يجوز نشر أي جزء من هذه المجلة أو اقتباسه دون الحصول على موافقة مسبقة من رئيس هيئة التحرير.
- الأبحاث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو الجامعة.

تعليمات النشر:

- أن يكتب ملخص للبحث باللغة العربية وآخر بالإنجليزية بما لا يزيد على (١٥٠) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين، بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث، واسم الباحث (الباحثين) من ثلاثة مقاطع مع العنوان (البريدي والإلكتروني) والرتبة العلمية، وتكتب الكلمات الدالة (Keywords) في أسفل صفحة الملخص بما لا يزيد على خمس كلمات، بحيث تعبر عن المحتوى الدقيق للبحث.
- يُشار إلى المصادر والمراجع في متن المخطوط بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (١)، (٢)، (٣)، ويكون ثبتهما في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (٦) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (١)، ولا يُعاد إيراد المصادر والمراجع عند نهاية البحث، ويكون ذكرها للمرة الأولى على النحو الآتي:

الكتب المطبوعة:

- اسم شهرة الكاتب متبوعاً باسمه الأول والثاني وملحقاً به تاريخ وفاته بالتاريخ الهجري والميلادي، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، الناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد - إن تعددت المجلدات - والصفحة. مثال:
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م): الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط ٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٥م، ج ٣، ص ٤٠. ويُشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

الكتب المخطوطة:

- اسم شهرة الكاتب متبوعاً باسمه الأول والثاني وملحقاً به تاريخ وفاته بالتاريخ الهجري والميلادي، واسم المخطوط مكتوباً بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال:
- الكناني، شافع بن علي (ت ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م): الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البودليان بأكسفورد، مجموعة مارش رقم (٤٢٤)، ورقة ٥٠.

الدوريات:

اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي - مدخل"، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م، ص ١٧٩-٢١٦.

وقائع المؤتمرات وكتب التكريم والكتب التذكارية:

- ذكر اسم الكاتب، واسم المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الكتاب كاملاً بالبنط الغامق، واسم المحرّر أو المحرّرين إن كانوا غير واحد، ورقم الطبعة، واسم المطبعة والجهة الناشرة، ومكان النشر، وتاريخه، ورقم الصفحة. مثال: الحيارى، مصطفى: "توطين القبائل العربية في بلاد جند قنسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري"، في محراب المعرفة: دراسات مهداة إلى إحسان عباس، تحرير: إبراهيم السعافين، ط ١، دار صادر ودار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ٤١٧.

- تُكتب الأعلام الأجنبية حين ورودها في البحوث باللغة العربية وتكتب بعدها مباشرة بالإنجليزية محصورة بين قوسين ().

- يُراعى النظام المتبع في دائرة المعارف الإسلامية عند كتابة الأسماء والمصطلحات العربية بالحروف اللاتينية. - تُرسم الآيات القرآنية بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية، وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تحريكها من مظانها.

- تكون المراسلات على النحو الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

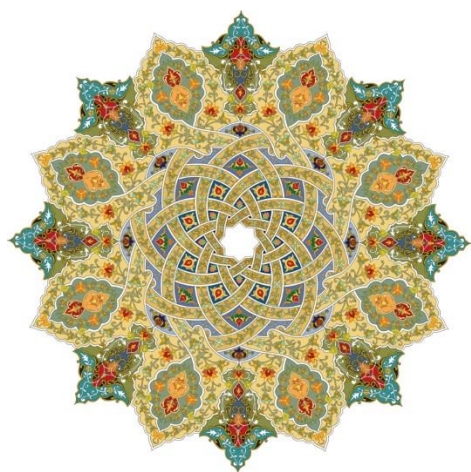
عمادة البحث العلمي / جامعة العلوم الإسلامية العالمية

المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف (٩٦٢ ٦ ٥٦٠٠٢٣٠ +)

البريد الإلكتروني: al_mishkat.journal@wise.edu.jo

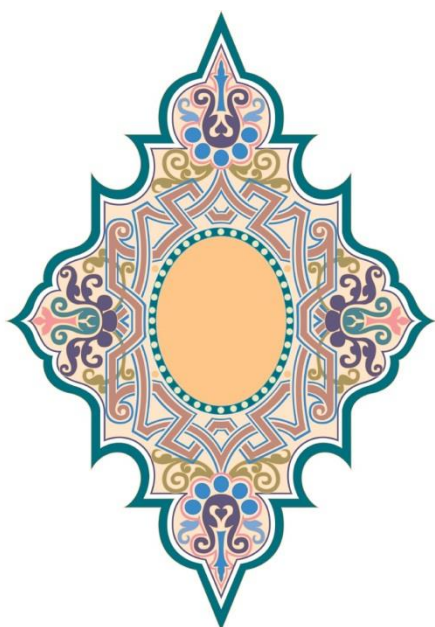
موقع الجامعة الإلكتروني: www.wise.edu.jo



محتويات العدد

(باللغة العربية)

الصفحات	عنوان البحث	الباحث/ الباحثون
٣٥٢-٣١٧	أثر الاعتزال في رؤية النقاد لقضية الإعجاز القرآني	د. عمر صالح صقر شقيرات
٣٧٥-٣٥٣	مظاهر حضور الراوي في قصص الأطفال العربي الحديث	د. موفق رياض نواف مقدادي
٤١٧-٣٧٧	تاريخ الثورة العمانية ١٩١٣م - ١٩٢٠م (الوثائق البريطانية السرية مصدراً)	د. خليل إبراهيم الحجاج
٤٤٦-٤١٩	درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز من وجهة نظر معلميه	د. حسين أبو رياش د. بهجت التخاينة
٤٨١-٤٤٧	التقابل الدلالي في سورة فاطر (مدخل أسلوب بلاغي)	د. عبدالرحمن بن عوض العمري الحربي
٥٢٧-٤٨٣	تصور مقترح لوقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني	د. معلوي بن عبدالله الشهراني
٥٤٩-٥٢٩	تأثير اللغويين المعاصرين بفكر عبد القاهر الجرجاني (ت ١٠٧٨هـ - ٤٧١م)	د. إبراهيم أحمد سلام الشيخ عيد
٥٧٦-٥٥١	ظواهر أسلوبية في شعر سعيد يعقوب ديوان "عبير الشهداء" أمودجاً	د. أحمد غالب الخرشة د. عمر أحمد الربيعات
٦٠٦-٥٧٧	صراع المثقف مع السلطة مجموعات زكريا تامر القصصية أمودجاً	د. بشير عقاب الحجاججة
٦٣٥-٦٠٧	اللجوء السوري وآثاره على البيئة والتنمية في الأردن: (دراسة تحليلية)	د. أدب مبارك السعود.



□ أثر الاعتزال في رؤية النقاد لقضية الإعجاز القرآني

د. عمر صالح صقر شقيرات*

تاريخ الوصول: ٢٠١٩/١/١م

تاريخ القبول: ٢٠١٩/٥/١٣م

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على جهود علماء المعتزلة في تطوير الفكر النقدي العربي وإسهامهم فيه، وإبراز آرائهم في قضية الإعجاز القرآني والمنهج الذي ساروا عليه موافقة أو مخالفة لغيرهم من علماء غير المعتزلة، ويهدف البحث إلى توضيح الغاية التي سعى إليها أصحاب نظرية النظم القرآني كعبد القاهر الجرجاني مما كون عند العلماء، مثل المعتزلة رأياً في قضية الإعجاز ومنهجاً يسرون عليه. وقدم البحث تصوراً عن المراحل والأطوار التي مرت بها فكرة الإعجاز القرآني وتفسيرها عند علماء المعتزلة مبتدئين من مرحلة الإشارات البسيطة، ثم مرحلة الرسائل، وصولاً إلى مرحلة الكتب وهي مرحلة النضج عندهم، وقام الباحث برصد هذه القضية من خلال ثلاثة محاور، إذ تناول الباحث في البداية فكر المعتزلة وأثره في تطوير النقد من خلال تأثرهم بالثقافة الإغريقية واليونانية، وكيف قدموا العقل على النقل وإخضاعه للعقل، واتخاذ الفلسفة منطلقاً في مناظرة ومحاججة الديانات الأخرى اليهودية والمسيحية والفرق الإسلامية مثل: (القدرية، والجبرية، والمرجئة)، وخوضهم في مسألة (خلق القرآن)، الذي أدى إلى تطور في علم البلاغة والنقد، وتأثر علماء من غير المعتزلة بعلماء المعتزلة، كتأثر (ابن قتيبة، وابن طباطبا) ببشر بن المعتمر، وتأثر كل من (ابن المعتز، وابن وهب، وابن سنان الخفاجي، وأبي حيان التوحيدي) بالجاحظ، وتناول الباحث في المحور الثاني اختلاف العلماء من المعتزلة وغيرهم في مسألة الإعجاز القرآني وتحديثهم في مسألة الصرفة واختلافهم في أمرها بين مؤيد ومنكر لها، وحديثهم عن إعجاز القرآن الكريم بالنظم، وعدم توافقه بالقول في إعجاز القرآن الكريم بالأمور الغيبية التي قال فيها كل من (الخطابي، والباقلاني، والراغب الأصفهاني)، وتطرق الرازي للحديث عن الإعجاز القرآني من خلال (الفصاحة، وغرابة الأسلوب، والسلامة من العيوب)، وتناول المحور الثالث تطور فكرة الإعجاز القرآني في فكر المعتزلة، وكان لدراساتهم لعلوم الفلسفة طريق للدفاع عن القرآن الكريم والدين الإسلامي من خلال تقديم الحجج والبراهين عبر ربط كلام الله تعالى بالبلاغة والفصاحة مثل (الكناية، الاستعارة، اللفظ والمعنى، والمتشابه والمحكم)، وكان في خوفهم على سلامة الذوق اللغوي سبب في اهتمامهم لقضية الإعجاز القرآني بعد اختلاط العرب بالأمم الأجنبية. وخلصت الدراسة إلى أن الفكر المعتزلي تشكل من خلال تأثرهم بأفكار وآراء الأمم الأخرى (كاليونانية، والإغريقية، والهندية)، وهذا عمل على إثراء العقول وتفتحها، وإيجاد نزعة عقلية في النقد العربي، وترسيخ مصطلحات ومفاهيم في البلاغة وفي الفصاحة وفي اللغة.

كلمات مفتاحية: الاعتزال، النقد، الإعجاز القرآني

*باحث، وزارة التربية والتعليم/ الأردن.

Abstract

This study aims to identify the efforts of Al-Mutazila in developing the Arab critics thought and their contributions in it, clarify their opinions in the Quranic miraculous issues and the approach they adopted whether agreeing or disagreeing with others. The study intends to examine the objective sought by the adopters of the Quranic Structure Theory like 'Abdul-Qahir Al-Jerjani leading scholars such as Al-Mutazila to formulate their opinions in the miracle issue and the method they followed. This study also presented the stages of the Quranic miraculous view and its interpretation by Al-Mutazila. The researcher discussed this issue through three aspects. Firstly, Al-Mutazila thought and its effect in developing criticism was introduced. Secondly, the study examined the different opinions of Al-Mutazila scholars and others in the Quranic miraculous issue. The third aspect dealt with the development of the idea of the Quranic miracle in the thought of Al-Mu'tazila, and their study of philosophy had a way to defend the Holy Quran and the Islamic religion. The study concluded that Al-Mutazila thought was formulated by being influenced by the thoughts of other nations, like Greek, Latin, Indian, which led to enriching minds and opening them; where a mental tendency in the Arab criticism was established, leading to the consolidation of terms and concepts in rhetoric, eloquence and language.

Keyword: Ietiza'al Critics, Quranic miraculous issue.

المقدمة:

١- كيف نشأت فكرة الإعجاز القرآني
عند المعتزلة وعند غيرهم، وكيف تطورت
إلى أن نضجت؟
٢- هل أثر فكر المعتزلة الذي استمدوه
من فلسفة الأمم الأخرى في تطوير النقد
العربي، وإيجاد مصطلحات جديدة في
النقد العربي؟

كان لفرقة المعتزلة نصيب في
الحياة الفكرية والحياة الثقافية في العصر-
العباسي، وكان لفكرهم وعقليتهم أثر في
إثراء النقد العربي وإسهامهم فيه، وإبراز
آرائهم في قضية الإعجاز القرآني والمنهج
الذي ساروا عليه موافقة أو مخالفة
لغيرهم، وفي هذا البحث سنلحظ ما يلي:

النقل الذي عدَّ في المرتبة الثانية لقوانين العقل يسوسها حيث شاء؛ "لأن الإنسان قادر بعقله على أن يميز بين الحسن والقيح والشر والخير وأن النص يؤكد ما توصل إليه العقل ويزيده تخصيصاً ولذلك أكد المعتزلة أن الإنسان مكلف نزل الوحي أو لم ينزل ما دام الإنسان كائناً عاقلاً قادراً بعقله على الكشف والتمييز بين الحسن والقيح"^(١)، ولقد أكد ذلك علماء المعتزلة في تناولهم لمعظم القضايا في العقيدة وفي الأدب وفي اللغة والبلاغة، وخاصة النقد، فقد روى القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) في المغني عن مكانة القرآن والسنة بالنسبة للعقل، وأنهما بحاجة إلى العقل لتكتمل الصورة عند الإنسان "وقد بينا أن السمع هو الكتاب والسنة ولا يصح معرفة صحتهما إلا مع العلم بأنه تعالى حكيم لا يفعل القبيح فلو لم يكن معرفة ذلك عقلاً لم يصح معرفة السمع البتة... وأنه يمكن التوصل إلى معرفة الله تعالى بأدلة العقل فلا يحتاج في ذلك للسمع"^(٢). ففي كلامه أنه يمكن التوصل إلى معرفة الله تعالى بالعقل دون الحاجة إلى السمع قصور علمي، وترك باب من أبواب العلم التي أمر بها الرسول الكريم ﷺ فمهما أعمل الإنسان عقله في معرفة الله تعالى فلا بد له من السمع كي يكون صورة واضحة تساعد عقله على التفكير والتصور وقبول الآراء والأفكار التي يعمل بها العقل، والفلسفة الشريان النابض عند المعتزلة في تناولهم للقضايا وفي حسن الكلام

٣- كيف كان لثقافة المعتزلة أثر على غيرهم من العلماء في تطوير النقد العربي؟
٤- ما هي آراء علماء المعتزلة مقارنة بغيرهم من علماء غير المعتزلة في قضية الإعجاز القرآني؟
٥- هل وفق علماء المعتزلة من خلال تفسيرهم للإعجاز القرآني أن يطوروا النقد العربي؟
الدراسات السابقة:

تناول بعض الباحثين دراسة أثر فكر المعتزلة في (الأدب والشعر، والنقد، والبلاغة، واللغة)، فقد تناول كريم الوائلي أثر هذا الفكر في كيفية دراسة النص الأدبي، وتحديد المقاييس التي تعالج النص الأدبي والشعري، من ناحية لغوية، وبلاغية، وجمالية، وإيقاعية، ودرس الباحث فالح الربيعي أثر المعتزلة في الأدب العربي الذي تناول فيه نشأة المعتزلة وأبرز مفكرهم، وما هي أهم أسس فكرهم، ومن أين استمدوها، ونظرتهم للعقل، وتأويلهم لآيات القرآن الكريم خاصة صفات الله تعالى، وتناول الباحث أبرز الموضوعات الشعرية التي تطرق لها المعتزلة.

المحور الأول: مصادر الفكر الإعتزالي وأثره في النقد العربي:

قامت المعرفة عند المعتزلة على أساسين: العقل والنقل، وكان لتقديم العقل وصدارته على النقل الأساس الأول في تكوين هذه العقلية المفتوحة، وخضع

حرية التفكير في الإسلام إلى فكر حر جهد المستطاع. وقد رأينا هذه الحركة الفكرية الناشطة تولد من تعارض غلوين متنافيين وكانت هذه اللحظة الجدلية الثالثة في تركيبها غلو الخوارج من جهة وغلو المرجئة من جهة أخرى^(٤)، ولقد وظف علماء المعتزلة كل طاقاتهم الثقافية والفكرية لنشر مذهبهم، فاستخدموا الشعر والخطابة ووصفوا فيهما مصطلحات نقدية أسهمت في تطوير النقد العربي، وقد أثروا في غيرهم من العلماء في زمنهم ومن جاء بعدهم في الفكر النقدي، فكان لدينا من علماء المعتزلة واصل بن عطاء^(٥) (ت ١٣١هـ)، والنظام^(٦) (ت ٢٣١هـ)، والجاحظ^(٧) (ت ٢٥٥هـ)، وعبد الجبار الهمذاني^(٨) (ت ٤١٥هـ)، والزمخشري^(٩) (ت ٥٣٨هـ)، كل له نتاجه الخاص في تطوير النقد العربي أو القول في قضية إعجاز القرآن الكريم.

مصادر الفكر المعتزلي:

كان ولا بد أن يعتمد المعتزلة على خلفية ثقافية لخوض صراعهم مع الفرق والديانات الأخرى، فقد وجد أصحاب الفكر المعتزلي في كتب (اليونان والإغريق والفرس، والهند) الفلسفة ملاذهم وحاجتهم من منطق وحجة للرد على خصومهم بالمنطق والحجة الدامغة، وكان كله تحت غطاء خلفاء بني العباس الذين أحبوا الفلسفة وعلم الكلام والمنطق فقد "سلك المعتزلة جميعاً في دفاعهم عن

والمجادلة، والتغلب على خصومهم من الفرق والديانات الأخرى" وأفادوا من الفلسفة أن نظمت عقولهم تنظيماً منطقياً دقيقاً، وأن جعلتهم يحسنون استنباط الآراء وخصائص الأشياء كما جعلتهم يقتدرون على إيراد الحجج والبراهين وتشعيب المعاني وتقريعها"^(٣) وهذا أدى إلى عدم اعتمادهم على كل ما هو مسلم من القضايا الفلسفية وغيرها، والخوض فيها عقلياً أكثر من الاعتماد على ما تركه الأقدمون، وقد كان فكرهم النقدي الذي نشره في بغداد والبصرة، ثم في أرجاء الخلافة الإسلامية بسبب نفوذهم الفكري والسياسي عند خلفاء بني العباس وأولهم المأمون وآخرهم الواثق سبباً في ظهور الكثير من مصطلحات العقيدة الجديدة - كخلق القرآن - عن طريق إعمال العقل فيها، وهذا أدى إلى وضع الفكر في المقام الأول للوصول لأهدافهم؛ ولذلك عنوا بالعقل والفكر عناية عظيمة، وعملوا على استخدام الثقافات الأخرى؛ كي يظهر مذهبهم على باقي المذاهب، ويسيطر فكرهم - في العقيدة - على العالم الإسلامي، والدفاع عن الدين ضد الفرق الأخرى مثل (القدرية، والمرجئة، والجبرية)، والرد على أصحاب الديانات الأخرى (اليهودية، والمسيحية) إذ يعد "الاعتزال في رأينا نشاطاً كلامياً يتوخى الدفاع عن الدين بتحرير العقل الإنساني من السلطان الخارجي، وإفساح المجال أمامه ليحول

أيدي هذه الطائفة النشيطة من مفكري العربية وتعهدها في أول أمرها المعتزلة الأول عمرو بن عبيد^(١١) (ت ١٤٤هـ) وبشر بن المعتمر^(١٢) (٢١٠هـ) ثم تعهدها في فترة التطور والارتقاء الرماني^(١٣) (٣٨٤هـ) وعبد الجبار (٤١٥هـ) وأمثالهما ورفدتها حتى ازدهرت وبلغت شأنًا بعيداً من النضج والنمو جهود الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)^(١٤)، مثل القول في الإيجاز الذي عدّه الرماني "تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ويكون بالحذف وبالقصر...وهو على وجهين إحداهما إظهار النكتة بعد الفهم لشرح الجملة والآخر إحضار المعنى بأقل ما يمكن من العبارة...والإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، والإيجاز تصفية الكلام من الكدر وتخليصه من الدرن، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير، والإيجاز"^(١٥) أما الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) المعتزلي فقد أثر فيه فكر الاعتزال في نظره للبلاغة العربية، وأوجد مصطلحات نقدية فيها، واستفاد من معرفته ببلاغة الأمم الأخرى "فقليل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الوصل والفصل، وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختصار الكلام، وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة"^(١٦) وقد مزج الجاحظ في أسلوبه العلم بالأدب، فجمع ما شاهده وسمعه وعززه بالآيات

الإسلام المسلك العلمي القدير فترجموا كتب الفرس وقرووها ليردوا عليها من علم وبصيرة، وعندما رأوا (النساطرة واليعاقبة) وغيرهما من الفرق اليهودية والمسيحية قد تسلحوا بالفلسفة الإغريقية في جدالهم رغبوا إلى المنصور أن يترجم لهم كتب المنطق الأرسطي، فاستجاب المنصور لرغبتهم وترجم كتب الطب أيضا...وكتب التنجيم لأنه كان شغوفاً به، وقد أتم المأمون ما بدأ به جده فترجمت في عهده أهم كتب الفلسفة اليونانية"^(١٧)، وقد أدخل علماء المعتزلة هذا الفكر في العقيدة الإسلامية وفي النقد العربي واجدين مصطلحات دينية ونقدية مستمدة من فكر الأمم الأخرى والتي سلاحظها في هذا المحور، وتطورت البلاغة والنقد في كنف الفكر الاعتزالي لما لديهم من علم وانفتاح في الفكر وإعمال العقل، وأدخلوا نظريات أجنبية إلى البيان والنقد العربي، وعالجوا كثيراً من القضايا النقدية العربية بنظرياتهم العقلية الفلسفية دون أن تفقد روحها وأصالتها العربية فكانت هذه المصطلحات التي أدخلوها على البلاغة والبيان والنقد العربي وسيلتهم في فصاحة لسانهم وقوة حججهم للرد على خصومهم وفي تطوير النقد العربي، فنرى أن عدداً من علماء المعتزلة أسهم في نشأة البلاغة وعملوا على رعايتها "فقد نشأت البلاغة في أحضان بيئة المتكلمين - خاصة المعتزلة - وازدهرت وترعرعت في هذه البيئة، ثم مضت تنضج وتتكامل على

القرآنية والشعر، ورأي أهل العلم وهذا واضح في مؤلفاته؛ لأن "كتب الجاحظ كما يدل عليها ما بين أيدينا منها يلتقي العلم فيها بالأدب ولا يقتصر فيها على البراهين النظرية وإنما يستعين فيها بالتاريخ والشعر، وبما يعرف من أحداث، وما جرب هو من تجارب، وفي كتبه يختلط ما تعلم بما سمع بما شاهده بما جرب، فيها كذلك مزج الشعر الجاهلي بالشعر الإسلامي بعلم أرسطو بطب جالينوس (Galen)، كما مزج آيات القرآن الكريم بأحاديث الرسول ﷺ برأي الطبيعيين والدهريين واليهودية والنصرانية برأي الزردشتيين والمناويين"^(١٧).

والدليل على أن الجاحظ صاحب فكر إعلامي اعتزالي أنه في كتاب الحيوان عرض ثقافة العصر العباسي، وتحدث عن الأحوال والعادات، بالإضافة إلى أن كلامه من الحيوان كان حجة يخاصم بها أعداء الإسلام من الملاحدة على قدرة الله، كحديثه عن مساوئ الخنزير وضرره، ومقارنته بالحيوانات الأخرى من حيث الدناءة والخسة^(١٨)، وكما هو معروف عند علماء الكلام فإن استقاء الثقافة من كل حذب وصوب واجب للتدليل على آرائهم، ومن هنا دخل كثير من المصطلحات النقدية وتطورت على أيدي علماء المعتزلة إلى الثقافة العربية من خلال الترجمة ومتابعة علم الكلام الأجنبي (اليوناني، والإغريقي، والفارسي، والهندي) الذي ورد

إلى الثقافة العربية مفيداً بما في هذه الثقافة من مرونة في استقبال وهضم وإنتاج لكثير من المصطلحات النقدية؛ لذلك نرى أن الجاحظ "قد اعتمد في تأليف كتاب الحيوان على مراجع خمسة رئيسة هي: القرآن الكريم، وحديث الرسول ﷺ وكتاب الحيوان لأرسطو، Aristotle، وكلام المعتزلة"^(١٩)، وهذا ما حدا بالجاحظ وغيره من علماء المعتزلة لأن يفيدوا من هذا التنوع في العلوم كي ينتجوا علماً نقدياً واسعاً يحتاجوا فيه خصموهم سواء في علوم الدين والعقيدة، أو في علوم اللغة والأدب، وقد ساعد العصر الذي عاش فيه المعتزلة - خاصة الجاحظ - في صقل موهبته الكلامية بفضل اتصاله "بالثقافة اليونانية عن طريق علماء الكلام، ومشافهته لبعض مترجميها من أمثال (حنين بن إسحاق)، كما أخذ الثقافة الفارسية عن طريق كتب (ابن المقفع)، وتوسع في الثقافات كلها بما كان يقرأه من الكتب التي كانت تصل يده بالإضافة إلى ذلك كانت الرحلة وسيلة أخرى من وسائل استزادته من العلم والمعرفة، فقد كان ينتقل بين البصرة وبغداد وأنطاكية"^(٢٠). وهذا يعطي دليلاً أن الجاحظ ومن كان معه من المعتزلة قدموا العقل والإقناع والجدال مفيدتين من علوم الأمم الأخرى، الذي ساعد على تشكل نواة تطور من خلالها النقد العربي والتعرف على مصطلحات وأفكار جديدة في اللغة والبلاغة. أما أبو العباس الناشئ

أشقى من هؤلاء الشعوبية، ولا أعدى على دينه، ولا أشد استهلاكاً لعرضه، ولا أطول نصباً، ولا أقل غنماً من أهل هذه النحلة، وقد شفى الصدور منهم على طول جثوم الحسد على أكبادهم، وتوقد نار الشنآن في قلوبهم، وغليان تلك المراجل الفائرة، وتسعر تلك النيران المضطربة، ولو عرفوا أخلاق كل ملة، وزى كل لغة، وعللهم في اختلاف إشاراتهم وآلاتهم وشمائلمهم وهيأتهم، وما علة كل شيء من ذلك إلا اختلقوه، ولم تكلفوه لأراحوا أنفسهم، وتحققت مؤنتهم على من خالطهم^(٣٣) "فلنحظ أن الجاحظ ما ترك نقيصة ولا دنيئة إلا ألصقها بالشعوبية ضمن إطار نثري فني متكامل وموجز في الوقت نفسه، ومع ذلك فقد شطح نفر من المعتزلة في فكرهم كالنظام ومن سار على منهجه في آرائهم الذي أثر على معتقداتهم وعلى من حولهم في مسألة العقيدة والتي خالفهم فيها المعتزلة أنفسهم.

ونرى من خلال تطور فكر المعتزلة نتيجة اطلاعهم على فلسفة وعلوم الأمم الأخرى أنهم طوروا الفكر النقدي عند العرب؛ لأنها مدرسة تحمل مزيجاً بين الثقافة الأجنبية والثقافة العربية مع أعمال العقل، وعملوا على إيجاد أفكار ومصطلحات نقدية في البيئة العربية لم تكن معروفة من قبل وأدخلوها للعربية من دون أن تمس بأصالة الشخصية العربية، أو في تصنيع البيان والبلاغة "ففي

(ت٢٩٣هـ) فقد أثر فيه علم الكلام والمناطق في نقده للشعر والشعراء، وقد كان شاعراً "والناشئ الذي تعمق في علوم الفلسفة والمنطق حتى نقض على المناطق في كتبهم، نجد هذه الثقافة الفلسفية المنطقية تمتد إلى حديثه عن الشعر، فهو في نص تبقى لدينا يذكر أن العلم عند الفلاسفة ثلاث طبقات: أعلى، وأوسط، وأسفل، ثم يحاول أن يعلل لعلو كعب الشعر، وكونه من الطبقة العليا من ذلك تعليلاً فلسفياً"^(٣١)، وهذا يعد نقداً للشعر أدخل فيه عنصر الفلسفة في ذلك العصر- الذي يعد بدايات ظهور علم النقد، وهذا دليل على أسبقية المعتزلة في رؤيتهم النقدية المتقدمة في الشعر في أواخر القرن الثالث الهجري.

وهكذا نرى أن المعتزلة قد أفادوا من الثقافات الأخرى، ومن أمور علمية وظفوها في البلاغة والبيان "على أنه ينبغي أن نلاحظ أن المعتزلة حيث طلبوا معرفة آراء الأمم الأجنبية في البيان والبلاغة لم يكونوا يقصدون إلى تمثيلها واعتناقها، إنما كانوا يريدون أن يوازنوا بين آراء الأجانب وآراء العرب في البلاغة والكلام محاولين أن يضعوا للبلاغة العربية قواعدها وقوانينها الذاتية"^(٣٢) مفيدين منها لتقديم الحجج والبراهين لإقناع الخصم وإجماعه، وللدفاع عن القرآن الكريم، والوقوف ضد الملاحدة، والدفاع عن العرب ضد الشعوبية ومن شابهها، فقال الجاحظ: "واعلم إنك لم تر

الجدل والمناظرة، كما أنهم كانوا المنفذ الأول الذي دخل منه الفلاسفة المسلمون إلى الفلسفة اليونانية؛ لأن المعتزلة أول من استعان بالفلسفة اليونانية واستقوا منها في تأييد نزعتهم، فأقوال كثيرة من أقوال النظام وأبي هذيل والجاحظ وغيرهم بعضها نقل بحرفية من أقوال الفلاسفة اليونان، وبعضه دخله شيء من التعديل^(٢٥) ومما رأيناه من نتائج إدخال الفكر الأجنبي وإدخال الثقافة اليونانية والإغريقية على الفكر والثقافة العربية أن هناك تطوراً لمصطلحات نقدية كان اليونان قد قالوا فيها غير أن العرب عملوا على توضيحها وتسهيلها ونشرها لتداول بين الناس، وعملوا على إيجاد وتوليد مصطلحات لم تكن موجودة من قبل، وهذا راجع إلى العقلية المنفتحة التي تأثر بها علماء المعتزلة ودمجها بالثقافة العربية والنقد العربي، فجاءت المصطلحات النقدية التي أوجدوها من رحم الشعر والنقد العربي موفقة وفي مكانها الصحيح خادمة للشعر وللنثر غير مصطنعة، فنرى قول (الناشي) في الشاعر الذي يجمع بين الإيجاز والإطناب والبعد والقرب، وأن يكون مناسباً لواقع الحال:

الشعرَ ما قومتَ زيغَ صدره
وشددتَ بالتهذيب أسرَ متونه
ورأيتَ بالإطناب شعبَ صدوعه
وفتحتَ بالإيجاز عورَ عيونه

البيئة الاعتزالية ولدت كثير من المصطلحات والتعريفات البلاغية كمصطلح (مراعاة مقتضى الحال، وموافقة المقام للمقال)، وربما هي استعارة من أفلاطون (Plotinus) أو أرسطو (Aristotle)... وفي بيئة المعتزلة ولد مصطلح المجاز... وقدم الجاحظ أول تعريف دقيق للاستعارة، والمعتزلة أول من تحدث في موضوعات (الخبر، والإنشاء، والصدق والكذب) لحاجتهم إليها في الجدل والمناظرة... والجاحظ المعتزلي أول من توسع في الحديث عن (الألفاظ، ومخارج الحروف)، وتحدث عن (السرقاات الشعرية)... ووضع الرماني (ت٣٨٤هـ) الإيجاز (القصر)، وأضاف الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في كثافة كثيراً من المصطلحات البلاغية كمصطلحي (الترشيد والتجريد) في الاستعارة... وأذاعوا فكرة تغليب اللفظ على المعنى، أو الشكل على المضمون^(٢٤) وكان لهم الفضل في تأسيس علم الكلام، ووضع أسس له ومقومات، ومواصفات، وعملوا على ربط الفلسفة العربية بالفلسفة اليونانية" ثم أثاروا الفكر وحملوه على البحث ووجهوا نظره على مسائل لم تثر قبلهم، فأثاروا مسائل في الإلهيات كالذي رأيناه في الطبيعيات وفي السياسيات... كما أن المتكلمين وقوامهم المعتزلة قد وضعوا في العربية الأسس التي بني عليها بعد علم البحث والمناظرة، فللمعتزلة الفضل الأول في وضع الأسس الأولى لعلم الكلام، وعلم البلاغة وعلم

فوضعوا لها كلمات عربية^(٢٧) من خلال ترجمة كتابي (أرسطو طاليس Aristotle) (الخطابة، والشعر) متخذين من الاشتقاق، والنحت، والتعريب والنقل والمجاز طريقا لهم في إيجاد هذه المصطلحات النقدية والبلاغية واللغوية، حتى أنهم أوجدوا مصطلحات في كافة المجالات الأخرى مثل (الطب، والهندسة، والمنطق، والفلك)؛ لذلك نرى أن الجاحظ قد اشترط في المترجم أن يكون "بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة... وأن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة، والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية"^(٢٨)، وهذا الموروث الثقافي الممزوج بالثقافات الأخرى كان له صدى عند عدد من النقاد الذين عاصروا علماء المعتزلة ومن الذين جاؤوا بعدهم في أمور اللغة والبلاغة والبيان، حتى في التفسير والعقيدة، فتأثر ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) بمقولة بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ) عن أفضل الأوقات التي تكون في الكلام ووصفها في كتابه الشعر والشعراء، فقال: "وللشعر أوقات يسرع فيها آتيه ويسمح فيها أبيه منها أول الليل قبل تغشي الكرى ومنها صدر النهار قبل الغداء ومنها يوم شرب الدواء ومنها الخلوة في الحبس والميسر، ولهذه العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل الكاتب"^(٢٩)، واستعان ابن قتيبة بالجاحظ بقضية القديم والحديث، وفي الإيجاز والإطناب، وفي قضية اللفظ والمعنى، ففي الإيجاز والإطناب قال الجاحظ: "وللإطالة

وجمعت بين قريبه وبعيده ووصلت بين مجمعه ومعينه فإذا بكيت به الديار وأهلها أجريت للمحزون ماء شؤونه وإذا مدحت به جوادا ماجدا وقيت به بالشكر حق ديونيه فإذا أردت كناية عن رتبة باينت بين ظهوره وبطونيه فجعلت سامعه يشوب شكوكه ببيانه وظنونيه بيقينيه وإذا عتبت على أخ في زلة أدمجت شدته في لينيه فتركته مستأنسا في دماثية مسيئسا لوعوئيه وحزونيه وإذا نبذت إلى التي علقت بها إن صار متك بفاتنات شؤونيه تيمتها بلطيفة ودقيقة وشغفتها بخبيئيه وكمينيه وإذا اعتذرت إلى أخ من زلة واشكت بين محيله ومبينه^(٣٠).

ولقد اجتهد المتكلمون المعتزلة في المزج بين الثقافات والتعديل على ما يرون أنه يحترم وجهات نظرهم وآراءهم في النقد وغيره "كذلك كانوا صلة بين الفلسفة اليونانية والأدب، فقد تثقفوا ثقافة يونانية وتثقفوا ثقافة عربية من لغة وأدب، ومزجوا الاثنين مزجا تاما، ورأوا معاني يونانية واسماء يونانية

الإغريقية واليونانية، إذ يصف عمر فروخ كتاب الحيوان للجاحظ أنه شديد التأثير بالفيلسوف أرسطو، حيث "اعتمد الجاحظ في هذا الكتاب اعتماداً كبيراً على كتاب الحيوان لأرسطو في كثير من الأمور"^(٣٢)، وكان من أثرهم في اللغة أن وضعوا دلالات وتعريفات في نشأة اللغة ووظيفتها، فعرف ابن جني (ت ٣٩٢هـ) اللغة "أصوات يعبر كل بها كل قوم عن أغراضهم"^(٣٣)، وأسهم ابن جني في وضع كتب في الحرف ودلالاته، والأصوات ووظيفتها، وبسبب هذا العمل والأسلوب الذي اتبعه المعتزلة في إثراء ثقافتهم أصبحوا يدققون في الجزيئات الصغيرة، والتوسع في شرح المواضع، والاستطراد، والابتكار، والإبداع، وهذا شمل مجال النقد، فأوجدوا قوانين ومصطلحات تحكم الشعر والنثر، والبلاغة، إذ "يتسع الحديث عن الدور الإيجابي الذي لعبه المعتزلة في دفع مسيرة وتطور الأدب العربي إلى الأمام خصوصاً في مجال النثر، فإليهم يعزى الفضل الأول في نضج وتطور الدراسات البلاغية مما يشمل عليه من الأساليب المثلى في المجادلة والمناظرة، والموضوعات الخاصة بعلم البيان، والمباحث البلاغية المتعلقة بإعجاز القرآن، والدراسات النقدية"^(٣٤) فرى أن الجاحظ قد استخدم (المجاز والتشبيه) للتعبير عن صنوف متعددة من معاني الأكل، وتوسع فيها، فورد في باب (المجاز والتشبيه بالأكل): قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ

موضع وليس بذلك بخل، وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز...ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام"^(٣٥)، واستفاد ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) من بيان الجاحظ في كتابه البديع، واستعار مصطلح (المذهب الكلامي) واستفاد ابن طباطبا (ت ٢٢٣هـ) من كلام بشر بن المعتز والجاحظ عن مشكلة الألفاظ للمعاني، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، أما أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) فقد جمع تعريفات الجاحظ وشرحها وعقّب عليها، وفي كلامه عن الخطيب وأسلوب الخطابة، وتأثر ابن وهب بآراء الجاحظ في الخطابة وفي الخطيب، أما الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) فقد أخذ فكرة نظم القرآن، وأفاد كل من أبي حيان التوحيدي (ت ٣٨٠هـ) وابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) من قضية تلاؤم الألفاظ والحروف عند الجاحظ وقضية المتنافر والمتلائم، وعن الوحشية والقراصة وغيرها"^(٣٦) ومن هذا الموروث نرى أن مدرسة المعتزلة هي مدرسة كلامية عقديّة نقدية عملت على تطوير النقد، حيث اكتسب النقد العربي ثروة من المصطلحات والآراء الفلسفية النقدية في الشعر والخطابة، ووضع أسس ومعايير يقيس بها الناقد العربي المستوى الشعري والنثري للأديب التي استمدوها من الأصول

العظيم حتى يصغر، ويبلغ به الاقتدار إلى أن يعمل الشيء ونقيضه، وبحجج لفضل السودان على البيضان، ونجده يحتج مرة للعثمانية على الرافضة، ومرة لليزيدية على العثمانية وأهل السنة، ومرة يفضل علياً عليه السلام ومرة يؤخره ^(٣٦)، أما في مجال الوصف أدخل النقاد المعتزلة عدداً من الظواهر الوصفية في النثر العربي التي لم تكن معهودة تماماً فادخلوا الوصف بنوعيه الحسي والمعنوي، وقد تميز وصف المعتزلة بالدقة واستيعاب التفاصيل والخيال الخصب، والصور البلاغية والبيانية والبديعية، والإطناب، وكذلك وصفهم للمفاهيم والحقائق المعنوية (كاللذة، والألم، والسعادة، والشقاء، والعشق، والخوف، والجبن، والكرم، والبخل) وهذه النزعة الكلامية هي التي دفعتهم إلى أن يعالجوا كل ما له صلة بعالم المعاني في نثرهم؛ لذلك لم يكن هذا الاتجاه الوصفي في النثر العربي شائعاً قبل القرن الرابع الهجري ^(٣٧) وأدخل النقاد المعتزلة أسلوب التهكم والسخرية إلى الأدب العربي بأسلوب مرح فيه روح الدعابة، حيث "إن السمو العقلي الذي اختصت به المعتزلة قد عكس على نفوسهم طائفة من الصفات الخلقية التي من أبرزها الحرية العقلية، والنظر إلى عامة الناس نظرة تشوبها روح التهكم والسخرية" ^(٣٨)، فعبروا عن السخرية وغطوها بقالب من المدح، وهذا واضح في رسائل الجاحظ خاصة رسالة الترييع

أموال اليتامى ظلماً، وقوله تعالى: ﴿أَكَالُونَ لِلْسَحْتِ﴾، وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الحلل، وركبوا الدواب، ولم ينفقوا منها درهما واحداً في سبيل الأكل، وقد قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾، هذا مجاز آخر، وقال الشاعر في أخذ السنين من أجزاء الخمر:

أكل الدهر ما تجسم منها

وتبقى مصاصها المكنونا

وقال الشاعر:

مرت بنا تختال في أربع

يأكل منها بعضها بعضاً ^(٣٩).

ومن آثار الفكر الاعتزالي والنزعة الكلامية التي استقاها من الأمم الأخرى في النقد العربي وذكر الشيء ونقيضه، والوصف والتهكم والسخرية، وإدخال الموضوعات العلمية والفلسفية في مجال النقد، فمن آثار الاعتزال في نثر المعتزلة أننا نرى أدباءهم كثيراً ما يتحدثون في نثرهم عن موضوعات يوحي تأثرهم بالنزعة الكلامية والعقلية كالحديث عن الشيء ونقيضه، وهذا واضح عند علماء المعتزلة خاصة الجاحظ، فقال ابن قتيبة عنه "ثم نصير إلى الجاحظ وهو آخر المتكلمين والمعايير على المتقدمين، وأحسنهم للحجة استشارة وأشداهم تلطفاً لتعظيم الصغير حتى يعظم، وتصغير

والتدوير التي تطرق فيها للسخرية من خلال المدح إذ أبرز المدح وأراد الهجاء، ومن ذلك رسالته إلى أحمد بن عبد الوهاب^(٣٩).

والملاحظ أن علماء المعتزلة أوجدوا قوانين تحكم النصوص النثرية، حتى أنهم أوجدوا طرقاً بلاغية منظمة في التعامل مع كيفية صياغة أسلوب السخرية والتهكم ضمن إطار بلاغي مطور، وهي من البدايات الموفقة في تطوير النقد العربي، كما هو عند الجاحظ في رسائله ومن خلال كتابيه البيان والتبيين والحيوان التي عالج فيها مواضيع دينية واجتماعية وسياسية، وتطرق لطبائع الناس والحيوان والنبات وصفاتهم، وحديثه عن الأجناس والأعراق والعرب والعجم والنحل، ودفاعه عن العرب وتصديه للشعوبية ضمن إطار نثري يحمل طابع الجد مرة وطابع السخرية مرة أخرى مدعم بالحجج والدلائل من الواقع الذي يعيشون فيه، كحديث الجاحظ عن البخل والبلاء ضمن إطار نقدي اجتماعي ساخر. وأفاد المعتزلة المجال النثري حين أسسوا وقعدوا للخطابة عندما تعمقوا في المعاني وفي الألفاظ وتشعبوا في المواضيع في سبيل الإقناع، وفي إيجاد فن (الجدل) خاصة في دفاعهم عن العقائد الذي برع فيه كل من (النظام، وثمامة بن أشرس، والجاحظ، وأحمد بن أبي داود)، "ولعل الخدمة الكبرى التي أسداها المعتزلة إلى الأدب

العربي وخصوصاً في جانبه النثري تتمثل في إخفاء العمق والتشعب عليه من خلال ذلك المزج الرائع الذي قاموا به بين الأسلوب الكلامي والعقلي والفلسفي في تناول وطرح القضايا والموضوعات المختلفة بين النثر الأدبي بطابعه الفني"^(٤٠)، وقالوا في الكلام وطبيعته ووضعوا له قواعد وأحكام لغوية حسب التفكير الاعتزالي، وقد اختلفوا فيما بينهم في تحديد طبيعة الكلام "إن الفرضية الاعتزالية الكبرى في النظر إلى الكلام ومن ثم النظر إلى اللغة بدأت من تحديد الطبيعة الصوتية للكلام الأمر الذي قادهم إلى أن يضعوا أحكاماً لغوية متعددة على وقف هذا الافتراض الذي أصبح مسلمة من مسلمات التفكير الاعتزالي على الرغم من وجود بعض الخلافات بين شيوخهم في هذا الشأن، فمنهم من يحدد الكلام بالصوت، ويعدّه جنساً صوتياً شريطة أن يكون هذا الصوت مقطوعاً منظوماً كما هي الحال عند عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ) وهو أمر طبع التفكير الاعتزالي على نحو عام بطابعه متمثلاً بالحروف"^(٤١) بذلك يكون المعتزلة قد ألموا بمعظم العلوم اللغوية وغير اللغوية حتى أنهم عملوا على تداخلها حتى يفيدوا منها في كل مجالات حياتهم؛ لذلك كانت لهم السيطرة والنفوذ عقود من الزمن في ظل حكم بني العباس الذين احتضن معظم خلفائهم فكر المعتزلة وعملوا على بث ثقافتهم في المجتمع العباسي.

واستشرفهم لكل ناعر، ومرهج، على الإسلام وأهله، وأخذ الشاعر - وأنى له هذا الاختصار - فقال:

ولو أنها عصفورة لحسبتها

مسومة تدعو عبداً وأزماً

يقول: لو طارت عصفورة لحسبتها من جنبك خيلاً تدعو هاتين القبيلتين، وهذا في القرآن أكثر من أن نقتضيه^(٤٥)، ففي قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ عامة وشاملة وموجزة في الوقت نفسه من خلال تنكير كلمة (صيحة) التي تضم كافة أنواع الصيحات، ونرى أنه رد على النظام في مسألة (الصرفة) بقوله: "وكان لمحمد ﷺ الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؛ إلى سائر أعلامه زمن البيان، فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاماً في النكاح أو حمالة أو تحضيض، أو صلح، أو ما شابه ذلك لم يأت به من واد واحد، بل يفتن فيختصر تارة إرادة التخفيف، ويطيل تارة إرادة الإفهام"^(٤٦). فالصرفة التي ادعاها النظام لم تصح كون العرب قد كان لهم سيط في البلاغة والفصاحة وقوة المنطق في المحاجة، لكن القرآن الكريم فاقهم بلاغة وفصاحة وإعجازاً في تناغمه وبلاغته ونطقه في تقديم الحجج والبراهين وفي

المحور الثاني: آراء علماء غير المعتزلة في الإعجاز القرآني

لم يكن الرأي الوحيد والنهائي في قضية إعجاز القرآن للمعتزلة، بل كان لأهل السنة وللأشاعرة رأي موافقين حيناً ومخالفين حيناً آخر، وكان بعضهم من وافق أو من خالف الرأي قد رد على أصحاب الاعتزال في هذه القضية، فمن العلماء الذين قالوا في قضية الإعجاز، ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) صاحب كتاب تأويل مشكل القرآن، إذ أورد في كتابه أن القرآن الكريم معجز في بديعه ونظمه حين قال: "وقطع منه بمعجز للتأليف أطماع الكائدين، وإبانة بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله مثلواً لا يمل على طول التلاوة، ومسموعاً لا تمجه الأذان"^(٤٧) وتكلم عن نظمه الرفيع وجماله الفريد، وعلى أنه جامع لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ، وهذا قول ﷺ (أوتيت جوامع الكلم) إذ علق ابن قتيبة على ذلك من خلال قوله تعالى إذا ذكر الأرض: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا﴾ فهنا دلالة على جميع ما أخرج بشيئين^(٤٨)، ويذكر ابن قتيبة أمر الإعجاز على أنه نوع من الإعجاز "ثم يقارن بين إعجاز النظم القرآني والإعجاز في سائر نظم الكلام، ويظهر تفوق الأول على الثاني"^(٤٩) فيقول ابن قتيبة إثباتاً لهذا الأمر من خلال قوله تعالى في المنافقين: (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو) فدل على جنبهم

واهتم الخطابي (ت ٣٨٨هـ)^(٥٠) في مسألة الإعجاز عبر قراءته ومتابعته آراء من قبله وقد عاب عليهم التقليد من دون أن يلجوا في تفاصيل الإعجاز، فدرس مسألة الصرفة، فقال: "قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديماً وحديثاً وذهبوا فيه كل مذهب من القول وما وجدناهم بعد صدوداً عن ري، وذلك لتعذر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته"^(٥١) فهو يخالف المعتزلة وخاصة النظم في أمر الصرفة، إذ "ذهب قوم إلى أن العلة في إعجازه، أي صرف الهمم عن المعارضة وإن كانت مقدوراً عليها، وغير معجزة عنها"^(٥٢) ويرفض الخطابي أن يكون الإعجاز في الأمور الغيبية "وزعمت طائفة أن إعجازه فيما يتضمنه من الإخبار عن الكواكب في مستقبل الزمان نحو قوله سبحانه: ﴿مَّ غُلِبَتِ الْأَرْضُ ۚ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَّغْلِبُونَ﴾، قلت: ولا شك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها، فقال: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ من غير تعيين، فدل على أن المعنى فيه غير ما

تقديم المنطق والحقائق التي كانت في عصرهم وعصور ما قبلهم وفي الأمور الغيبية، ويقر ابن قتيبة أن القرآن الكريم معجز بالنظم إذ "إنه من الممكن إدراك سر الإعجاز النظم القرآني وتفوقه على سائر النظم، وذلك يكون بالذوق الأدبي القائم على التربية الأدبية السليمة التي عمادها فهم ودراسة اللغة العربية وآدابها، ومعرفة علوم العرب، وفهم مذهبهم وتفنيهم في الأساليب، ومختلف ضروب الكلام"^(٥٣). من هنا نلاحظ التوافق بين ابن قتيبة والجاحظ في مسألة النظم في أنه وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وفي أنه متوافق في اللفظ والمعنى.

وكان لأبي حيان التوحيدي (ت ٣٨٠هـ)^(٥٤) وهو من شيوخ الصوفية رأي في مسألة الإعجاز، ولكن رأيه كان مجملاً غير مفصل "فالرأي الذي يذهب إليه (أبو حيان) في إعجاز القرآن هو أن القرآن معجزة في ذاته، فلا يمكن أن يقال: أين المعجزة فيه أو منه؟ فكأن القائل بهذا يقول: أين المعجزة في المعجزة؟ أو أين الإنسان في الإنسان؟"^(٥٥) فكأن أبا حيان لا يريد الخوض في مسألة الإعجاز على التفصيل، ويظن الباحث أنه لا يريد أن يدخل في متاهات المتكلمة، بل يريد أن يجمع القرآن كله بما فيه من إعجاز بشكل عام دون أن يستثني إعجازاً عن إعجاز آخر.

المجال، لكنه وافق أهل الاعتزال ان القرآن معجز بألفاظه ومعانيه؛ لما فيها من رونق وتنظيم وحسن ترتيب وسلاسة في المفردات يستطيع القارئ تقبلها ويستطعمها في كل الأحوال والأزمان، وهي ألفاظ جاءت ضمن نظم محكم إشارة إلى مسألة القول إعجاز القرآن بالنظم.

في حين كان للراغب الأصفهاني (ت ٣٩٦هـ)^(٥٦) رأي بالإعجاز حين رأى أن الإعجاز كائن في الأمور الغيبية بأي لغة كانت، فالكلام عند الأصفهاني ليس من جانب الأمور الإعجازية "ولا هما هو في القرآن من المعارف الإلهية، وبيان المبدأ والمعاد، والإخبار بالغيب سواء كان هذا بالنظم أو بغيره مؤدى باللغة العربية أو بلغة أخرى بعبارة أو إشارة"^(٥٧) ويؤكد الراغب الأصفهاني أن مسألة النظم من مسائل الإعجاز، وعلى أن هذا النظام الذي جاء به القرآن الكريم لم يألفه العرب "وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام، ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه"^(٥٨) ونفهم من كلام الراغب الأصفهاني أن العرب لم يألفوا هذا النوع من النظم، وأنه مخالف لما عداه، فالعرب كان لهم باع في قضية النظم، وما جاء به القرآن الكريم من أسلوب منسق عن طريق فواصل الآيات، ورصف الكلمات لتبدو في أبهى صورة كان جديداً على العرب، وهم أهل البلاغة والبيان.

ذهبوا إليه"^(٥٩) مع ذلك يرى الباحث أن تطرق القرآن الكريم للأمور الغيبية وإن كانت غير متتالية فيه تعد من الإعجاز الغيبي الذي أبهر العالم قديماً وحديثاً من خلال اكتشاف توالي الأحداث التي تحدث عنها كتاب الله تعالى، ويرى الخطابي أن الإعجاز كائن في بلاغة القرآن في اللفظ والمعنى، يقول: "وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً أشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، أما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في انواع الكلام، أما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، الذي أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً"^(٥٤). ويعلق الخطابي على إعجاز القرآن بقوله: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمناً أصح المعاني"^(٥٥). إذا الخطابي ينكر أشياء في القرآن ويثبت أخرى، فهو ينكر أمر الصرفة وإن كان أهل العقل - أعني المعتزلة - قد قالوا فيها، وينكر أمر الإعجاز بالأمور الغيبية؛ لأن فيها تعمقاً في أمور الله الذاتية، وفي أمور سوف تخرج عن نطاق العقل؛ لذلك أقصر الخطابي في هذا

في القرآن الكريم نوعاً جديداً لم يألفوه من قبل لا في الشعر ولا في النثر، وهذا يؤكد أن أمر الصرف التي نادى بها (النظام) ومن أيده ليست من الصحة بشيء، بل هو عجز وعدم قدرة من الخلق على مجازاة كلام الخالق، وفي هذا يكون الإعجاز في (النظم) من خلال كتاب أنزل على نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب.

أما عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ)^(٦١)، فقد أبدى رأياً في مسألة الإعجاز القرآني فكتب (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة)، ووضع نظرية النظم، التي استقلها لتكون أحد مجالات إعجاز القرآن الكريم، وقد كان لاتباعه المذهب الشافعي، وتأثره بعلماء الاعتزال أثر في رأيه في قضية إعجاز القرآن الكريم، الذي رأى في نظمه مجال إعجازه "فما هذا الذي تجدد بالقرآن من عظيم المزية، وباهر الفضل، والعجيب من الرصف، حتى أعجز الخلق قاطبة، وحتى قهر من البلغاء والفصحاء القوي والقدر، وقيد الخواطر والفكر، حتى خرست الشقاشق، وعدم نطق الناطق، وحتى لم يجر لسان ولم يبن بيان، ولم يساعد إمكان، ولم ينقذح لأحد منهم زند، ولم يمض له مدة حتى أسأل عليهم الوادي عجزاً، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاً"^(٦٢)، وكان عبد القاهر متذوقاً للعلوم الأدبية من نحو وبيان، وفصاحة، وغير ذلك، ولما تمكن من ذلك دخل في قضية إعجاز القرآن، إذ "كانت تشغله

وكتب الباقلائي (ت ٤٠٣هـ)^(٥٩) - وهو من علماء أهل السنة والجماعة أشعري المذهب - في الإعجاز القرآني حماية للدين ولكتاب الله، وقد عدَّ الإعجاز في أخبار الغيب التي أخبر القرآن عنها قبل حدوثها، وفي الإخبار عن الأمم الماضية مع أمية ﷺ وفي نظمه البديع، ويقدم هذا الإعجاز على غيره لما له مساحة واسعة في كتاب الله تعالى^(٦٠) ويعلق الباقلائي على روعة وبلاغة القرآن وبديعه "وقد بينا في نظم القرآن أن الجملة تشتمل على بلاغة مفردة، والأسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف، ثم الخواتم والمبادئ، والطوالع، والمقاطع، والوسائط، والفواصل، ثم الكلام في نظم السورة والآيات، ثم في تفاصيل التفاصيل، ثم في الكثير والقليل، ثم في الكلام الموشح والمرصع، ثم الخروج من فصل إلى فصل، ووصل إلى وصل، ومعنى إلى معنى، والجمع بين المؤتلف والمختلف، والمثقف والمنسق، وكثرة التعرض، وبلاغة القول، وذلك كله من التعسف، وخروجه عن التعمق والتشوق، وبعده عن التعمل والتعسف، والألفاظ المفردة، والإبداع في الحروف والأدوات، كالإبداع في المعاني والكلمات، والبسط والقبض، والبناء والنقض والاختصار، والشرح والتشبيه والوصف، وتمييز الابتداء، كتمييز المطبوع عن المصنوع، والقول الواقع عن غير تكلف ولا تعمل "وهذا ما أبهر العرب على ما عندهم من بلاغة وفصاحة ومنطق الكلام، إذ رأوا في هذا التشكيل المتكامل

إلى ما يستطيعونه ويقدرّون عليه في ضروب النظم وأنواع التصرف، فاته الفوت الذي لا ينال، وارتقى إلى حيث لا تطمع إليه الآمال فقد وجب القطع أنه معجزة^(٦٦)، فالجرجاني وجد خير دليل لنظريته التي قال بها، وهي النظم، فكان القرآن الكريم هو مجال التطبيق الأفضل عنده، لما فيه من روعة النظم، وتآلف اللفظ والمعنى، ومكانة اللفظ الصحيح في المكان الصحيح، فكان كأنه الدرر المنظومة والقلائد المرصوفة.

وقدم الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)^(٦٧)، آراء بسيطة في مسألة الإعجاز، إذ أخرج نفسه من هذه القضية، فيقول: "إن وجه الإعجاز في القرآن: الفصاحة، وغرابة الأسلوب، والسلامة من العيوب"^(٦٨)، فنلاحظ هنا أنه لم يفصل في مسألة الفصاحة، ولا كيف يكون الأسلوب غريباً، ولم يذكر العيوب التي يجب تجنبها من ناحية إعجازية، إذ فسر القرآن بعد أن خلط العقل بالنقل، مع أنه سني أشعري، فنلاحظ أنه خالف المعتزلة وغيرهم "...فيظهر في تفسيره بصورة واضحة جدله الطويل العميق مع المعتزلة في عقائدهم الكلامية، كما يذكر كثيراً من علماء المعتزلة كالقاضي عبد الجبار، وأبي هشام، وأبي مسلم، وغيرهم"^(٦٩) وقد تأثر الفخر الرازي بالقاضي عبد الجبار في أمور البلاغة في علم المعاني "ففي مباحث علم المعاني يتحدث عن التكرار، والتطويل،

قضية (إعجاز القرآن) التي هي جزء من أجزاء علم الكلام، وجزء مما اختلف فيه المختلفون من المتكلمين، وكتب عبد القاهر (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وبعض رسائله) وكلها تدل على أنه لم يفته شيء مما قاله الجاحظ، وأبو عبد الله الواسطي، والرماني، والخطابي، والباقلاني، وعبد الجبار، فوقف على ألفاظ الجاحظ الموحية المثيرة، التي كان ينعت بها ما يجده بنفسه من تذوق للقرآن، واستوعب ما زاد عليه فيها الباقلائي، وهو يحاول أن يكشف الإبهام عن معنى البلاغة"^(٦٣) وعمل الإمام عبد القاهر على إيضاح معنى البلاغة عند الباقلائي وتصحيح ما جاء به القاضي عبد الجبار من آراء فاسدة "فالفقرة الأولى دالة على أن كلام الخطابي في إبهام البلاغة كان يشغله ويهمه، والفقرة الثانية تشير إلى محاولة القاضي عبد الجبار على كشف الإبهام، وما في محاولته من عيب فضلا عن بعض أقواله الفاسدة التي أشار إليها عبد القاهر في مواضع من كتابه"^(٦٤)، ويؤكد الإمام عبد القاهر أن النظم هو الإعجاز، ونلاحظ أن "عبد القاهر نظر فرأى أن الشيء الذي يوجد في جميع سور القرآن هو بلاغة النظم، فإن تلك البلاغة تتحقق في أقصر- سور القرآن كما تحقق في أطول سورة"^(٦٥)، ويقول في دلائل الإعجاز "وإن رأينا الأحوال والأقوال منهم قد شهدت كالذي بان باستسلامهم للعجز وعلمهم العظيم من الفضل البائن في المزية الذي إذا قيس

فالقُرآن كما وصفه ابن البناء المراكشي خال من العيوب بعيد عن التعقيد يفهمه العامي البسيط بعلمه والعالم المتعمق بدراسته يجمع بين الألفاظ والأسلوب وحسن ترتيبها وبلاغتها وفصاحتها ومناسبتها لمقتضى الحال من دون تعقيد ولا غرابة، وتقدم الزملكاني (ت ٧٢٧هـ)^(٧٤) برأي في الإعجاز فخصه في اللفظ والمعنى، فقال: "...فإن وجه الإعجاز عنده راجع إلى التأليف الخاص، لا مخلق التأليف بأن اعتدت مفرداته تركيباً وزناً، وعلت مركباته معنى وبأن يوقع كل من في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى"^(٧٥) ولكن الزملكاني لم يتوسع في شرح الإعجاز، بل قدمه في اختصار، ولم يقرر وجوه الإعجاز بشكل مفصل "...بينما طرقت في (البرهان الكاشف) طرقاً خفيفاً في صفحات معدودات، ولم يقرر الزملكاني وجوه الإعجاز حق التقرير، ولم يفصلها إنما جاء بها مسرورة مختصرة، حتى أن كلامه كان محتاجاً إلى شرح وبيان"^(٧٦)، وأشرك السيوطي (ت ٩١١هـ)^(٧٧) نفسه في مسألة الإعجاز القرآني، وهو من أئمة أهل السنة والجماعة، عندما درس كتب الأقدمين في الإعجاز القرآني، وحاول التوفيق بين ما قاله وبين ما قالوه، ورفض أوجه الإعجاز الأخرى، وأسهم في توضيح وجوه الإعجاز السابقة المبهمة على الناس، وأورد أوجه جديدة لم يتطرق لها من كان قبله من الأوجه، فزى أنه بحث، في المتشابه في الآيات، وفي البحث في الأدلة

والتأكيد، والحذف، ففي مقام التكرار والتطويل عقد فصلاً في بيان فساد طعنهم في القرآن من جهة التكرار والتطويل في كتابه نهاية الإيجاز"^(٧٨)، وركز على الفصاحة كوجه للإعجاز، وجعل ذلك في جل كتابه "والمأمل لما أراه الإمام من إطلاقه الفصاحة يعلم أنه أراد بها الفصاحة والبلاغة والنظم، وليس الفصاحة بالمعنى الاصطلاحي التي تتعلق بجمال الألفاظ وسلاستها فحسب، كيف لا والكتاب إنما هو اختصار لكتابي الجرجاني المؤصل لنظرية النظم"^(٧٩) فاجتماع كل من الفصاحة والبلاغة والنظم بشكل متكامل في كتاب الله يجعله كتاب كما قال تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وأسهم ابن البناء المراكشي (ت ٧٢١هـ)^(٨٠) في مسألة الإعجاز عبر دراسته لبيان القرآن الكريم، وأن هذا البيان لا يختصر على الألفاظ، والأسلوب، إنما "الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكير في علم البيان، وهو ما يتحرز به عن الخطأ في تأدية المعنى، وعن تعقيده، ويعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال؛ لأن جهة إعجازه ليست مفردات الألفاظ، وإلا لكانت قبل نزوله معجزة، ولا مجرد أسلوبه وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً، وكان هذان مسيلمة معجزة"^(٨١)

نرى أن السيوطي قد توسع في مسألة الإعجاز القرآني ليركزها في البيان والفصاحة والبلاغة من خلال التوسع من خلالها وربط بعضها ببعض، كي يوجد من خلالها حججاً يرد بها على من ينكر بلاغة القرآن وفصاحته، والرد على من يرى أن الإعجاز في غير هذه الأمور كالصرفة والإخبار بأمور الغيب ويوم القيامة وأخبار الأمم السابقة فقط والرد على الملاحدة ومنكري الخالق عز وجل.

المحور الثالث: قضية الإعجاز القرآني في فكر المعتزلة وتطویرها:

كان من المهام التي حملها المعتزلة على عاتقهم أمر الدفاع عن الدين الإسلامي، خاصة الذين يشككون في القرآن الكريم، وبأنه معجزة الرسول ﷺ من عند الله، فانكبوا على دراسة علوم الفلسفة لتكون لهم منطلقاً في تقديم الحجج والبراهين، وقد تناول المعتزلة قضية إعجاز القرآن كطريق لهم لحماية كتاب الله، من خلال ربطهم للبلاغة والفصاحة بكتاب الله تعالى فتناولوا (الكناية، والاستعارة، واللفظ والمعنى، والمنتشابه والمحكم)، واخرجوا تفسيراً حسب معتقداتهم العقلية الكلامية الممزوجة بالثقافة اليونانية وغيرها، فوظفوها لبيان إعجاز القرآن الكريم، والرد على الخصوم. وكان خوفهم على سلامة الذوق اللغوي سبباً في الاهتمام بعلوم القرآن وأهمها الإعجاز القرآني بسبب اختلاطهم بالأمم الأخرى

والبراهين، وفي وافتتاح السور وخواتيمها، وفي تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع، وفي إفادة حصره واختصاصه، وورود بعض آياته مجملة وبعضها مبينة، ووجوه مخاطباته، والحقيقة والمجاز فيه، والتشبيه والاستعارات، وفي الكتابة والتعريض، وفي الإيجاز والإطناب في مواضع الآيات، وفي وقوع البدائع البليغة فيه، وبحث في الخبر والإنشاء، وتقديم الأمثال ظاهرة ومضمرة، وفي ألفاظه المشتركة^(٧٨)، فمن المنتشابه في الآيات من خلال فواصل الآيات أو التقديم والتأخير، أو إضافة كلمة أو حرف في آية دون أخرى قوله تعالى: في سورة البقرة (٥٨): ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ مع قوله تعالى في سورة الأعراف (١٦١): ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وفي تقديم بعض الألفاظ وتأخير بعضها أورد السيوطي قوله تعالى في سورة البقرة (٥٨): ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ وقوله تعالى في سورة الأعراف (١٦١): ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ بالتالي

لذاته أن يكون غرضاً للآراء والأهواء، ومجالاً للجدل والخلاف، حتى لقد تجنب كثير من الصحابة تفسير آية أو كلمة فيه، فقد كان يرى أن ذلك قول بالرأي في القرآن، وتأل على الله في الكشف المراد من كلامه، ولا يعلم حقيقة ذلك الكلام غير الله سبحانه وتعالى... فخلو القرنين الأولين للإسلام من تلك الدراسات القرآنية التي تتصل بإعجازه والكشف عن مواطن الإعجاز فيه كان عن تهيب لمقام القرآن، وعن حرص على البعد عن الجدل، وتنازع الآراء في مفاهيم آياته^(٨١)، وكما قلنا سابقاً، أن الفتوحات الإسلامية التي أدخلت الكثير من الأمم ذات الألسن الأعجمية في الإسلام وهم بعيدون عن السليقة والفطرة العربية دعت علماء اللغة والبلاغة لوضع الشروح والتقارير المتعلقة بالقرآن وبمفاهيمه لفهمه واستيعاب تفاصيل آياته، وفهم أحكامه الشرعية، وإن يصلهم فهم آيات القرآن الكريم بشكل مباشر، وكان لظهور علم الكلام في أواخر القرن الثالث الهجري من أسباب الجدل والخلاف بين المسلمين منها أمر إعجاز القرآن الكريم^(٨٢)، أما لفظ إعجاز فقد كان وصفاً لما كتب في بعض مؤلفات القرآن الكريم؛ لأن الباحث في جواهر وحلى القرآن كان عليه أن يعين النظر في كل حرف من حروفه، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من أمامه ولا من خلفه. ولم تظهر قضية الإعجاز القرآني بشكل مباشر، بل على فترات متتالية بدأت

الأعجمية التي كانت تلحن في الكلام، وتخطئ في النحو؛ لذلك اجتهد المسلمون في التفاسير، ووضع علم النحو والشروح القرآنية التي منها غريب القرآن وغريب الحديث "كما احتاج المفسرون إلى اللغة والشعر لشرح غريب القرآن الكريم، وفهم تراكيبه، ودراسة بيان أسلوبه، ومقارنته بالشعر العربي ليظهر لهم علو أسلوبه"^(٧٩)، ولكي لا يصل القرآن الكريم للحن والخطأ الذي أصاب اللغة بسبب الاختلاط مع الأعاجم، قام العلماء بجهود في وضع أسوار وحمايات للقرآن "ومن أجل ذلك قام علماء المسلمين بجهود محمودة اتجاه القرآن الكريم ولغته، ففسروا تراكيبه، ودرسوا أسلوب بيانه، ووضحوا مجمله، وبينوا أسباب نزوله، وأوجه قراءته، كما شرحوا غريبه، وقاموا بوضع علم النحو واللغة لحمايته، والتمكن من فهمه"^(٨٠) فبهذا توسعت العلوم اللغوية والعلوم البلاغية وتلاقت مع بعضها بعضاً لتشكّل حصناً منيعاً حامياً للقرآن الكريم ومن عدم فهم آياته لدى الأعاجم من المسلمين، ويسأل سائل: لماذا لم يكن هناك تطرق لقضية إعجاز القرآن الكريم في القرون الأولى لتكون الدولة الإسلامية منذ عهد النبوة وعصر الخلفاء الراشدين، ودولة بني أمية، ثم القسم الأول من دولة بني العباس، وهو الكتاب الشريف للأمة الإسلامية ودستورها، ومصدر وجودها؟ لكن الذي كان يبدو أنه تقصير إنما كان إعظاما لأمر القرآن، وتهيباً لمقامه، وصونا

بشكل بسيط على نحو إشارات وملاحظات حتى تطورت ونضجت في أوقات متلاحقة سواء عند المتكلمة والمعتزلة وعند غيرهم، فسميت الفترة الأولى بفترة الإشارات، إذ تناولت مصطلحات التشبيه والكناية، واللفظ والمعنى لكن دون دراسة متواصلة، وهذا كان تأسيساً لما جاء بعده من دراسات ورسائل وكتب وجدت في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة ومعاني القرآن للفراء "ومن الخير أن نقرر هنا أن قضية الإعجاز لم تقرر تقريراً مباشراً في هذين الكتابين، بل كان فيهما إشارات وملحات لم تذكر فيها كلمة الإعجاز، وجاء القرن الثالث فوجدنا فيه ظهور هذه الكلمة، أعني كلمة الإعجاز، وكثيراً من الإشارات والملحات في قضايا الإعجاز، كانت عند النظام المعتزلي (ت ٢٣١هـ) وتلميذه الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) وهما إمامان من أعظم وأشهر أئمة الاعتزال" (٨٣)، ولقد أشار النظام في كلامه إلى أن القرآن الكريم دليل على صدق الرسول ﷺ وأنه يدل على أمور الغيب والقول بالصرفة "ولكنه يدل على صدق النبوة من حيث أخبار الغيب التي يتضمنها، ومن حيث نظم وأسلوبه، ودقة ألفاظه، وجودة معانيه، وهذا ما جعل العلماء يردون عليه فيما بعد، وقد عُرف النظام فيما بعد بالقول بالصرفة" (٨٤) وقد اختلف في أمر قضية الصرفة أهل الاعتزال أنفسهم، فكان للنظام رأي مخالف لرأي الجاحظ، فيقول النظام في

الصرفة أنها "نظم القرآن وحسن تأليف آياته، فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف" (٨٥)، في حين رأى الجاحظ أن "القرآن معجز بنظمه وتأليفه، وأن العباد عاجزون على الإتيان بسورة من مثله" (٨٦)، وكان للرازي رأي في مسألة الصرفة فقال "إن بيان القرآن وبلاغته ليست في مقدور العرب ولا إمكانهم، ولكن الله تعالى صرف العرب عن محاولة ادعاء الإتيان بمثل بلاغة القرآن وبيانه، ذلك أن الناس ليسوا على درجة واحدة من حيث إدراك التمييز بين روعة البيان القرآني ورداءة غيره من الكلام؛ لذلك صرف الله العرب عن محاولات المعارضة فلا يلتبس الأمر على العامة والدُهْماء فيظنوا أن هناك من أتى بمثل بيان القرآن وبلاغته" (٨٧)، ونرى اهتمام الجاحظ بالإعجاز في كل ما كتبه من كتب أو رسائل، ويحاول من خلال البيان إثبات وجود الإعجاز، والرد على مطاعن من يحاول النيل من القرآن الكريم "فلا يكاد كتاب من كتب الجاحظ على كثرتها من الحديث عن القرآن الكريم، فتارة يحدثنا عن صحة أخباره، وتارة عن جودة سبكه وبيدع نظمته، وثالثة عن قوة حججه، وأخرى عن بعض الشبهات التي يوجهها الملاحدة والحاقدون...أما عن بلاغة نظم القرآن تحدث فيه عن مفردات القرآن، وبعض أساليب البيان التي اصطلح عليها فيما بعد بعلم البلاغة" (٨٨)، ومن الوجوه التي

بحثها الجاحظ في الإعجاز مسألة الصرفة، والتي لم يجد لها الضوابط الدقيقة ليكشف أسرارها^(٩٩)، أما باقي الأمور الإعجازية فنشاهد أن القرآن بليغ من حيث ألفاظه المختارة المنتقاة ومن حيث نظمه ورصفه التي تقوم على إبداع في الإعجاز والتشبيه في المجاز^(٩٠). وقد قدم الجاحظ خدمة جليلة للقرآن الكريم عبر ما يمتلكه من فصاحة وبيان، وقوة الحجة، وانسيابه في الكنايات، والقدرة الفائقة على التحليل والتدوير، فزى "أنه سلك في تفهم فنون بيانه واستعاراته وتشبيهاته نهجاً جديداً كان عماد دراسته في كتاب (نظم القرآن)... فلم يتبع المفسرين، واللغويين، والنحويين، ولا المعتزلة أنفسهم اتباعاً حرفياً، بل شق لنفسه طريقاً ارتضى- رأياً لأم فيه بين طبيعة الأسلوب القرآني والبيان العربي بصفة عامة، ولم يتجه الاتجاه اللغوي المعروف بتوجيه همه إلى غريب اللفظ فيشرح معناه، بل توسع فأدخل في الاعتبار المعنى العام، بل السورة أحياناً"^(٩١)، ويقارن الجاحظ أمور الغيب التي تحدث عنها الرسول ﷺ مع ما كان يقال من غيره من كهان ومنجمين، وأن حجة الرسول الكريم كانت عقلية، ويذكر إن القرآن قد فاق جميع حجج الأنبياء السابقين^(٩٢)، أما كتابه (نظم القرآن) فقد وضع فيه أسلوبه البلاغي في قوة حجة القرآن وعلو بيانه، وفصاحته، وهذا دعا (الفتح بن خاقان) ومن جاء بعده أن يوجه ملاحظات حول هذا

الكتاب، إذ "كان يريد الفتح كتاباً في الاحتجاج لخلق القرآن بوجه عام، لا يدخل في تفاصيل الأسلوب من الناحية البيانية"^(٩٣). وقد وصف الباقلاني هذا الكتاب بالنقص، وعدم تتبع أسرار الإعجاز^(٩٤)، ويشير الجاحظ في كتابه (الحيوان) لبعض الأمور الإعجازية البيانية، مثل توضيحه لمعنى كلمة (شغل)، في قوله تعالى في سورة يس (الآية ٥٥): ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ﴾^(٩٥)، وقد أشار لكتابته في مؤلفه (الحيوان) فقال: "وعبت كتابي في خلق القرآن"^(٩٦) وورد عنه أيضاً مشيراً إلى كتابه "وفي كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد مع ما ذلك من الدلائل التي جاء من جاء به"^(٩٧)، ويعلق حاتم الضامن على ما قاله الجاحظ في كتابه مؤكداً عقيدة الجاحظ في الاعتقاد بنظم القرآن الكريم: "فالجاحظ إذا يؤمن أن القرآن معجز بنظمه ولو أن كتابه (نظم القرآن) بين أيدينا لاستطعنا الكشف عن رأيه الواضح في هذه المسألة"^(٩٨) وقد قال الباقلاني عن كتاب الجاحظ (نظم القرآن): "لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله، ولم يكشف عما يلتبس في آخر هذا المعنى (أي الإبانة عن وجه المعجزة)"^(٩٩)، وقد دافع آخرون عن الجاحظ في تناوله لمسألة الإعجاز في كتابه (نظم القرآن)، وأنه أثر في الأدب العربي ككل عبر التحدي

الذي أتى به القرآن الكريم للعرب^(١٠٠)، ولقد اجتمع رأي كل من الجاحظ والباقلاني وعبد القاهر الجرجاني على أن القرآن معجز بالنظم^(١٠١)، وقد استمر البحث في مسألة الإعجاز حتى وصلت لأهل السنة والجماعة عند الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، وعند المعتزلي الرماني (ت ٣٨٤هـ)، إذ قال الرماني إن الإعجاز في القرآن الكريم يظهر عبر سبعة أوجه: (ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقد العادة، وقياسه بكل معجزة)^(١٠٢)، وقد تحدث الرماني عن البلاغة، وأنها وجه من وجوه الإعجاز والبيان، "ثم قسمها إلى عشرة أقسام، هي الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتعريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان"^(١٠٣)، وقام بشرحها مع تقديم الشواهد الدالة عليها من القرآن الكريم، ومن الشعر، وقد قسم البلاغة إلى ثلاثة أقسام، فكانت "على ثلاث طبقات: منها ما هو أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك"^(١٠٤)، وقد اعتقد الرماني في أمر الصرفة أنها وجه من وجوه الإعجاز، فقال: "وأما الصرفة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة

حرف الهمم عن المعارضة... وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها العقول"^(١٠٥)، ولقد عارض الخطابي - وهو من أهل السنة والجماعة - أمر القول بمسألة الصرفة أنها وجه من وجوه الإعجاز، فقال: "وهذا قول فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾"^(١٠٦)، وقد عد الخطابي أمر الصرفة نوعاً من التكلف والاجتهاد والاحتشاد^(١٠٧)، أما وجه الإيجاز فقد برع فيه الرماني، وأتقنه، وقسمه أحسن تقسيم، وقدم له الأمثلة من القرآن الكريم، فقال في الحذف: "(وسأل القرية)، ومنه (ولكن البر من اتقى)، ومنه (براءة من الله) وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر؛ لأن النفس تذهب فيه كل مذهب"^(١٠٨)، وعلّق شوقي ضيف على هذه السمة العظيمة عند الرماني بقوله: "وبذلك صور الرماني الإيجاز تصويراً نهائياً بحيث لم يضاف إليه البلاغيون والتالون شيئاً"^(١٠٩)، ونلاحظ أن الرماني لم يفصل كثيراً بمسألة (الصرفة) أكثر مما فصل في أمر البلاغة وطبقاتها، وأن هناك تناقضا بين القول بأمر الصرفة كوجه من وجوه الإعجاز - على رأي المعتزلة - بأن الله قد صرف قلوب العباد على الإتيان بمثل القرآن الكريم، وأن البلاغة وجه إعجازي واضح في كتاب الله تعالى؛ لأن أمر الصرفة

صار أبلغ منه وأحسن، وإن كان الأول بليغاً حسناً^(١١٠)، من خلال هذه الاستشهادات التي جاء بها الرماني في أمور البلاغة نرى أنه استقى البلاغة ممن كانوا قبله، وأفاد منها في مسألة الإعجاز القرآني، إضافة لاستخدام العقل في بيان بلاغة القرآن، فمن "وظائف التشبيه إخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة، كقوله تعالى: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاره) أخرج ما لم يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة وهو حال الحمار، وهكذا يمتاز التشبيه العقلي أو التشبيه البليغ كما أسماه (بإخراج الأغمض إلى الأظهر)، وبتقريب البعيد حتى ينضج وينكشف"^(١١١)، أما الدور الثالث في تطور قضية الإعجاز فقد كانت في كتابة الكتب عند الأشاعرة وعند المعتزلة، فقد ظهرت عند القاضي عبد الجبار الهمذاني (ت ٤١٥هـ) في كتابه المغني، وعند الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في كشافه، وقد ظهر الفكر الاعتزالي عند القاضي عبد الجبار عبر تأثره بأسلافه المعتزلة والجبائية، كأبي علي (ت ٣٠٣هـ)، وأبي هاشم، وكان ينقل النصوص عن (أبي هذيل العلاف) أستاذه في الاعتزال، وتبرز فكرة الإعجاز في كتابه المغني في الجزء السادس عشر عندما تحدث عن الإعجاز بشكل واضح من خلال تعريفه له، وتفصيله في مسألة الفصاحة، وكيف تأتي في الجممل، فقال في معنى

يلغي مسألة القول أن البلاغة القرآنية وفصاحته في جميع المجالات البيانية، وتكلم الرماني في بلاغة القرآن ويقارن بينها وبين كلام الناس، ويميز كلام الله على كلام الخلق من أربعة نواح في الآية التالية: (ولكم في القصص حياة) ويذكر قول العرب: (القتل أنفى للقتل) فيقول: إن كلام الله تعالى أفضل وأحسن ومقدم لأمر عدة أنه أكثر في الفائدة، وأوجز في العبارة، وأبعد من الكلفة بتكرار الجملة، وأحسن تأليفاً بالحروف المتلازمة، أما الكثرة في الفائدة فيه ففي كل ما في قولهم: القتل أنفى للقتل، وزيادة معان حسنة، منها إبانة العدل لذكره القصص، ومنها إبانة الغرض المرغوب فيه لذكره الحياة؛ ومنها استدعاء بالرغبة والرغبة لحكم الله به، وأما الإيجاز فإن الذي هو نظير القتل أنفى للقتل هو (القصص حياة) فالأول أربعة عشر- حرفاً، والثاني عشرة حروف، وأما بعده عن الكلفة بالتكرير الذي فيه على النفس مشقة، فإن في قولهم: القتل أنفى للقتل تكريراً غيره أبلغ منه، ومتى كان التكرير كذلك فهو مقتصر في باب البلاغة عن أعلى طبقة، وأما الحسن بتألف الحروف المتلازمة فهو مدرك بالحس وموجود باللفظ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة؛ لبعدها الهمزة من اللام، وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام، فاجتماع هذه الأمور التي ذكرناها

الإعجاز "...فمعنى قولنا في القرآن أنه معجز أن يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي قد اختص به"^(١١٣). وقال في الفصاحة "اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له دخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأنواع الثلاثة من رابع"^(١١٣).

ووظف القاضي عبد الجبار هذه الوجوه في فصاحة وبلاغة القرآن الكريم، وطبعها على آياته، وقال في مسألة الصرفة، وبين ما فيها من عدم الإعجاز، بين الأسباب التي تخرجها من نطاق الإعجاز "فإن قلت إنه تعالى صرفهم بمنع فهو الذي بينا فساداه من قبل، وهذه الجملة تبطل قول من يتعلق في إعجاز القرآن يذكر الصرفة؛ لأنها إن كشفت فلا بد أن يراد بها بعض ما بينا فساداه، ولا معتبر بالعبادات في هذا الباب إنما المعتبر بالمعاني"^(١١٤)، فنلاحظ أن القاضي عبد الجبار -وهو معتزلي المذهب- قد خالف أصحابه كالرمانى، ووافق أهل السنة، والأشاعرة كالخطابي، والباقلاني، وهذا ما أكده القاضي عبد الجبار عندما قال: "امتنع عليهم ذلك بأن أعدمهم الله تعالى العلوم التي فيها يكون الكلام الفصيح،

فصار ذلك ممتنعاً عليهم لفقد العلم"^(١١٥)، ورفض القاضي عبد الجبار أن يكون الإخبار عن الغيوب وجه من وجوه الإعجاز، فقال: "فأما من قال: إنه ﷺ قد تحدى بالقرآن من حيث تضمن الإخبار عن الغيوب فبعيد؛ لأنه قد تحدى بمثل كل سورة من غير تحقيق، ولا يتضمن على ذلك الإخبار عن الغيوب"^(١١٦)، وقد أثر القاضي عبد الجبار على من جاء بعده من العلماء والمفسرين من المدرسة الاعتزالية وفي غيرهم من العلماء، فأثر في الحاكم الجشمي المعتزلي (ت ٤٩٤هـ)، وفي الشريف الرضي (ت ٤٠٧هـ) والشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، وفي الزمخشري (ت ٥٨٣هـ)، وفي الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ)، والفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، وكان لمؤلفاتهم نصيب مما نقلوه عن القاضي عبد الجبار في البلاغة والفصاحة والبيان، وأهمها الإعجاز القرآني^(١١٧) أما الزمخشري فقد تناول مسألة الإعجاز من ناحيتين (النظم، والإخبار بأمور الغيب) وهو هنا يخالف صاحبه وأستاذه القاضي عبد الجبار، ففي مسألة النظم قام الزمخشري بتطبيق أشمل وأفضل ممن كان قد تناولها من قبله من المعتزلة كالجاحظ، والرمانى، والخطابي، أما في علم المعاني فقد تأثر الزمخشري بألفاظ القاضي عبد الجبار في كل من الاستفهام، والأمر للذين خرجا عن حقيقتهم، وفي الحذف والتأكيد، وبرز كذلك في علم البيان إذ تأثر بأقوال القاضي

يكون مجازاً بالاستعارة، ومجازاً بالحذف إذ قُدِّرَ جار ومجروراً متعلقاً (بأمر) وتقديره: (أمرنا متر فيها) بالفسق ففسقوا^(١٢٠) أما إعجاز النظم فقد أبدع فيه الزمخشري عبر التطبيق العلمي على آيات كتاب الله تعالى^(١٢١)، فيقول في كشفه في سورة البقرة ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، "إن الم جملة برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها (وذلك الكتاب) جملة ثانية، و(لا يرب فيه) ثالثة، و(هدى للمتقين) رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم، حيث جيء بها متناسقة، من غير حرف نسق (عطف)، وذلك لمجيئها متأخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة... ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بالطف وجه وأرشفه، وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف، وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو الهدى^(١٢٢) بالتالي نصل إلى أن فهم الزمخشري لإعجاز القرآن الكريم بنظمه وبيانه وإبداعه أفضل من سابقه وأكثر إيضاحاً وتفصيلاً، والظاهر من الكلام أن الزمخشري قد درس تراث سابقه خاصة القاضي عبد الجبار وبحث في مؤلفاته واستعار منها ورد ما يمكن رده، وعارضه

عبد الجبار في مسائل (التشبيه، والاستعارة، والمجاز المرسل، والمجاز العقلي، والتمثيل، والاستعارة التهكمية، والاستعارة في الحرف، والكناية)، أما علم البديع فقد تأثر الزمخشري بعبد الجبار في قضايا مثل (المشاكلة، والمبالغة، والتبعيد)، وكان الزمخشري قد طور ما جاء به القاضي عبد الجبار، ففي المجاز أضاف الزمخشري إلى بعض الآيات مجازين بدلا من مجاز واحد، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، فكان أن وقف القاضي عبد الجبار على مجاز واحد وهو مجاز الحذف، وهو ما رفضه الزمخشري، حين قال القاضي عبد الجبار في هذه الآية مجاز "أليس ذلك يدل على أنه أراد منهم ذلك الفسق، وجوابنا أنه تعالى لم يذكر ما أمرهم به، ومعلوم أنه لم يأمرهم بالفسق، بل أمرهم بخلافه، فكانه قال تعالى: ﴿أمرنا متر فيها﴾ بالطاعة"^(١٢٣) وكان رد الزمخشري: "فإن قلت: هلا زعمت أن معنى أمرناهم بالطاعة ففسقوا؟ (كما يرى القاضي) قلت: لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز، فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به إنما حذف (لا فسقوا)، وهو كلام مستفيض...^(١٢٤) أما المجازان فقد جعلهما الزمخشري مجاز استعارة، ومجاز حذف" فمجاز الاستعارة في كلمة (أمرنا) لأن حقيقة أمرهم بالفسق لا يصح، فبقي أن

وثفتة^(١٢٤)، ومن الغريب أن النظام نفسه هو من قال في كثير من غريب التفسير الذي كان محل جدل من قبل جماعته وتلاميذه، فالنظام نفى الصفات عن الله، وقال بالصرفة، وشطح بعقله تأويل آيات الله، أما الجاحظ فقد كان تفسيره للإعجاز من ناحية بيانية، ولم ينظر للصرفة كما نظر لها أستاذة النظام، فالجاحظ يرى في الصرفة "باب من التدبير الإلهي والعناية الربانية، جاءت لمصلحة المسلمين ولرفع الشبهة والشكوك التي يمكن أن تنتشر بينهم بسبب المعارضة"^(١٢٥) وتكلم الجاحظ أن النظم هو من وجوه الإعجاز ولا يعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه، وأنه حجة لمحمد ﷺ على ثبوته غير كتاب الجاحظ^(١٢٦)، وأكد الجاحظ قضية المجاز في القرآن كوجه في الإعجاز، وفي اللفظ والمعنى، وقد وجد عددٌ من كتب الجاحظ التي فقدت مثل (نظم القرآن، وآي القرآن، وخلق القرآن، ومسائل في القرآن)، وبالعودة إلى الرماني نرى أنه وجد الإعجاز في البلاغة، وأنهما لا يفترقان عن بعضهما مع إعمال العقل، أما القاضي عبد الجبار فقد قرن الإعجاز بالعقل، مع قوله بمسألة خلق القرآن الذي عده جانباً إعجازياً يرى أن "القرآن نفسه لا بد أن يخضع في الاستدلال به للنظر العقلي"^(١٢٧)، وقام بوضع الأسس والقواعد لذلك، وقد ظهرت في كتبه ككتاب (المغني، وشرح الأصول الخمسة)، وقد كان يفسر القرآن من خلال العقل، وكان

في عدد من المسائل، فكانت الإفادة واسعة من خلال الشرح والتفصيل.

تفسير الإعجاز من خلال فكر الاعتزال:

نلاحظ من خلال قراءتنا للفكر المعتزلي منذ نشأته وحتى تطوره ونضجه أن علماء المعتزلة قد فسروا الإعجاز كل حسب نظرتهم العقلية مؤثرين ببعضهم بعض، فتوافقوا في قضايا واختلفوا في أخرى، فرى أن النظام قد وجد الإعجاز في (الصرفة)، ولكنه "يرى أن القرآن حجة للنبي ودليل النبوة، وفيه مواطن إعجازه يتمثل لا في فصاحته وبلاغته وحسن تأليفه، ولكن في إخباره عن الغيوب، وذكره لأمر ستقع في المستقبل سابقاً بها الأحداث"^(١٢٨)، ويرى أن التفسير في القرآن لا يجب أن يكون من خلال تتبع وراء غريب القرآن والتكلف فلا "تسترسلوا إلى كثير من المفسرين وإن نصبوا أنفسهم للعامة، وأجابوا في كل مسألة، فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب إليهم، وليكن عندكم عكرمة، والكلبي، والسدي، والضحاك، ومقاتل بن سليمان، وأبو بكر الأصم، في سبيل واحدة، فكيف أثق بتفسيرهم، وأسكن إلى صوابهم وقد قالوا في قوله عز وجل: (وأن المساجد لله)، إن الله عز وجل لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلي فيها، بل إنما عني الجباه وكل ما سجد الناس عليه: من يد ورجل، وجبهة أنف

يستشهد على الأحكام بالنص الذي يوافق العقل؛ لرفع الغموض في تأويل التفسير، في حين فسر الزمخشري الإعجاز بعيداً عن التعصب والهوى، والعناء، مع أنه كان معتزلياً، وكانت أكثر نقولاته من عند القاضي عبد الجبار، وقد كان له منهج مختلف عمن سبقه من المفسرين، إذ استعرض القرآن الكريم كله من أوله إلى آخره سورة سورة، كما يفعل المفسرون، ولكنه كان يقف عند كل آية، ويعد هذا الأسلوب الذي اختصه الزمخشري لنفسه جديداً على من كان في عصره.

النتائج:

كان لظهور الفكر الاعتزالي في العقل العربي أثره على النقد وعلى مسألة إعجاز القرآن وخلقها، فقد ساعد هذا الفكر في إثراء العقل العربي وتفتحته نتيجة اتجاه أصحابه نحو العقل في النظر لكل المسائل التي بحثوها، وكانت النزعة العقلية مؤثرة بشكل مباشر في النقد العربي من خلال إدخال مصطلحات ومفاهيم جديدة على النقد العربي، خاصة في مجال البلاغة والفصاحة، وقد كان تأثير المعتزلة على غيرهم من العلماء واضحاً، فنرى أن ابن قتيبة قد تأثر ببشر بن المعتمر، وبالجاحظ، وأفاد ابن طباطبا من كلام بشر بن المعتمر والجاحظ في قضية مشاكلة الألفاظ والمعاني، كما أفاد التوحيدي، وابن سنان الخفاجي في قضية تلاؤم الألفاظ والحروف عند الجاحظ، وقد

أثر الفكر الاعتزالي جلياً في مسألة الإعجاز القرآني من لحظة تشكيلها وهي مرحلة الإشارات إلى مرحلة تطورها وهي مرحلة الرسائل، إلى مرحلة نضوجها وهي مرحلة الكتب، وقد اختلف علماء المعتزلة وغيرهم في تحديد أوجه الإعجاز القرآني، واتفقوا في أوجه أخرى، من خلال مناقشتهم لها كالإعجاز بالصرفة، وإعجاز الإخبار بالغيب، والإعجاز البلاغي، وإعجاز النظم وحسن التأليف، فقد اتفق كل من (الجاحظ والزمخشري) وهما من علماء المعتزلة (وابن قتيبة والراغب الأصفهاني، وعبدالقاهر الجرجاني)، وهم من أهل السنة في قضية الإعجاز بالنظم وحسن التأليف، كذلك موافقة (النظام، والرماني، والزمخشري) من جهة و(الراغب الأصفهاني، والباقلاني) من جهة أخرى في مسألة الإعجاز الغيبي، وأيضاً الموافقة بين القاضي عبد الجبار والفخر الرازي في الإعجاز القرآني من ناحية البلاغة والفصاحة. أما الاختلاف، فقد ظهر عند ابن قتيبة والخطابي من ناحية، والنظام والرماني من ناحية أخرى في إعجاز القرآن بالصرفة، إذ أنكرها كل من ابن قتيبة والخطابي، في حين قال بها النظام والرماني، وقد أنكرها بعض علماء المعتزلة انفسهم كالجاحظ الذي خالف استاذة النظام، وأورد الباحث وجوه الإعجاز عند كل من علماء المعتزلة وغيرهم من الفرق الإسلامية كأهل السنة والجماعة، والأشاعرة، فقال النظام بإعجاز الصرفة،

خالد فكرهم من شوائب وسطح في الآراء
في بعض الأحيان.

الهوامش:

(١) الوائلي، كريم، الخطاب النقدي عند
المعتزلة، ط١، مصر- العربية،
القاهرة، ١٩٩٧، ص٥٢

(٢) الأسد أبادي، عبد الجبار، المغني في
أبواب التوحيد والعدل، تحقيق
مصطفى السقا، العجوزة، ١٩٦٥،
ج١٤، ص١٥١.

(٣) ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ،
ط٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥،
ص٣٥.

(٤) عوا، عادل، المعتزلة والفكر الحر، ط١،
الأهالي، دمشق، ١٩٨٧، ص٦٥.

(٥) واصل بن عطاء البصري: المتكلم،
والبليغ المتشدد، الذي يلشغ بالراء،
وله من التصانيف كتاب (أصناف
المرجئة)، وكتاب (التوبة)، وكتاب
(معنى القرآن)، مات سنة ١٣١هـ،
الذهبي، شمس الدين محمد بن
أحمد، ميزان الاعتدال في نقد
الرجال، تحقيق علي محمد معوض
وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية،
بيروت، لبنان، ١٩٩٥، ج٧، ص١١٨-
١١٩.

(٦) إبراهيم بن سيار النظام: أبو إسحاق
البصري مولى بني بحير بن الحارث
بن عباد الضبعي، من المعتزلة، متهم

وقال الجاحظ بإعجاز النظم، في حين قال
الرماني بإعجاز الصرفة، والأخبار الصادقة
عن الأمور المستقبلية، ونادى القاضي
عبد الجبار بالإعجاز البلاغي، واعتمد
الزمخشري النظم كنوع من أنواع الإعجاز
القرآني، أما علماء غير المعتزلة فقد كان
لهم رأي في الإعجاز، فعد ابن قتيبة
البديع، والنظم إعجازاً، ونادى الراغب
الأصفهاني ليكون الإخبار عن أمور الغيب
نوعاً من الإعجاز، في حين عد الباقلاني
الإخبار عن الأمم السابقة إعجازاً، وأسهم
الإمام عبد القاهر الجرجاني في مسألة
الإعجاز عندما عد النظم إعجازاً، وقال
المراكشي: إن الإعجاز في البيان، واعتمد
الفخر الرازي الفصاحة، وغرابة الأسلوب،
والسلامة من العيوب إعجازاً، في حين رأى
الزملكاني الإعجاز في اللفظ والمعنى، ورأى
السيوطي الإعجاز في البيان. وخلص
الباحث إلى أن علماء المعتزلة قدموا العقل
على النقل في مسألة الإعجاز القرآني،
فوفقوا في أوجه وشطحو في أوجه أخرى،
وأنهم أسهموا بشكل كبير وملحوظ في
تأسيس وتطوير النقد والبلاغة العربية عبر
خوضهم في مسألة الإعجاز القرآني، وعبر
المؤلفات التي كتبوها، والردود التي قابلوا
بها أهل الإلحاد والفرق الإسلامية الأخرى،
والديانات كاليهودية والمسيحية، من خلال
اطلاعهم على ثقافات ومنطق الأمم
الأخرى (الإغريقية، واليونانية، والفارسية،
والهندية) وغيرها، جاعلين هدفهم الدفاع
عن القرآن الكريم والدين الإسلامي، مع ما

(١١) عمرو بن عبيد: أبو عثمان البصري المعتزلي القدرى، قال ابن معين: لا يكتب حديثه، قال البستاني: متروك الحديث، وقال أيوب ويونس: يكذب، الذهبي، محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج ٥، ص ٣٢٩-٣٣٥.

(١٢) بشر بن المعتمر: الكوفي، ويقال البغدادي، يكنى أبا سهل، من كبار المعتزلة، انتهت إليه رآستهم في بغداد، خالف المعتزلة في مسألة القدرة، كان نخاسا في الرقيق، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، لسان الميزان، ج ٢، ص ٣١٤.

(١٣) الرماني: علي بن عيسى، كان يقول: إن علياً عليه السلام هو أفضل الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، له مؤلفات في التشيع، وقد صنفها تقيّة، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٥٧٠-٥٧١.

(١٤) قصاب، وليد، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥، ص ٥.

(١٥) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، ط ٧، الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨، ج ١، ص ٨٨.

(١٦) الرماني، علي بن عيسى، النكت في الإعجاز، صححه عبدالعليم، مكتبة

بالزندقة، وكان شاعراً، أديباً بليغاً، قال ابن قتيبة: كان شاطراً من الشطار مشهور بالفسق، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، لسان الميزان، اعتنى به عبدالفتاح أبو غدة، ط ١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٧) عمرو بن بحر (الجاحظ): صاحب التصانيف، قال ثعلب: ليس بثقة ولا مأمون، قلت: كان من أئمة البدع، وقال ابن حزم في الملل والنحل: كان أحد المجان والضلال، غلب عليه الهزل، وقال ثعلب: كان كذاباً على الله وعلى رسوله، وعلى الناس، المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٨٩-١٩٣.

(٨) القاضي عبدالجبار الهمداني: القاضي المتكلم، كان من غلاة المعتزلة، ولي قضاء الري وقزوین، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٥٤-٥٥.

(٩) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد ابن جار الله الزمخشري، المفسر، النحوي، صالح، لكنه داعية إلى الاعتزال، أجارنا الله، فكن حذراً من كشفه، من مؤلفاته الكشف، أساس البلاغة، المفصل، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٨-٩.

(١٠) الفيومي، محمد إبراهيم، المعتزلة تكوين العقل العربي القديم أعلام وأفكار، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٢٣-٢٤.

عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان،
ج ٢، ص ١٥٥-١١٦.

(٢٧) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ج ١،
ص ٤٠٢.

(٢٨) قصاب، وليد، التراث النقدي والبلاغي
عند المعتزلة حتى نهاية القرن
السادس الهجري، ٤٥٥-٤٦٠.

(٢٩) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)،
الحيوان، ج ٣، ص ٧٦.

(٣٠) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم
(ت ٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، تحقيق
مفيد قميحة ومحمد أمين الضناوي،
ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت،
لبنان، ٢٠٠٠م، ص ٢٤.

(٣١) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)،
البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٠.

(٣٢) فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي
(الأعصر- العباسية)، ط ٤، دار العلم
للملايين، بيروت، ١٩٨١، ج ٢، ص ٣٠٧-
٣٠٨.

(٣٣) ابن جني، أبو الفتح عثمان،
الخصائص، تحقيق محمد علي
النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة،
١٩٥٢، ج ١، ص ٤٤.

(٣٤) الربيعي، فالح، تاريخ المعتزلة، دار
الثقافة للنشر، طهران، ٢٠٠٠م،
ص ٤٦.

(٣٥) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)،
الحيوان، ج ٥، ص ٢٥-٢٦.

(٣٦) ابن قتيبة، عبدالله بن محمد بن
مسلم، تأويل مختلف الحديث،

الجامعة المليية الإسلامية، دهلي،
١٩٣٤م، ص ١-٥.

(١٧) عتيق، عبدالعزيز، تاريخ البلاغة
العربية، دار النهضة، بيروت، لبنان،
ص ٥٦.

(١٨) المرجع نفسه، ص ٥٧.

(١٩) ينظر، الجاحظ، عمرو بن بحر
(ت ٢٥٥هـ)، الحيوان، تحقيق وشرح
عبد السلام هارون، ط ٢، مكتبة
ومطبعة مصطفى الباوي الحلبي
وأولاده، مصر، ١٩٦٦م، ج ٤، ص ٣٧-
٤١.

(٢٠) عتيق، عبدالعزيز، تاريخ البلاغة
العربية، ص ٥٢.

(٢١) قصاب، وليد، التراث النقدي والبلاغي
عند المعتزلة حتى نهاية القرن
السادس الهجري، ص ٦٠.

(٢٢) ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ،
ص ٣٩.

(٢٣) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان
والتبيين، ج ٣، ص ١٤.

(٢٤) قصاب، وليد، التراث النقدي والبلاغي
عند المعتزلة حتى نهاية القرن
السادس الهجري، ص ٤٥١-٤٥٤.

(٢٥) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط ٥،
لجنة التأليف والترجمة والنشر
القاهرة، ١٩٥٤، ج ٣، ص ٩٥-٩٦.

(٢٦) ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ)،
العمدة في محاسن الشعر وآدابه
ونقده، تحقيق محمد الدين

(٤٧) عرفة، عبدالمعطي عبدالعزيز، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين

البلاغة العربية، ص ٢١٥.

(٤٨) أبو حيان التوحيدى: علي بن محمد

بن العباس، المعروف بأبي حيان التوحيدى، كان متفنناً في جميع

العلوم من النحو واللغة، والشعر، والأدب، والفقه، والكلام، وكان على

رأي المعتزلة، وكان جاحظياً، يسلك

مسلكه، الخطيب، عبدالكريم،

الإعجاز في دراسات السابقين، ط ١،

دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤، ص

٣٥٤.

(٤٩) المرجع نفسه، ص ٣٥٥

(٥٠) الخطابي، أبو سليمان، محمد

الخطابي، أديب لغوي، ومحدث،

أسبق علماء المسلمين إلى البحث عن

الإعجاز بحثاً علمياً منظماً، المصدر

نفسه، ص ١٧٩.

(٥١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق

محمد خلف الله أحمد وآخرون،

ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ص ٢١.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٢٢.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٣- ٢٤.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٦- ٢٧.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٢٦- ٢٧.

(٥٦) الحسين بن محمد بن الفضل: أبو

القاسم الأصفهاني، المعروف بالراغب،

كان أديباً، ومن الحكماء والعلماء،

من أهل أصبهان، سكن بغداد،

واشتهر حتى كان يقرن بالإمام

تحقيق محمد عبدالرحيم، دار الفكر،

بيروت، ١٩٩٥، ص ٦٢.

(٣٧) الربيعي، فالح، تاريخ المعتزلة،

ص ٦٠.

(٣٨) العمرجي، أحمد، المعتزلة في بغداد

وأثرهم في الحياة الفكرية

والسياسية، ط ١، مكتبة مدبولي،

القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٣٨.

(٣٩) ينظر، الجاحظ، عمرو بن بحر،

رسائل الجاحظ، مطبعة التقدم،

مصر، ط ١، ص ٨٢.

(٤٠) ينظر، الجاحظ، عمرو بن بحر،

رسائل الجاحظ، ص ٨٢ - ١٤٧.

(٤١) الحسن، علي حاتم، التفكير الدلالي

عند المعتزلة، ط ١، دار الشؤون

الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٨١.

(٤٢) عبدالله بن مسلم بن قتيبة

الدينوري، أبو محمد، صاحب

التصانيف، صدوق، قليل الرواية،

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر،

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ج ٤،

ص ١٩٨-١٩٩.

(٤٣) انظر، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم،

تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد

أحمد صقر، م ط ١، كتبة دار التراث،

القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣- ٥.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٥.

(٤٥) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، تأويل

مشكل القرآن، ص ٨- ٩.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٢ - ١٣.

(٦٣) شاكر، محمود، مداخل إعجاز القرآن،
المديني، مصر، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٩١ -
٩٢.

(٦٤) المرجع نفسه، ص ٩٤ - ٩٥.

(٦٥) لاشين، عبدالفتاح، بلاغة القرآن في
آثار القاضي عبدالجبار وأثره في
الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي،
مصر، ١٩٧٣، ص ٤٩٤.

(٦٦) الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز،
تحقيق محمد محمود شاكر، ط ٥،
مكتبة الخانجي، مصر، ٢٠٠٤،
ص ٥٨٦.

(٦٧) الفخر الرازي: محمد بن عمر بن
الحسن بن الحسين، الإمام المفسر،
من مصنفاته (الصفات، ومعالـم أصول
الدين، والمسائل الخمسون)، الزركلي،
خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ٣١٣.

(٦٨) الخطيب، عبدالكريم، الإعجاز في
دراسات السابقين، ص ٣٥٩.

(٦٩) لاشين، عبدالفتاح، بلاغة القرآن في
آثار القاضي عبد الجبار وأثره في
الدراسات البلاغية، ص ٢٢٨.

(٧٠) المرجع نفسه، ص ٧٢٩.

(٧١) الشريف، محمد موسى، إعجاز القرآن
الكريم بين الإمام السيوطي
والعلماء، ط ١، دار الأنـدلس،
الخصراء، جدة، ١٩٩٧، ص ٨.

(٧٢) المراكشي: أبو العباس أحمد بن محمد
بن عثمان الأزدي المراكشي- المعروف
بابن البناء، الخطيب، عبدالكريم،

الغزالي، الراغب الأصفهاني، الحسين
بن محمد، مفردات غريب القرآن،
راجعـه وائل أحمد عبدالرحمن،
المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر-
ص ٧.

(٥٧) الخطيب، عبدالكريم، الإعجاز في
دراسات السابقين، ط ١، دار الفكر
العربي، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٣٥٦.

(٥٨) المرجع نفسه، ص ٣٥٦.

(٥٩) الباقلاني: أبو بكر، محمد بن الطيب
بن محمد بن جعفر بن القاسم
المعروف بالباقلاني، أو ابن الباقلاني،
ولد بالبصرة، تلقى العلم فيها، ثم
رحل إلى بغداد وأقام فيها، كان
يقرض الشعر ويتمثل به، ويحكم
على معانيه بعد التقدير له، الباقلاني،
محمد بن الطيب، إعجاز القرآن،
تحقيق السيد أحمد صقر، دار
المعارف، مصر، ص ١٩-٢٢.

(٦٠) الباقلاني، محمد بن الطيب، إعجاز
القرآن، ص ٤٥٤ - ٤٥٦.

(٦١) عبدالقاهر الجرجاني: أبو بكر واضح
أصول البلاغة، له شعر رقيق، من
كتبه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز،
الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ١٥،
دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،
٢٠٠٢، ج ٤، ص ٤٨ - ٤٩.

(٦٢) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز،
تحقيق محمد محمود شاكر، ط ٥،
مكتبة الخانجي، مصر، ٢٠٠٤،
ص ٥٨٦.

- (٨٠) لاشين، عبدالفتاح، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، ص ٤٢٥ - ٤٢٦.
- (٨١) المرجع نفسه، ص ٤٢٧.
- (٨٢) عباس، فضل وسناء، إعجاز القرآن الكريم، ص ٣٨.
- (٨٣) المرجع نفسه، ص ٣٨.
- (٨٤) البغدادي، عبدالقاهر بن عبدالطاهر بن محمد، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٤٣.
- (٨٥) عرفة، عبدالمعطي عبدالعزيز، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص ١٥٥.
- (٨٦) التركي، إبراهيم بن منصور، القول بالصرقة في إعجاز القرآن الكريم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ٢٠٠٩م، العدد (٢)، ص ١٦٤.
- (٨٧) عباس، فضل وسناء، إعجاز القرآن الكريم، ص ٣٩ - ٤٠.
- (٨٨) ينظر، لاشين، عبدالفتاح، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، ص ٤٣٦.
- (٨٩) عباس، فضل وسناء، إعجاز القرآن الكريم، ص ٤٠.
- (٩٠) سلام، محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، قدم له محمد خلف
- الإعجاز في دراسات السابقين، ص ٣٦٠.
- (٧٣) الخطيب، عبدالكريم، الإعجاز في دراسات السابقين، ص ٣٦٠.
- (٧٤) الزملكاني: محمد بن علي بن عبد الواحد المعروف الزملكاني، فقيه انتهت إليه رئاسة الشافعية، له رسالة في الرد على ابن تيمية (الطلاق والزيارة)، الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٦، ص ٢٨٤.
- (٧٥) الخطيب، عبدالكريم، الإعجاز في دراسات السابقين، ص ٣٦٢.
- (٧٦) الشريف، محمد موسى، إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء، ص ٦٣٥.
- (٧٧) السيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الخضري السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ ومؤرخ، وأديب، من مؤلفاته (تاريخ أسيوط، والأشباه والنظائر، والألفاظ المعربة)، الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج ٣، ص ٣٠١ - ٣٠٢. الشريف، محمد موسى، إعجاز القرآن الكريم بين الإمام السيوطي والعلماء، ص ٤١٥ - ٤١٦.
- (٧٨) عرفة، عبدالمعطي عبد العزيز، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص ٨٩.
- (٧٩) المرجع نفسه، ص ٨٧.

- الله أحمد، ط ١، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٥٢، ص ٧٣.
- (٩١) ينظر المرجع نفسه، ص ٧٦.
- (٩٢) ينظر المرجع نفسه، ص ٧٨.
- (٩٣) المرجع نفسه، ص ٧٩.
- (٩٤) المرجع نفسه، ص ٨١.
- (٩٥) الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢، مكتبة مصطفى الباري الحلبي، مصر، ج ٤، ص ٢٧٦.
- (٩٦) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٩.
- (٩٧) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٩.
- (٩٨) الضامن، حاتم، نظرية النظم، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٩، ص ١١.
- (٩٩) الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحقيق عبد الله المنشاوي، ط ١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٧، ص ١٣٠ - ١٣١.
- (١٠٠) الخطيب، عبد الكريم، الإعجاز في دراسات السابقين، ص ١٥٧ - ١٥٨.
- (١٠١) ينظر، المرجع نفسه، ص ١٦٤ - ١٦٥.
- (١٠٢) عباس، فضل وسناء، إعجاز القرآن الكريم، ص ٤٢ - ٤٣.
- (١٠٣) لاشين، عبد الفتاح، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، ص ٤٣٨.
- (١٠٤) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٧٥.
- (١٠٥) المصدر نفسه، ص ١١٠.
- (١٠٦) المصدر نفسه، ص ٢٣.
- (١٠٧) الخطيب، عبد الكريم، الإعجاز في دراسات السابقين، ص ٣٦٥.
- (١٠٨) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٧٦ - ٧٧.
- (١٠٩) ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، ص ١٠٤.
- (١١٠) ثلاث رسائل في الإعجاز، ص ٧٧ - ٧٨.
- (١١١) قصاب، وليد، التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، ص ١٣٣.
- (١١٢) الأسد أبادي، عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج ١٦، ص ٢٢٦.
- (١١٣) المصدر نفسه، ج ١٦، ص ١٩٩.
- (١١٤) المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٢٢٠.
- (١١٥) المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٢١٨.
- (١١٦) المصدر نفسه، ج ١٦، ص ٢٢٠.
- (١١٧) ينظر، لاشين، عبد الفتاح، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية، ص ٤٨٥ - ٧٣٨.
- (١١٨) الأسد أبادي، عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن، دار النهضة الحديثة، بيروت لبنان، ص ٢٢٧.
- (١١٩) الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار النهضة، بيروت، لبنان، ج ٣، ص ٩٨.

- (١٢٠) لاشين، عبدالفتاح، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبدالجبار وأثره في الدراسات البلاغية، ص ٧٠٣.
- (١٢١) ينظر، عرفة، عبدالمعطي عبدالعزيز، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، ص ٦٦٤.
- (١٢٢) الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، ج ١، ص ٣٨.
- (١٢٣) قصاب، وليد، التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، ص ٤٨.
- (١٢٤) الجاحظ، عمر بن بحر، الحيوان، ج ١، ص ٣٤٣.
- (١٢٥) قصاب، وليد، التراث النقدي والبلاغي عند المعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، ص ٧٠.
- (١٢٦) الخياط، عبدالرحيم بن محمد بن عثمان، الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد، تحقيق نيرج، ط ٢، أوراق شرقية، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٥٤ - ١٥٥.
- (١٢٧) أبو زيد، نصر حامد، الاتجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة)، ط ٤، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨، ص ١٨١.

□ مظاهر حضور الراوي في قصص الأطفال العربي الحديث □

د. موفق رياض نواف مقدادي*

تاريخ الوصول: ٢٠١٩ / ٢ / ٢٦ م

تاريخ القبول: ٢٠١٩ / ٤ / ١٠ م

الملخص

تكمن أهمية الراوي في أنه يسيطر على ما سيروى، أو كيفية روايته، فلا تعود مجموعة الأحداث التي وقعت هي الأهم في العمل السردى، بل كيفية الرواية، وقد يكون الراوي "براني الحكى" أي من خارج الحكاية، أو "جواني الحكى"، أي من داخل الحكاية، وإن كان يغلب على أدب الأطفال العربي أن يكون فيه الراوي "براني الحكى"؛ لأنّ جواني الحكى يستدعي وجود عدّة حكايات متداخلة مع بعضها مما يثقل على الطفل ويمنعه من التواصل مع القصة وفهمها.

وإذا كان الراوي كلّ المعرفة - في أدب الكبار - يعدّ راوياً سيّئاً؛ لأنّه كاتب فشل في أن يظهر بمظهر عدم المتدخل، فإنّه لا يعدّ كذلك في أدب الأطفال، بسبب خصوصية الطفل، إذ يحتاج إلى شرح وتفسير وتعليق؛ لأنّه قد لا يدرك المقصود دون أن يتدخل الراوي في سير القصة وبنائها. وقد تناول هذا البحث موقع الراوي واعتبارات التلقي: فعرف الراوي، وبين أهميته ووظائفه، ومظاهر حضوره في الحكى، وتدخلاته فيما يروي، وتعدد الرواة من خلال المنهج الوصفى التحليلي.

الكلمات المفتاحية: مظاهر، حضور الراوي، قصص الأطفال، الحكاية.

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربيّة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

Abstract

The narrator's importance lies in the fact that of controlling what is narrated or how it is narrated. Consequently, the plot of the story is no longer the most important element in the narrative work, but rather how the story is narrated. The narrator may be "an external narrator" in the sense of having no relation to the story, or "an internal narrator" in the sense of having a relation to the story. Nonetheless, the former type is dominant in Children's Arabic literature as the internal narrator requires the existence of several overlapping stories, which would confuse the child and, therefore, prohibit him/her from comprehending the story itself. In adult literature, if the narrator is omniscient then he is considered to be bad as he fails in being detached. However, this is not the case in children's literature, due to the child's nature as he is in need of explanation to comprehend the plot and its construction. Thus, this paper attempts to identify the narrator, his tasks and significance, his means of existence, his interventions of narration, and the multiplicity of narrators through the descriptive analytical approach.

Keywords: Appearances, Narrator Attendance, Children's stories, Narration

المقدمة:

ومن المعلوم أنَّ المطالعة وقراءة القصص والحكايات تساعد على تقوية الملاحظة لدى الطفل، وإثراء لغته، بل وتمكنه من " التغلب على سطحية تفكيره وضحالة خبراته ولا سيما إذا كان موضوعهما

يعدّ الطفل نصف الحاضر وكلّ المستقبل؛ لذلك يجب أن يقدّم له كلّ ما يساعد على النجاح في حياته، وهذا لا يكون إلا من خلال طلب العلم والقراءة،

الأساسية القائمة على قبول العمل الأدبي أو رفضه، فالذين يتصدّون للكتابة إلى القارئ الصغير عليهم أن يلمّوا بعد اكتسابهم للموهبة "بالهدف الذي يتوجهون إليه، فإذا أرادوا مخاطبة طفل في الثامنة من العمر مثلاً عليهم أن يفهموا هذا الطفل فهماً كاملاً، كيف يفكر؟ ما خصائصه النفسية؟ ما مطالب نموه؟ ما مستواه اللغوي؟ وما الكلمات التي تدخل في قاموسه اللغوي، ما طول الجملة المناسبة له؟ وما درجة صعوبتها من حيث التركيب والتعقيد؟ أي درجة مقروئية المادة- ثم ميول هذا الطفل عامة، ما ميوله القرائية؟ وما الذي يمتعه؟ وما الذي يتوقعه من الكتاب الذي يلجأ إلى قراءته"^(٣).

يحرص المربّون على ربط الطفل بالكتاب عن طريق غرس عادة المطالعة عنده، وأوّل وأهم ما يواجهه الطفل -في الأدب المقدم له- اللغة، لذلك "لا بدّ في أدب الأطفال من العناية باللغة إذا رغب الأدباء في مساعدة المربين على غرس عادة المطالعة في الطفل، وذلك أنّ اللغة هي البناء الأدبي المعبر عن معانٍ ومعارف وقيم. فإذا لم يكن البناء ملائماً للطفل، انصرف عنه وأهمّل القراءة، وإذا لاءمه البناء أقبل عليه وشرع يستفيد من مضمونه وشكله، ولكي يحقق البناء معيار الملاءمة لا بد له من:

١- وضوح اللغة، والابتعاد عن الغموض في الألفاظ والتداخل في التراكيب.

مرتبطاً بواقع الطفل وتجاربته، وعلى العكس من ذلك إن كان مضمونها قائماً على الخيال أو بعيداً عن واقع الطفل، فإنهما يفتحان باباً على الخيال، ولا شك أنّ مآثر وميزات الحكاية والمطالعة واضحة وسافرة لكلّ ذي عينين، وخاصة من الناحية اللغوية، فهما يثريان قاموس الطفل ويصححان نطقه، ويعلماناه استخدام الألفاظ والمفردات، ويقدمان له نماذج في سياق حي وشيق، والأكثر من ذلك يتيحان فرصاً للحوار والمحادثة وللتعبير بالرسم وبأشكال التمثيل المختلفة. كما أنّهما -في نهاية الأمر- يعدّان الطفل لتعلّم القراءة الشخصية، أي قراءته بمفرده معتمداً على ذاته"^(١).

وعلى المبدع أو المتكلم أن يراعي مستوى المتلقي من الناحية الثقافية والاجتماعية كما ذهب بشر بن المعتمر عندما قال: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكلّ حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"^(٢).

ومن الضروري لكاتب الأطفال أن يأخذ متلقي الرسالة الأدبية -الجمهور القارئ- بعين الاعتبار؛ لأنّ الطفل يقوم بدور المتلقي، أي يقوم بالوظيفة النقدية

٢- بساطة اللغة والابتعاد عن الألفاظ الغريبة عن معجم الطفل اللغوي^(٤).

ويستعمل كاتب قصة الأطفال النّاجح لغة سهلة بسيطة تناسب بساطة الأفكار التي يريد إيصالها إلى جمهوره من الأطفال، ولقد ظلت لغتنا العربية حتى عهد قريب لغة المثقفين فيها وفي أدبها، ولم تكن لغة المبتدئين من أطفال المدارس الابتدائية، فكان من العسير على هؤلاء التلاميذ أن يقرأوا للمتعة أو للاستفادة، من غير أن يحتاجوا إلى مساعدة، وحتى يتمّ تجنب هذا الخطأ الفني فإنه يتوجب على منشئ القصة أو كاتبها أن يسأل نفسه: من سيقراً هذه القصة؟ ما مستواه اللغوي، وهل يستطيع أن يفهم اللغة والأسلوب اللذين تكتب بهما القصة؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة تكمن في أن يتجنب الكاتب الوقوع في الخطأ اللغوي والأسلوبي، فمن واجب المؤلف أن يكتب وفق مستوى القارئ -الطفل- ولا ينسى الغاية التي يكتب من أجلها، وأن لا يترك العنان لقلمه فيجمع به، كأن يستعمل -مثلاً- ألفاظاً وتراكيب غير مألوفة للأطفال، وكأنه يريد أن يظهر مقدرة الأسلوبية^(٥).

من المعلوم أن كلّ حكاية مهما قصرت تحتاج إلى حكاة يرويها، ويدعو المستمع إلى سماعها، وهذا الحكاة هو الراوي، فلا حكاية بلا راوٍ يرويها. إذن فهناك: حكاية وقارئ وبينهما يوجد سارد أو راوٍ يسيطر على ما سيروي أو كيفية

رؤيته^(٦). والراوي أداة تروي أو تلتزم بنشاط يخدم حاجيات السرد، فأني "تلفظ أو تسجيل للتلفظ يقتضي شخصاً يتلفظه، وحتى حين يقدم نص قصصي -مقاطع لحوار صرف مخطوط وجد في زجاجة، أو رسائل منسية، أو يوميات، فهناك إلى جانب المتكلمين أو كتاب هذه الخطابات سلطة راوية أكثر سموّاً مسؤولة عن (الاستشهاد) بالحوار أو (نسخ) التسجيل المكتوب"^(٧).

من هذا المنطلق "لا تعود مجموعة الأحداث التي وقعت هي الأهم في العمل السردى الروائي، أو في الكتاب-الرواية- بل كيفية الرواية: كيف يروي الراوي الرواية"^(٨).

يرى بيرسي لوبوك أن السؤال المعقّد عن الأسلوب في صناعة الرواية محكوم بالسؤال عن وجهة النظر، أي السؤال عن علاقة راوية القصة بها؛ لأنّه "يروي القصة كما يراها بالدرجة الأولى، والقارئ يواجه القاص ويصغي إليه، وتروي القصة بشكل مفعّم بالحيوية، بحيث ينسى حضور المغني، ويتجلى المشهد للعيان وتحتله شخصيات الحكاية"^(٩).

وظائف الراوي:

حدّد جيرار جنيت وظائف الراوي حسب مختلف مظاهر الحكاية بما يلي^(١٠): تختص الوظيفة الأولى بالحكاية، وهي وظيفة سردية محضة، الراوي يروي

وينبغي عدم التوقف عند تعريف الراوي، وأهميته طويلاً؛ لأن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع كثيرة، وسيركز هذا البحث على بيان: زاوية رؤية الراوي أو ما يسمى أشكال التبئير^(١٣)، ومظاهر حضور الراوي في الحكى، وتطبيق هذه المظاهر على أدب الأطفال لمعرفة قدرة أدباء الأطفال على توظيف الراوي بما يخدم المتلقي -الطفل- وما مقدار تدخل الكاتب بقصته، وهل تنوعت أساليب الرواية، بمعنى: هل استفاد كتاب الأطفال من النظريات الحديثة التي تناولت موضوع الراوي؟.

سيتمّ البدء بالحديث عن زاوية الرؤية السردية للراوي، كما وضعها (جون بويون)، اعتماداً على مقال تودوروف: مقولات السرد الأدبي وهي^(١٣):

أ- الراوي < الشخصية (الرؤية من الخلف)^(١٤)

تُستعمل هذه الصيغة في الأدب التقليدي في أغلب الأحيان، فالراوي أكثر معرفة من الشخصية، وهو ما سمّاه (توماتشفسكي) بالسرد الموضوعي^(١٥)، وفيه يهيمن الراوي على السرد؛ لأنه يعرف كل شيء. وقد أطلق جنيت على هذا النمط: الحكاية غير المبارة أو ذات التبئير الصفر وهذا يتوافق مع وجود الراوي العليم بكل شيء^(١٦).

الحكاية. أما الوظيفة الثانية فإنها تختص بالنص السردى، يبرز الراوي تمفصلاته، وصلاته، وتعالقاته باختصار: تنظيم النص الداخلى. وتختص الوظيفة الثالثة بالوضع السردى حيث يتوجه الراوي إلى المسرود له، ويهتم بإقامة صلة به، وحوار معه، وتسمى هذه الوظيفة الاتصال. وتتعلق الوظيفة الرابعة بموقف الراوي من النص الذى يرويه، وتسمى هذه الوظيفة: البيئة أو الشهادة، مثل أن يشير الراوي إلى المصدر الذى يستقى منه خبره، أو درجة دقة ذكرياته الخاصة، أو الأحاسيس التى تثيرها فى نفسه بعض الحوادث المروية، وأخيراً فإن الوظيفة الخامسة تختص بموقف الراوي من الحكاية، وهى الوظيفة الأيديولوجية، حيث يتدخل الراوي بصورة مباشرة أو غير مباشرة ليعلق على الحكاية بأسلوب تعليمي.

يعدّ الراوي أيضاً وسيطاً "يأتى بالشخصيات إلى نطقها، ويفسح لها مجال الكلام عن ذواتها، وإمكانية ممارسة أفعالها فى نطاق زمن هو زمنها الذى تصنع، وقد يتدخل الراوي فتحدد نسبة تدخله هويته الفنية، ولكن حين تكبر هذه النسبة - نسبة تدخله - وتصل إلى حدود تجعله كلى المعرفة، تتكشف لعبته، أو تلغى ليبدو كاتباً لا يحسن التعامل مع العالم المروى، أي لا يحسن الرواية بما يوحى باستقلالية عالمها وقدرة أناس هذا العالم على نسج علاقاته وإقامة هيئته"^(١١).

ويعرف الراوي ما تتمناه الشخصية:

"تمنت إحدى القطط أن تصير كالعصافير لتطير عبر السماء الزرقاء، وتنتقل من شجرة إلى شجرة، وعندما لم تتحقق أمنيتها استسلمت للكسل...." (١٩).

وتتجلى سلطة الراوي- هنا- في أنه يدرك ما يدور بخلد الأبطال ويعرف طباعهم:

"أما زوجة (بهرمة) فكانت على العكس منه، تجمع بين الغدر والخداع ولؤم الطباع، ولم يكن يعدل جمال هيئتها، وحسن صورتها إلا قبح سريرتها (نيتها) وسوء سيرتها" (٢٠).

ويصل الراوي إلى كل المشاهد، حتى التي تحصل وراء الجدران: "ثم مرض أبو صير واشتد به المرض والضعف، فعجز عن الخروج، ولزم الفراش، فلما جاء اليوم التالي، بحث أبو قير في الغرفة عن طعام يأكله فلم- يجد شيئاً، ورأى صاحبه أباصير مستغرقاً في النوم، فظل يفتش في ثياب أبي صير حتى عثر على كيس نقوده، فأخذه معه، ثم خرج وأغلق باب الغرفة على صاحبه أبي صير...." (٢١).

ويعرف الراوي كذلك ما تفكر به الشخصية:

يحيط الراوي العالم بكل شيء علماً بالباطن والظاهر، ويقدم مادته دون إشارة إلى مصدر معلوماته، ويكون "وجوده ملموساً من التعليقات التي يسوقها والأحكام العامة التي يعطيها، ومن الحقائق التي يدخلها إلى العالم التخيلي مستمدة من العالم الحقيقي، والتي تتجاوز محور معرفة الشخصيات فكأنه ينتقل في الزمان والمكان دون معاناة، ويرفع أسقف المنازل فيرى ما بداخلها وما في خارجها، ويشق قلوب الشخصيات، ويغوص فيها، ويتعرف على أخفى الدوافع، وأعمق الخلجات، وتستوي في ذلك عنده جميع الشخصيات فكأنها كلها من أكبرها شأنًا إلى أقلها شأنًا كتاب منشور أمامه، يقرأ فيه كل ما يدور في نفوسها" (١٧).

فالراوي يعرف ما يدور في دماغ بطله:

وأقبل الصياد

منشـرح الفـؤاد

الطائر السمين كان

الهمّ والمُراد (١٨)

حكاية الكلب مع الحمامة

فعل سلطوي، يتمّ تنفيذه في القصة على آليتين:

الآلية الأولى:

تتعلّق بمضمون القصة، فالكاتب يسعى لإدخال مضامين تربويّة وعظيمة، بهدف تربية الطفل، وتوجيهه في اتجاهات مجتمعية تدعمها إديولوجيا يحملها الكاتب، فيتدخل في مضمون القصة من أجل تحديد هذه المضامين عبر جمل وعبارات تكون في منتهى الوضوح؛ لأنها تتخذ القارئ الصغير هدفاً للوعظ والإرشاد، ولا يعني هذا أن تصبح كتب الأطفال مستودعات للمعرفة، وإنما تكون "أدوات للتعليم، وعليه فإنّ كتاب الطفل يجب أن يكون ترجمة صحيحة وصادقة لعوامل المقروئية: لغة ومضموناً، وإخراجاً بحيث تشعر الطفل برغبة داعية لقراءته ومتابعته، وأن يكون كتاب الطفل بهذا كلّه وسيلة لتكوين اتجاهاته وقيمه الصحيحة"^(٢٥).

إنّ وجود القيم التربويّة أمر ضروري- في الأدب الموجه للأطفال- ولكنّ "المعادلة الصعبة هي ألاّ نقدّم للأطفال ما يريدونه وما يميلون إليه فحسب، بل ما نريده نحن من قيم واتجاهات ومضامين تربويّة هادفة أيضاً، وبما يناسب قدرات الأطفال وحاجتهم: لغة وثقافة، وبحيث يستهويهم، ويحقّق علاقة سعيدة بينهم وبين الكتاب، نقدّم ذلك كلّه بأسلوب فيه

تشهد للجنسين بالكرامة
يقال: كان الكلب ذات يوم

بين الرياض غارقاً في النوم

فجاء من ورائه الثعبان

منتفخاً كأنّه الشيطان

وهمّ أن يغدر بالأمين

فرقت الورقاء للمسكين^(٢٢)

ليس للشخصيّة أسرار، حيث يعرف
الراوي ما يجري حتى في أحلامها:

"ولمّا أقبل الليل واستسلم ملك (بنارس) للنوم، ظهر أمامه ملك الدوحة- في عالم الرؤيا- في صورة شيخ لامع، بهي الطلعة...مؤتلق المحيا...يلوح عليه النور الشعشاع، وقال له في صوت أشبه شيء بحفيف الشجر..."^(٢٣).

ويصف الراوي كذلك مشاعر الشخصية الباطنية:

"إحساس بالآلم...شعور بالمرارة...أشياء لا توصف...وأبو الحسن وحيداً في شوارع بغداد....عاد خائباً إلى مقره الخالي إلّا من (ندى)...جلس محطماً، فاقد الأمل..."^(٢٤).

يعدّ هذا المظهر السريدي أكثر المظاهر وجوداً في الحكّي الموجه للأطفال، وذلك بسبب وجود رغبة: دنيّة أو ظاهرة عند الكاتب/ الراوي، فهو يسعى لممارسة

فنية القصة إشكالية كبيرة في أدب الأطفال، إذ ينزع معظم الكتاب إلى تبني أساليب فنية بسيطة تقترب في كثير من الأحيان إلى السذاجة والبساطة، إيماناً من هؤلاء الكتاب بأن هذه العقلية الصغيرة غير قادرة على التعامل مع أساليب فنية مغايرة ومعقدة.

وقد جمّدت هذه النظرة الفوقية وقد قبل الكتاب السبيل للنهوض بأشكال فنية جديدة، تتعدى المبنى التقليدي للقصة، فهناك من يرى أن مفهوم الحكمة واحد في أدب الأطفال والناشئين والراشدين، ولكن الأصل أن يستعمل القاص لكل قسم حكمة تناسبه، فالطفل غير قادر على إعادة ترتيب الحوادث في ذهنه؛ لذلك تناسبه الحكمة السهلة، التي تراعي ترتيب الحوادث حسب وقوعها في الزمن، يقع الحدث الأول ثم الثاني...، أما الناشئ فإنه قادر جزئياً على إعادة ترتيب الحوادث؛ لذلك تناسبه الحكيمات المتوسطة، أما الراشد فقادر على إعادة ترتيب الحوادث ومن ثم تناسبه الحكمة حتى لو كانت مفككة^(٢٩).

ب - الراوي = الشخصية (الرؤية مع):

هذا هو المظهر الثاني من مظاهر زاوية الرؤية، وتكون معرفة الراوي هنا قدر معرفة الشخصية الحكائية، فلا يقدم لنا الراوي أي معلومات أو تفسيرات، إلا بعد أن تكون الشخصيات الروائية قد توصلت إليها، ويسمى هذا النمط:

الخيال الفني الثري، والسلاسة دوغما تكلف أو تصنع^(٣٦).

ومن أمثلة التدّخل الصريح ما قام به الكاتب كامل كيلاني أثناء تقديمه لشخصيتي الملك شهريار، وزوجه بهرمة في قصة "قالت شهرزاد"، ويقدم رأيه عن الشخصيات، يعطي الطفل رأيه بهما منذ البداية، ولا يترك له الفرصة ليتعرف إلى صفات هاتين الشخصيتين من خلال مجريات القصة. فالراوي يمدح الشخصية الإيجابية ويطري عليها، حتى يحبها الطفل ويتفاعل معها: "كان الملك شهريار أعظم ملوك عصره شأنًا، وأعزهم سلطانًا، وقد حكم رعيته - في أول عهده - حكماً أساسه العدل، فأمن الخائف، وانتصف للضعيف، وسهر على راحة الشعب، حتى أطلقوا عليه لقب: حارس العدالة..."^(٣٧).

كما أنه يصف الشخصية السلبية بأبشع الصفات حتى يكره الطفل بها: "أما زوجة بهرمة فكانت - على العكس منه - تجمع بين الغدر والخداع، ولؤم الطباع...، وقد سميت بهرمة ومعناها زهرة الورد أو جمال الزهر، ولو أنصفوا لسموها: شوك الورد أو زهرة الشر - فقد أبي عليها لؤم طباعها إلا أن تغدر بزوجها"^(٣٨).

الآلية الثانية:

وترتبط بفنية القصة، حيث تشكّل

وضعتن أمهن في بيت مهجور بين الخرق البالية، وقطع الأثاث القديم، وظلت تلحق بأمها أينما ذهبت هي وأخواتها، حتى ذهبت أمها ولم تعد، وخرجت كما فعلت بقية أخواتها وافترقن كل واحدة في طريق....." (٣٣).

ويكون الراوي في هذا المظهر حاضراً لكنه لا يتدخل، ولا يحلل:

"اصطحب الملك ابنته شمس الضحى وخادمتها في الليلة نفسها إلى منزل الخياط وطلب منه بحضورها، أن يعلمها مهنة التطريز، وأن يعاملها كما لو كانت فتاة عادية فقيرة، وألا يسمح لها بالخروج من البيت أو الدكان إلا برفقته، أو برفقة والديه" (٣٤).

ولا يكون الراوي في هذا المظهر - شاهداً على الأحداث فقط، بل قد يكون شخصية في القصة، يسرد الأحداث، فهو عين تشهد وتروي، كما في قصة السوار الذهبي:

"رافقت جدّي ذات يوم من أيام الصيف الحارة، إلى دكان صائغ لاسترجاع سوار ذهبي كان والدي قد سلّمه له وطلب منه إصلاح العطب البسيط الذي أصابه. لم يطل بنا المكوث بالدكان؛ لأنّ عملية الإصلاح لم تستغرق سوى زمن قصير وغادرنا المكان..." (٣٥).

ج - الراوي > الشخصية (الرؤية من الخارج):

الحكاية ذات التبئير الداخلي ولا يحقق التبئير الداخلي تحقيقاً تاماً إلا في الحكاية ذات المونولوج الداخلي، حيث تحصر الشخصية المركزية في موقعها البؤري وحده، ولكن يمكن تحقيق التبئير الداخلي بشكل أقل صرامة - من السابق - إذا تم إعادة كتابة القسم السردى - مقطع التبئير الداخلي - بضمير المتكلم، دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير في النص يتجاوز تبديل الضمائر (٣٠).

ومثال ذلك ما جاء في قصة عاقبة الغدر:

"كانت القافلة الصغيرة تواصل طريقها، والأصدقاء يتبادلون الذكريات، والأقاصيص الطريفة، ليعبدوا عن أنفسهم عناء السفر، وبينما هم يتجاذبون أطراف الحديث إذ لفت انتباههم شيخ ينزف الدم من جسمه، فنزل محمود عن راحلته وحاول مرافقاه منعه من ذلك..." (٣١).

فالراوي لا يقدم لنا تفسيراً عن هذا الشيخ ونزيفه فهو لا يعرف قصته إلا بعد أن توصل محمود - الشخصية - لمعرفة سبب ذلك النزيف، وأنه - أي الشيخ - زعيم عصابة، واسمه جابر... هذا كله تم التعرف عليه من خلال محمود - الشخصية - لا من خلال الراوي، فالعلاقة متساوية بين الراوي والشخصية، وهو ما أطلق عليه توماشفسكي: السرد الذاتي (٣٢).

ويصور الراوي للقارئ في هذا المظهر مشهداً يجري أمامه كما في المثال الآتي: "كانت قطة من ست قطيطات،

أن الرؤية من الخلف، أو ما يسمّى:
الراوي كلي المعرفة، هو المظهر المسيطر
على ضروب السرد الموجه للأطفال؛ لأنّ
الكاتب -حتى وهو يصف مشهداً خارجياً
فإنه يلجأ للشرح، والتوضيح، والتعليق،
والوصف -أي يتدخل- حتى يوصل
المعلومة للصغار.

ففي حكاية: الصياد والحجل
يتدخل الراوي مبيناً دقائق الأمور شارحاً
ومعلّقاً على كلّ جزئية في القصة فهو -أي
الراوي- كلي المعرفة يبين ما يفكر به طائر
الحجل، والمصيدة التي نصبت له، وما فيها
من حب، ولا يكتفي بذلك، بل يلجأ إلى
التعليق عندما يبين سبب سقوط الحجل
في المصيدة، ليوصل فكرة للطفل مفادها
أنّ السرعة تؤدي إلى الوقوع في الشر:

جوعان كان الحجل

يبحث عما يأكل

وراح بين صخرة

وعشبة ينتقل

مباهياً بسمن

به الطيور تخجل

مصيدة مفتوحة

كانت على الدرب

منصوبة لمثله

موفورة الحب

وهذا هو المظهر الثالث من مظاهر
زاوية الرؤية، يعرف الراوي في هذا المظهر
أقل مما تعرف أي شخصية من
الشخصيات الروائية، وقد وضع جنيت
هذا النمط تحت ما يسمى الحكاية ذات
التبئير الخارجي، و"التي يتصرف فيها
البطل أمامنا دون أن يسمح لنا بمعرفة
أفكاره أو عواطفه" ^(٣٦).

وإذا كان هذا المظهر أقل من
ضروب السرد الأخرى في أدب الكبار، فإنّه
نادر في الأدب الموجه للطفل العربي
للأسباب التي ذكرت عند الحديث عن
المظهر الأول.

يرى رولان بارت أنّ التصورات
الثلاثة- السابقة- تتصف مجتمعة بضيق
الأفق؛ لأنها تنظر إلى الراوي والشخصيات
كأشخاص حقيقيين، أحياء. لذلك يذهب -
بارت- إلى أنّ الراوي والشخصيات بشكل
جوهرى هي كائنات من ورق، وأنّ
المؤلف المادي لسرد ما لا يمكن أن يلتبس
بأي شيء آخر مع سارد هذا السرد، فمن
يتكلم داخل السرد ليس هو من يتكلم في
الحياة، ومن يكتب ليس هو من يوجد في
السرد، وبالفعل هناك عدد من السرد لا
مؤلف لها، مثل: الخرافات الشعبية،
والملاحم المنسوبة للمنشدين ^(٣٧).

من خلال قراءة نماذج من القصص الموجه
للطفل العربي تم التوصل إلى ما يلي:

فيها^(٤٠)، مثل راوي حكاية "الأسد والبعوضة" لأحمد الكسراوي، والراوي في قصص مجموعة: "قالت الوردة للسنونو" لذكريا تامر، وفي مجموعة "القطعة مياو" ليلنا الكيلاني، وقصة "علاء الدين" لكامل كيلاني... الخ.

وإما أن يكون الراوي شخصية حكاية موجودة داخل الحكى، -جواني الحكى- يشارك في ما يجري فيها، فهو يروي سيرته^(٤١)، ومنه الطفل الذي يروي الحكاية في قصة "السوار الذهبي"، فهو شخصية في حكايته، يروي لنا الحكاية الرئيسة: "رافقت جدي ذات يوم من أيام الصيف الحارة إلى دكان صائغ، لاسترجاع سوار ذهبي...."^(٤٢) ثم يروي الجد- جدّ الصبي- للطفل حكاية الصائغ: "وأثناء سيرنا التفت إلي وقال: إنّ قصة ذلك الصائغ لطويلة، إنها قصة صراع الإنسان مع الزمان، قصة من صبر وظفر: لقد شاءت الأقدار أن يتوفى والده وهو مازال في بطن أمه..."^(٤٣) فهذه الحكاية التي يرويها الجدّ هي حكاية ثانوية ضمن الحكاية الرئيسة وهي مستقلة بشخصياتها، وأزمانها، وأماكنها عن الحكاية الأولى، يرويها الجد دون أن يكون حاضراً في أحداثها، وفي نهاية القصة يعود الراوي الرئيسي -الطفل- فيعيد القارئ للحكاية الرئيسة: "ودخلنا الدار وقدّمنا لجدتي السوار، فدعت لنا بطول العمر"^(٤٤)

دخلها في سرعة
والستهم الطعمام
الحبّ كان حلمه
قد تخدع الأحلام^(٣٨)

ويحاول الطير أن يخلص نفسه من
المصيدة، ولو بخيانة سربه، فيرفض الصيد
توسلاته، ويردّ عليه الشاعر، على لسان
الصيد:

يأأردأ الطيور
يأأسوأ الحجال
تجر أصدقاءك الناجين للهلاك
لا يستحق الموت عندي طائر سواك
ويختتم الراوي القصة بموعظة
هدفها تربوي:
الخائن ليس له أحد
الخائن يلفظه البلد.

مظاهر حضور الراوي في الحكى:

تعني دراسة حضور الراوي تتبع أثر
صوته داخل الحكى من خلال الحديث عن
الراوي في الرواية- الحكى- والإشارة إلى
تدخلاته في الحكى، وتعدد الرواة فيه^(٣٩).

الراوي في الحكى: للراوي في الرواية
شكلان، فإما أن يكون خارجاً عن نطاق
الحكى، لا ينتمي للحكاية -براني الحكى-:
أي ليس الراوي شخصية من شخصياتها،
ولا يشارك سلباً ولا إيجاباً فيما يجري

وقد تحتوي الحكاية على ثلاثة رواة، وثلاث حكايات، وثلاثة مستويات كما في قصة "القصر الهندي"، الراوي الأول لا اسم له، فهو الراوي الغائب، موقعه خارج الحكاية الرئيسة التي يرويها: "كان لملك "بنارس" أمنية واحدة يسعى لتحقيقها جاهداً، لا يهنأ له بال أو يظفر بإدراكها..."^(٤٨)، والراوي هنا لا ينتمي للحكاية؛ لأنه ليس شخصية من شخصياتها. والراوي الثاني هو وزير الملك "نارادا" الذي يروي للملك حكاية، فموقعه من حيث مستوى السرد داخل الحكاية الرئيسة؛ لأنه أحد شخصياتها: "كان الرّاجا- أول أمره- ناسكاً معروفاً بالزهد والورع، وكان يدعى "ساميتي" وقد عاش في إحدى القرى الصغيرة الواقعة على نهر الكنج..."^(٤٩). حيث يروي "نارادا" الحكاية وهو ليس حاضراً فيها، والراوي الثالث هو "ساميتي"، موقعه من حيث مستوى السرد، داخل الحكاية الثانوية، وهو ينتمي للحكاية التي يرويها؛ لأنها سيرته وهو أحد شخصياتها: "أي فضل استحققه فأظفري بهذه القداسة التي ينعتونني بها ؟...أريد أن ألتقي الشر وجهاً لوجه، وأحاربه غير هيأب ..."^(٥٠).

يغلب على قصص الأطفال أن يكون الراوي فيها براني الحكى، وليس جواني الحكى، ولعل سبب ذلك أن الراوي جواني الحكى يستدعي وجود عدّة حكايات متداخل بعضها مع بعض مما يثقل على

وفي قصة: قالت شهرزاد بنت الوزير. هناك راوٍ يروي لنا الحكاية الأساسية: "كان الملك شهريار أعظم ملوك عصره شأنًا، وأعزهم سلطاناً، وقد حكم رعيته -في أول عهده- حكماً أساسه العدل، فأمن الخائف، وانتصف للضعيف من القوي، وسهر على راحة الشعب، وشجع العلم، والعلماء، ولم يأل جهداً في إسعاد رعيته..."^(٤٥)، هذا الراوي يعود في خاتمة القصة: "وكانت قد أنجبت منه في أثناها ولدين، واستولت على إعجابه وثقته بما آتاها الله من أصالة الحكمة..."^(٤٦) فهذا الراوي خارج كلّ حكاية تجري في داخل الحكاية الرئيسة، إنه الراوي الأول، أما شهرزاد، وأبوها الوزير آزاد، وأختها دنيا زاد، والملك شهريار فهم شخصيات في حكايته، ثم يروي أبوها لها حكاية- لشهرزاد:- "فقال آزاد: عاش في قديم الزمان تاجر من أغنياء الريف، اسمه عمّار، علّمه صاحب له من الجنّ لغة الحيوان، بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق أن يكتّم سره فلا يبوح به لكائن كان، وأنذره بالهلاك إذا خالف ما عاهده عليه..."^(٤٧) هذه الحكاية التي يرويها آزاد هي حكاية ثانوية ضمن الحكاية الرئيسة، وهي مستقلة بشخصياتها وأزمانها، وأماكنها عن الحكاية الأولى، ويرويها آزاد دون أن يكون حاضراً في أحداثها. وتروي شهرزاد لأبيها حكاية: الغزالة والأسد، وهي حكاية ثانوية -أيضاً- ضمن الحكاية الرئيسة.

المعرفة هو الكاتب الذي فشل في أن يظهر بمظهر عدم التدخل، أو بمظهر الوسيط الذي ينقل أو يروي عن الآخرين، أو الذي يفسح لهم - إذ يروي عنهم- أن يرووا هم عن أنفسهم فيترك لهم بذلك إمكانية أن يبدوا ذواتهم وحقيقتهم وأن يتحركوا بالتالي في عالم روايته بحرية متمتعين بوجودهم الشخصي المستقل عن ذاته ككاتب، أو عن أفكاره ورؤاه كمتقف^(٥١).

ومن الأسباب التي تجعل الراوي كُلي المعرفة راوياً سيئاً أن "الراوي الذي يعرف كل شيء هو راوٍ يكشف الكاتب، ويسقط المسافة الضرورية، التي على الكاتب أن يقيمها بينه كشخص له أفكاره وأحاسيسه وذاتيته، وبينه كفنان قادر على أن يصور شخصياته بما يخص هويتها، ويميزها بحقيقتها واختلافها عنه من جهة، وعن بعضها من جهة ثانية، فينظم زمن القصة، وبينه وفق ضرورات اتساقه مع المكان الذي تعيش فيه الشخصيات، أو المحيط الاجتماعي الذي ينسج علاقاتها فيما بينها"^(٥٢).

وراوي القصة أو الحكاية في أدب الأطفال-على الأغلب- راوٍ كلي المعرفة بسبب خصوصية المتلقي- الطفل- إذ يحتاج إلى شرح وتفسير وتعليق؛ لأنه لا يدرك المقصود إلا من خلال تدخل الراوي في كثير من الأحيان؛ لذلك فمن الأنسب للراوي أن يكون بسيطاً في تعامله معه،

الطفل، حيث يمنعه تداخل الحكايات من التواصل مع القصة الأولى، بمعنى آخر: الطفل لا يكاد يدخل في القصة الثانية - الثانوية - حتى ينسى القصة الرئيسة، ولهذا فهو لا يستطيع الربط بين القصص الثانوية والقصة الرئيسة؛ مما جعل الكتاب يفضلون الراوي برائي الحكى في قصص الأطفال.

تدخلات الراوي في القصص والحكايات:

تتلاحم في النص الأدبي الإبداعي ثلاثة عناصر هي: المبدع، والرسالة، والمتلقي. وكل واحد من هذه العناصر له دور كبير في هذا النص، وبما أن البحث يتناول حقل الأطفال، فإنه لا بد له أن يركّز في حكمه على آليات ولادة النص من خلال خصوصية المتلقي، فهذه الخصوصية هي التي تشكل النص من حيث المضمون والقالب.

تختلف الكتابة للصغار عن الكتابة للكبار في عنصر حاسم يعود للمتلقي وهو تحديد القدرات العقلية، والخصائص العمرية للمتلقي، الأمر الذي لا يركّز عليه في الكتابة للكبار التي لا يحدها قانون غير قانون الإبداع. إذن هناك سلطة تمارس على كاتب الأطفال منذ البداية كي يحدد نفسه في آليات السرد، ومن هنا نجد الراوي في أدب الأطفال مغايراً لما هو عليه في أدب الكبار، فالراوي في أدب الكبار إذا كان كلي المعرفة يعدّ "راوياً سيئاً؛ لأنّ الراوي الذي يعرف كل شيء أو كلي

ويعمل الراوي على تلخيص قصته وبيان مغزاها في نهاية الحكاية: "وهكذا عرفت بنت الوزير كيف تجلب السعادة لها ولأختها وأبيها وبنات جنسها وذويها، بعد أن فتنت زوجها بما أبدعته من قصص سامر، وحديث باهر، أسلمته إلى عالم السعادة والهناء والبهجة والبهاء، لا كما أسلمت الغزالة صاحبها الأسد إلى عالم الموت والفناء، بعد أن كذبت به إلى قرار الماء"^(٥٥). وإن كان يلجأ للتلميح لا للتصريح، أي أن يعتمد الأسلوب التصويري لا التقريري هذا من جانب، ومن جانب آخر؛ لأن خاتمة القصة كانت قد أشارت بوضوح إلى ما فعلته شهرزاد مع شهريار، وكيف عملت على إنقاذ نفسها وبنات جنسها من الملك: "وهكذا كانت شهرزاد تعمد -كل ليلة- إلى قطع حديثها في مواقف جذابة من قصصها لترغمه على الإبقاء على حياتها...وما زالت تنقل الملك من فتنة إلى فتنة... في أسلوب قصصي رائع حتى انقضى -على زواجهما- ألف ليلة وليلة، وكانت قد أنجبت منه في أثنائها ولدين، واستولت على إعجابه، وثقته بما آتاها الله من أصالة حكمة، ورجاحة عقل، وصدق ووفاء، فلم يطق فراقها، وعاش معها أسعد عيشة"^(٥٦).

والملاحظ أن الكاتب إذا تكلم داخل الرواية في أدب الكبار، كان كلامه تدخلاً في عالم ليس عالمه، وهذا التدخل يخرج القارئ من عالم الراوي ويردّه إلى عالم

وفي أساليب سرده -وقد يلجأ الراوي إلى أساليب ترغّب المتلقي بقصته، كأن يبدأ بقوالب حكائية: كان يا ما كان، في قديم الزمان وسالف العصر والأوان... أو يستعمل أسلوب التشويق في بداية القصة عن طريق محاولة إدخال الأطفال في جو القصة كما كان يفعل كامل كيلاني في بداية بعض قصصه: "أتعرفون بلاد الصين أيها الأطفال الأعزّاء؟ لعلكم سمعتم باسمها، وما أظنكم قد سافرتم إليها مرة واحدة في حياتكم، فهي بلاد بعيدة جداً، وأنا أحب أن أقص عليكم شيئاً مما حدث في تلك البلاد البعيدة"^(٥٧) بعد ذلك يبدأ سرد قصة علاء الدين.

ويلجأ الراوي -أحياناً- للتواصل مع الطفل، حيث نجده يخاطبه في متن القصة: "وكادت تلدغها لولا أن لافظاً أسرع فطردها وهي تهم بلسع جبينها. أراك تسألني -أيها الطفل العزيز- أي حشرات، هذه الحشرات التي كان يحويها ذلك الصندوق؟ فاعلم -حفظك الله- أن هذه الحشرات التي تصفها لك الأسطورة: هي أسرة الشقاء..."^(٥٨). ولعل هذه الأساليب السردية كانت نتيجة للتأثر بالعقلية الشفاهية التي سادت عملية إنتاج الحكايات الشعبية، وما زالت تتحكم بالنص المكتوب، كالأمثلة التي ذكرت سابقاً، فالكثير من هذه المظاهر الشفاهية مازال يمارس في الإنتاج المقدّم للأطفال.

"قال الديك متسائلاً بفضول ولهفة: ماذا سأشتغل فأنا كما تعلم لا أجيّد سوى الصياح؟ ضحك الرجل وقال: العلماء لم يخترعوا الساعات بعد، وسينجحون في صنعها في المستقبل، وعملك سيكون أن توقظني بصياحك كلّ يوم في الصباح الباكر"^(٥٩) فجملة: العلماء لم يخترعوا الساعات.... لا داعي لها، وقد تكون مسوغة لو كانت القصة تتحدّث عن الخيال العلمي، في زمن سابق على اختراع الساعات، فكيف سيتفاعل الطفل مع هذه القصة، وهو يتعامل مع الساعات في كل أوقاته، حتى يده لا تخلو من الساعة على الأغلب؟

ويتحدّث الراوي-أحياناً- على لسان الشخصيات في القصة بأفكار رمزيّة لا يستطيع الطفل أن يدركها، وأن يتعامل معها: "اقتربت غيمة من القمر وغطته، فاختفى واختفت صورته في الماء. ابتسم التمساح ظاناً أنّه أكل القمر. توقف التمساح عن شرب الماء، لأنّه لم يعد يحسّ بالجوع، خرجت التماسيح من الماء وهي تنظر إلى السماء باحثة عن القمر، فلم تجده، لأنّه اختفى وراء الغيمة، لكن التمساح الصغير بدأ يضحك لأنّه وحده يعرف أين اختفى القمر"^(٦٠).

وقد يجعل الراوي -الكاتب- الشخصيات تتصرف بما لا يتناسب مع مستواها الإدراكي كقصة: الحلال والحرام، التي يروي فيها -طفل في الثامنة من

الكاتب، ومن ثمّ يضرّ هذا التدخل- غالباً- بالرواية^(٥٧)، بينما لا يضرّ تدخل الكاتب في أدب الأطفال بعالم القصة أو الحكاية- غالباً- للاعتبارات التربويّة والتشويقيّة التي ذكرت سابقاً. لكن بشرط ألا يكون هذا التدخل شاملاً في القصة، من حيث مضمونها، وبنائها، فلا ضير أن يتدخل لاعتبارات خاصة- شرحاً وتعليقاً- ولكن ليس عن طريق فرض آرائه على الشخصيات وإنطاقها بما فوق مستواها؛ لأنّ الأصل أن تتكلم الشخصيات بلسانها، لا بلسان الكاتب، وأن تتكلم وفق ثقافتها، بحيث لا تكون شخصيات القصة "بوقاً" ينقل ما يلقي إليه المؤلّف من الكلام، فيكون المتكلم هو المؤلّف نفسه على لسان هذه الشخصيات الببغويّة، من الأفضل أن يبقى للشخصيات كياناتها المستقلّة، وأن تظلّ حية في حركاتها وسكناتها، وأن يحسّ القارئ من أعمالها حرارة هذه الحياة، ويتعرف من مقالها على ما تتميز به من شمائل وحقائق، فلا تتكلم هذه الشخصيات إلّا بالأسلوب الطبيعي الذي يلائم نفسيّتها، ولا تعمل إلّا وفق الحوادث على منهجها المرسوم لها"^(٥٨).

يحاول كاتب -في بعض الأحيان- أن يوصل فكرة للطفل لكنه لا يحسن تقديمها، مثل: أنّ الجميع عليهم أن يعملوا ليأكلوا، كما في قصة: الديك يجد عملاً. ولكنّه ينطق الشخصيات بكلام لا يتناسب مع المراد:

الفيضان. فكرهتني سيدي، وملّيت بقائي...وعزمت على أن تتخلص مني، وتلقيني في البحر، فهربت منها..."^(٦٥).

والديك كذلك: "ماذا أصنع يا صديقي العزيز؟ لقد كنت في هذا الصباح مبتهجاً أشدّ الابتهاج..."^(٦٦) فكلّ راوٍ يعرف القارئ على قصته الثانوية التي تشكل عند التحامها مع القصص الأخرى القصة الرئيسية. ومن أمثلة هذا النمط- أيضاً- قصة أسرة السناجب لكامل كيلاني.

تختلف علاقة الكاتب بالقارئ في الكتابات الروائية، والقصصية: التقليدية وغير التقليدية، ففي الكتابات التقليدية تكون علاقة الكاتب بالقارئ علاقة "بسيطة تتشكل من طرفين اثنين: أحدهما الكاتب، وهو الذي يملّي رأيه، وهو الذي (يعلم) و (يَعلم) معاً، وأحدهما الآخر وهو القارئ الذي يتلقى النص الروائي جاهزاً، كاملاً، محبوباً، مصنّعاً، مرتباً، بحيث ليس عليه هو إلا أن يقرأ، ويتمتع بما يقرأ... فدوره كان، إذن، استهلاكاً محضاً"^(٦٧). وينطبق هذا على أدب الأطفال.

أما في الكتابات غير التقليدية "فإن دور القارئ يغتدي مركزياً، ذلك بأن النص الذي يقدم ليس كاملاً ولا جاهزاً، ولا مصنّعاً، ولكنه نص غير محبوب... ويتنظر من قارئه أن يبذل فيه جهداً يكمل بناءه... فدور القارئ في مثل هذا الحال كأنه بنائي، لا استهلاكي، فكأنه وهو يقرأ

عمره- قصته، فقد كسب مبلغاً من المال عن طريق الرهان -عشرة قروش- فوضعها في جيبه مع عشرة قروش أخرى كانت بحوزته، ثم ذهب لحضور مباراة لزملائه، فقدهما ولكنه فرح بذلك:

"وسيطرت علي فكرة شعرت لها بالارتياح الشديد، لقد ارتكبت الخطأ الكبير بقبولي التحدي، ورضاي بالحصول على العشرة قروش من زميلي، إنّها حرام...وها هو الحرام قد أخذ الحلال في طريقه، وضاعت القطعتان معاً...في هذه اللحظة التي خطر ببالي ذلك أحسست بالرضا وغمرني فرح داخلي...لن أدخل البيت بفلوسٍ حرام أبداً"^(٦٨).

يسمح الحكي بتعدد الرواة في الرواية الواحدة -القصة- فيروي كلّ واحد منهم ما يعرف، أي يروي جزءاً من مادة الرواية، ويكون هناك راوٍ رئيس يقدم إطار الرواية^(٦٩) كقصة: عفاريت اللصوص، فهناك راوٍ رئيس يقدم إطار الحكاية: "كان حمار الزّارع نَشِيطاً، لا يتعب من العمل، ولا يعصي لسيده الزّارع أمراً..."^(٧٠)، كما يوجد عدد من الرواة يختص كل واحد منهم بسرد قصته: الكلب يسرد قصته: "لقد كرهني سيدي؛ لأنني كبرت وعجزت عن خدمته وقد سمعته أمس يحدث أحد أصدقائه بأنه عازم على قتلي، فهربت منه..."^(٧١).

والقط يسرد قصته: "لقد كبرت سنّي... وعجزتُ يا صديقي عن صيد

السرد، بل كيفة الرواية؛ لأنه ليس الهدف من القصص والحكايات الموجهة للأطفال التسلية -فحسب- بل تسعى لتوسيع خيالهم، وأن تكون متنفساً لطاقتهم، وعن طريقها تفتح عواطفهم، وانفعالاتهم المبكرة كالفرح، والحزن والخوف، والقلق، إلى جانب تزويدهم بالمعلومات المعرفية والعلمية، وقد أشبع كثير من القصص العربية حاجات الأطفال، وراعت النواحي السيكلوجية لهم، وهذا لن يتم بشكل فعال إلا إذا أبدع الكتاب القصص المناسبة للأطفال.

وقد قدّم أدباء الأطفال العرب مادة حكايتهم عن طريق مجموعة من الصيغ وهي السرد: حيث ركّزوا على السرد اللاحق للحدث، وفيما يتعلّق بالترتيب الزمني، فقد استخدم الكتاب صيغتي الاسترجاع، والاستباق، وكان الاستباق أقلّ تردداً من الاسترجاع؛ لأنّ الاستباق يحلّ محلّ التشويق، وقد ابتعد كتاب القصة العربية -في أدب الأطفال- عن تواتر الأقسامات للاستباق والاسترجاع وتشابكهما؛ لأنهما يشوشان الأمور عند القارئ بشكل عام، فكيف الأطفال؟!.

ومن خلال دراسة هذا الموضوع - أي القصص المقدّم للطفل العربي- فإنه يجدر الحديث عن بعض المشكلات التي تعترض الكتابة للأطفال وسبل تجنبها: أولاً: أنه يفتقر إلى تحديد المرحلة العمرية، حيث تصدر دور النشر- العربية

يتناص مع المؤلف فيحاول مواكبته بإكمال بناء النص المقروء"^(٦٨).

وأخيراً، يلاحظ أنّ طبيعة العلاقة بين الكاتب المرئي والقارئ -الطفل- هي علاقة باتجاه واحد، تنطلق من الكاتب وتنتهي عند الطفل عبر رؤية وعظية تمثّل سلطة الراوي على المسرود له، فالكلمة السلطوية سواء كانت دينية أو سياسية، أو أخلاقية، أو كانت كلمة الأب، أو كلمة الأكبر سناً، أو كلمة المعلمين "تقتضي- منا الاعتراف والاستيعاب فهي مفروضة علينا بغض النظر عن درجة اقناعيتها الداخلية بالنسبة لنا، إذ نجدها مسبقاً متحدة بممثل سلطة ما"^(٦٩).

وكما هو معلوم فإنّ الراوي/ الكاتب - في أدب الأطفال- يبذل قصارى جهده كواعظ ومعلم، ويستغل كلّ الوسائل المتاحة لتصل المعلومة للطفل الملقن، وهذا يدفع الراوي إلى حشد المزيد من أشكال الرواية المبسطة داخل النص الواحد، كي يضمن أنّ الرسالة قد وصلت. فالراوي المسيطر على عملية السرد لغايات وعظية إرشادية تعليمية، وهو يمارس هذه السلطة حتى يبقى المتلقي خاضعاً لسلطته.

الخاتمة والنتائج:

يسيطر الراوي على ما سيروى، أو كيفة روايته، وحيث لا تعود مجموعة الأحداث التي وقعت هي الأهم في العمل

ب- تحرير عقل الطفل من المحرمات الفكرية، ودعوته للارتباط بالبيئة للبحث عن كل ما هو جديد وخلّاق.

ج- تدريب الطفل على الاستماع الناقد، والقراءة الواعية، وقبول آراء الآخرين، والموازنة بينهما، وجعله يهتم بالتفسير والتعليل، وغيرها من الأساليب التربوية والعلمية الحديثة.

ثالثاً: تزويد الطفل بمعلومات مضللة عن الحياة وتقديم صورة مشوهة لها، وذلك عندما تصف القصة البشر - على أنهم سعداء وأذكياء دائماً، وأن الحياة مملؤها العطف والحب، وتطرح قصص أخرى الجانب العكسي- للحياة فتصف البشر بأنهم تعساء وأغبياء والحياة مليئة بالشر والخوف، ولا أحد ينكر أن الحياة فيها هذا الجانب أو ذاك، ولكن الأفضل أن تقدّم الحياة بصورة متوازنة تظهر جوانبها المختلفة، حتى يستفيد الطفل ويتعلم، ويستطيع أن يفهم الحياة ويعيش فيها متأقلاً، لا متخيلاً فقط؛ لأن وصف الحياة على أنها صورة واحدة - سلبية أو إيجابية - يؤدي إلى نتائج عكسية على الطفل عندما يقارن نفسه مع الصور المقدّمة له أمّا تصوير الخير والشر - فإنه يجعل الطفل يحب الخير ويتفاعل معه، وينفر من الشر ويتبعه عنه.

كتب الأطفال دون تحديد المرحلة العمرية المناسبة لها- إلا قليلاً مما يصدر- وقد أدى هذا إلى خلق مشاكل بالنسبة للآباء والمعلمين، والباحثين حيث منعهم هذا الأمر من تصنيف الكتب من جهة، وجعل الطفل يقف حائراً أمام اختيار ما يناسب مرحلته من جهة أخرى، ويكمن الحلّ في تحديد المرحلة العمرية المناسبة لكل قصة أو سلسلة من القصص التي تقدّم للأطفال وهذا يحتاج إلى إلمام الكتاب بمراحل الطفولة وخصائصها المتنوعة.

ثانياً: تعتمد كثير من القصص على الحظ والمصادقة، والسحر، والجن...، وهذه القصص لها نتائج خطيرة؛ لأنها تنمي فيهم الميل إلى الاعتقاد بأن النجاح في الحياة لا يعتمد على العمل بقدر ما يعتمد على الحظ أو جني أو سحر يخلق السعادة للطفل، وهذا لا يعني الابتعاد عن قصص الخيال، بل يحتاج الأمر إلى أن تكون القصة قريبة من الواقع أيضاً، وتعالج المشكلات الحياتية التي يعيشها الطفل العربي في الوقت الراهن، وهذا يتم من خلال مراعاة بعض الأمور منها:

أ- تقديم مادة الأدب بأساليب تستثير الطفل وتحدي عقله، وتفتح المجال أمامه ليفكر تفكيراً علمياً، وبالمقابل تفسح المجال لخياله كي يتصور ويخلق.

الهوامش:

الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،
المغرب، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٧.

(٧) شلوميت، ريمون كنعان: التخييل
القصصي، ترجمة لحسن أحمامه، دار
الثقافة، الدار البيضاء- المغرب، ط ١،
١٩٩٥م، ص ١٣٢.

(٨) يمني العيد، تقنيات السرد الروائي، دار
الفارابي، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٢٨.

(٩) لوبوك، بيرسي، صناعة الرواية، ترجمة
عبدالستار جواد، دار مجدلاوي، عمان-
الأردن، ط ٢، ٢٠٠٠م، ص ٢٢٥.

(١٠) انظر: جيت، جيرار: خطاب
الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة محمد
معتصم وآخرين، الهيئة العامة للمطابع
الأميرية، المغرب، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ٢٦٤-
٢٦٥.

(١١) العيد: تقنيات السرد الروائي، ص ٩٤.

(١٢) التبئير: هو تقليص حقل الرؤية عند
الراوي وحصر معلوماته، سمي هذا
الحصر بالتبئير لأن السرد يجري فيه من
خلال بؤرة تحدد إطار الرؤية وتحصره،
والتبئير سمة أساسية من سمات المنظور
السردية. والمنظور يجيب عن السؤال: من
يرى؟ وأصناف التبئير ثلاثة تتحصل من

(١) سبيني، سرجيو: التربية اللغوية للطفل،
ترجمة فوزي عيسى وعبدالفتاح
عبدالفتاح، دار الفكر العربي، القاهرة،
ط ١، ١٩٩١م، ص ١٣٠.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر:
البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون،
مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥، ١٩٨٥م،
ج ١، ص ١٣٨-١٣٩.

(٣) رمضان، كافية، مضمون الكتب
الصادرة للأطفال، بحث منشور في كتاب
(كتب الأطفال في الدول العربية والنامية)،
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،
ط ١، ١٩٨٤م، ص ١١٢.

(٤) الفيصل، سمر روعي: الخصائص
اللغوية لأدب الناشئة، مجلة التربية، قطر،
١١٨/٢٥، ١٩٩٦، ص ٢٠٥.

(٥) انظر: عبدالعزيز عبدالمجيد، القصة
في التربية، دار المعارف بمصر، القاهرة،
ط ٧، د.ت. ص ٢٤-٢٥.

(٦) انظر: مارتن، والاس: نظريات السرد
الحديثة، ترجمة حياة جاسم محمد،

الحالة يقوم بوظيفة البطل في الوقائع المروية، وقد يكون مهماً أو غير مهم، أو مجرد ملاحظ، وبذلك تستعمل كلمة الراوي والراوي لنفس الغرض والمعنى، لمزيد من المعلومات انظر: برنس، جيرالد: **المصطلح السردى**، ترجمة عايد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٥٨-١٥٩.

(١٥) السرد الموضوعي: يكون الكاتب فيه مطلعاً على كل شيء حتى الأفكار السرية للأبطال، فيقدم الحكى بصورة موضوعية باسم الكاتب على شكل إخبار، دون أن يفسر لنا كيف نتمكن من معرفة هذه الأحداث، للمزيد: انظر توماشفسكي: **نظرية المنهج الشكلي**، ترجمة إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٢م، ص١٨٩.

(١٦) انظر: جنيت، **خطاب الحكاية**، ص٢٠٢.

(١٧) قاسم، سيزا، **بناء الرواية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م، ص١٣٢.

(١٨) انظر: العيسى، سليمان، **ديوان الأطفال**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص٤٣٣-٤٣٤.

مقارنة معلومات الراوي بمعلومات الشخصية التي يتناولها التبئير، فإذا كان الراوي يعلم أكثر مما تعلم الشخصية كان التبئير غير موجود، أي السرد في حالة لا تبئير- وإذا تساوى في المعرفة كان التبئير داخلياً، وإذا كان الراوي يعلم أقل مما تعلم الشخصية كان التبئير خارجياً، لمزيد من المعلومات حول التبئير انظر: زيتوني، لطيف: **معجم مصطلحات نقد الرواية**، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص٤٠-٤٣.

(١٣) انظر: تودوروف: **مقولات السرد الأدبي، تحليل الخطاب الروائي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٩م، ص٥٨-٥٩.

(١٤) يدل مصطلح (السارد) على الشخص الذي يقوم بالسرد، وهناك على الأقل سارد واحد لكل سرد، وفي سرد ما قد يكون هناك عدة ساردين يتحدثون لعدة مسرود لهم أو لمسرود واحد بذاته، والراوي قد يكون -في الغالب ظاهراً وعلى جانب من المعرفة وعليماً بكل شيء وواعياً وموثوقاً به، ويمكن أن لا ينتمي الراوي إلى عالم الحكى، وقد يكون جزءاً منه، وعلاوة على ذلك فإنه يمكن أن يكون من خارج المادة المحكية، أو واحداً من شخصيات المادة المحكية أي الشخص الأول، وفي هذه

- (١٩) تامر: القطة الكسلانة، دار الكتب، بيروت، د. ت ص ١.
- (٢٠) كيلاني، كامل: قالت شهرزاد بنت الوزير، دار المعارف، ص ٢.
- (٢١) كيلاني، كامل: أبوصير وأبو قير، دار المعارف، ط ١٨، ص ١١.
- (٢٢) شوقي، أحمد: الشوقيات ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ٢٠٠١م، ص ١٢٠.
- (٢٣) كيلاني، كامل، القصر الهندي، دار المعارف، ص ١٥.
- (٢٤) المنسي، قنديل، محمد، أحلام أبي الحسن البغدادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م، ص ١٦.
- (٢٥) حسن شحاته: أدب الطفل العربي، الدار المصرية اللبنانية، (د. ط)، (د. ت)، ص ١٤.
- (٢٦) المرجع نفسه، ص ١٤-١٥.
- (٢٧) كيلاني، كامل: قالت شهرزاد، ص ٢.
- (٢٨) المصدر نفسه، ص ٢.
- (٢٩) انظر: الفيصل، الخصائص اللغوية لأدب الناشئة، ص ٢١١-٢١٢.
- (٣٠) انظر: جنيت: خطاب الحكاية، ص ٢٠٤.
- (٣١) الهادي بن ضياء، عاقبة الغدر، ضمن مجموعة: أقاصيص تونسية، دار المعارف، سوسة- تونس، ١٩٨٣م، ص ٤٨-٤٩.
- (٣٢) السرد الذاتي: أن نتبع الحكي من خلال عيني الراوي أو طرف مستمع، متوفرين على تفسير لكل خبر، متى وكيف عرفه الراوي أو المستمع نفسه؟ للمزيد انظر: نظرية المنهج الشكلي، ص ١٨٩.
- (٣٣) لينا كيلاني: القطة مياو، مطبعة الجاحظ، دمشق، ١٩٩١م، ص ١٢.
- (٣٤) البعلبكي، فيروز: قصة ضياء وشمس الضحى، مجموعة: الحمامة الشاردة، دار العلم للملايين- بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٣٦.
- (٣٥) الهادي بن ضياء: السوار الذهبى مجموعة: أقاصيص تونسية، ص ٦٧.
- (٣٦) جنيت، خطاب الحكاية، ص ٢٠٢.
- (٣٧) انظر: بارت، رولان: التحليل البنيوي للسرد، ترجمة، حسن بحراوي وآخرين،

- طرائق تحليل السرد الأدبي، ص ٢٧ وهامش رقم (١١) ص ٣٦.
- (٤٩) المصدر نفسه، ص ٢٢.
- (٥٠) المصدر نفسه، ص ٢٣.
- (٣٨) العيسى: ديوان الأطفال، ص ٤٣١-٤٣٦.
- (٥١) العيد: تقنيات السرد الروائي، ص ٩٢-٩٣.
- (٣٩) انظر: الحمداني، حميد: بنية النص السردى، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، الدار البيضاء-المغرب، ط ١، ١٩٩١م، ص ٤٨-٤٩.
- (٥٢) المرجع نفسه، ص ٩٣.
- (٥٣) كيلاني، كامل: علاء الدين، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط ١٨، ص ٩.
- (٤٠) انظر: زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص ١٥٣.
- (٥٤) كيلاني، كامل، في بلاد العجائب، دار المعارف بمصر، القاهرة، ص ٢١.
- (٤١) انظر: المرجع نفسه، ص ١٥٣.
- (٥٥) كيلاني، كامل، قالت شهرزاد بنت الوزير، دار المعارف بمصر، القاهرة، د. ت. ص ١٨.
- (٤٢) الهادي بن ضياء: السوار الذهبى، ص ٦٧.
- (٥٦) المصدر نفسه، ص ١٧.
- (٤٣) المصدر نفسه، ص ٨٠.
- (٥٧) انظر: زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص ٤٨.
- (٤٤) المصدر السابق، ص ٨٥.
- (٥٨) تيمور، محمود: دراسات في القصة والمسرح، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٢، ١٩٣٦م، ص ١٠٥-١٠٦.
- (٤٥) كيلاني، كامل: قالت شهرزاد بنت الوزير، ص ٢.
- (٤٦) المصدر نفسه، ص ١٧.
- (٤٧) المصدر نفسه، ص ٦.
- (٥٩) انظر: تامر، زكريا: الديك يجد عملاً، مجموعة: قالت الوردة للسنونو، دار المعارف بمصر، القاهرة، د. ت. ص ٢.
- (٤٨) كيلاني، كامل: القصر الهندي، دار المعارف بمصر، القاهرة، د. ت. ص ٢.

(٦٩) باختين، ميخائيل: الكلمة في الرواية، ترجمة يوسف حلاق، مكتبة الأسد، دمشق- سوريا، ط١، ١٩٨٨م، ص١٢٣.

منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٧م. ص٣٧.

(٦٠) فاروق يوسف: حين أكلت القمر، مجموعة التمساح والقمر، دار الحرية للطباعة، بغداد- العراق، ص١٢.

(٦١) عبدالتواب يوسف: الحلال والحرام، مجلة الفردوس، مطابع الأهرام، القاهرة، أكتوبر ١٩٩٩م، ص٤-٥.

(٦٢) انظر: زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص٩٥.

(٦٣) كيلاني، كامل، عفاريت اللصوص، دار المعارف-القاهرة، ط١٩، ص٣.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٤.

(٦٥) المصدر السابق، ص ٥.

(٦٦) المصدر نفسه، ص ٦.

(٦٧) مرتاض ، عبد الملك: في نظرية

الرواية، بحث في تقنيات السرد، مطابع

الرسالة، الكويت، سلسلة عالم المعرفة،

كانون الأول، ١٩٩٨م. ص٢٤٤

(٦٨) المرجع نفسه، ص٢٤٤.

تاريخ الثورة العمانية ١٩١٣م - ١٩٢٠م (الوثائق البريطانية السرية مصدراً)

د. خليل إبراهيم موسى الحجاج*

تاريخ الوصول: ٢٠١٧/١٠/٢م

تاريخ القبول: ٢٠١٧/١٢/٣م

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع هام من موضوعات التاريخ العربي المعاصر، وتتركز بشكل دقيق في الصراع الذي دار بين مؤيدي نظام الإمامة الديني، وبين مؤيدي نظام السلطنة المدني.

وتم تحديد الإطار المكاني لهذا البحث بحدود الدولة العمانية، فيما تم حصر الإطار الزمني بين عامي ١٩١٣م وهو التاريخ الذي انفجر فيه الصراع والعام ١٩٢٠م الذي شهد توقف الصراع وأصبحت بعدها عمان تتشكل من قسمين إداريين الأول المنطقة الداخلية التي سيطر عليها مؤيدي الإمام والثاني المنطقة الساحلية التي سيطر عليها مؤيدي نظام السلطنة ويحكمها السلطان.

وأما المصادر التاريخية للبحث فقد اعتمدت على الوثائق السرية البريطانية التي نشرها مركز دراسات الوحدة العربية، وقام على ترجمتها الباحث العماني محمد بن عبدالله بن حمد الحارثي عام ٢٠٠٧م في ستة مجلدات تحوي أكثر من عشرة آلاف وثيقة، ويعتبر هذا البحث من أوائل الأبحاث الأكاديمية التي تناولت الموضوع، ومن هنا تأتي قيمة هذا البحث، والذي سيكشف عن جوانب جديدة بقيت غامضة لفترة طويلة.

هناك دراستان اعتمدت على الوثائق السرية البريطانية في دراسة التاريخ وهما: دراسة الباحث عبدالعزيز المحذوري بعنوان: عوامل تأخر ظهور الدولة الحديثة في عمان ١٩١٣-١٩٧٠م، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة آل البيت، ٢٠١١م، والأخرى بعنوان: طارق بن تيمور ومحاولته عزل السلطان سعيد بن تيمور (١٩٦٢-١٩٧٠م) للباحثين د. ثابت غازي بدر العمري، وزميله الدكتور رائد أحمد الهياجنة، جامعة اليرموك، منشورة في مجلة جامعة الخليل للبحوث، العدد (١)، ٢٠١٢م.

سلك الباحث في دراسته منهجيتين الأولى المنهجية التاريخية التفصيلية القائمة على استقصاء المادة العلمية واثباتها بشكل منظم زمنياً هادفاً الى رسم معالم الصورة الحقيقية للصراع، الثانية هي المنهجية السياسية التي تركز على ابراز العوامل الأساسية للصراع وتحليل ظاسابه وإظهار آثاره على الإطار المكاني.

Abstract

This study aimed at exploring the conflict between supporters of the imamate system in Oman and supporters of the civil System of the Sultanate as well as factors affecting that conflict and contributed to changing the sultanate of Oman into a state based on a civil political regime.

Oman was divided into parts, the coastal area, which was dominated by the Sultanate and the desert area, which was dominated by supporters of the imamate regime.

The study indicated that the current political regime was able to preserve the country after defeating supporters of the Imamate system in 1920 and maintaining the social component of the state. The current system was able to fulfill needs of the supporters of the imamate system without affecting its civil political constants and even without harming the Ibadi's beliefs.

المقدمة:

وبفضل القوة العمانية فرض
العمانيون على العالم أن يطلقوا على
السلطان العماني اسم سيد البحار^(٢).

وبفضل النشاط البحري للعمانيين،
أصبحت مسقط ملتقى التجارة
الأوروبية والآسيوية، وتركزت في
مسقط الوكالات التجارية العالمية،

حازت عُمان إنطلاقاً من العام
١٦٤٦م دوراً سياسياً عالمياً هاماً
تعذرت حيازته على الكثير من دول
العالم، فقد بنى العمانيون إمبراطورية
عربية شملت حدودها السواحل
الإفريقية والهندية^(١).

وأما السلطان العماني فبعد توقيع هذه الاتفاقية بدأ يشعر أن دوره العالمي يتعاظم، وراح يستجيب لتحريض بريطانيا التي شجعتة على التخلص من البرتغاليين حيث تم طردهم من قبل الأسطول العماني وإخراجهم من موانئ مسقط وممباسا (Mombasa) وزنجبار (Zengebar) وكلوة (Kalwah) الإفريقية وسواحل مومباي الهندية (Mumbai).^(٥)

وبعد زوال القوة البرتغالية التي كانت تشكل عقبة في طريق الطموحات البريطانية وسيطرتها على أملاك الإمبراطورية العمانية، بدأت تتراجع عن تنمية علاقاتها مع العمانيين، ولكن سرعان ما وجدت نفسها مضطرة لتنمية هذه العلاقة عندما وجدت منافسة شديدة من بعض القوى الأوروبية الأخرى كفرنسا التي وصل أسطولها بشكل مفاجئ إلى الشواطئ المصرية ونزول نابليون بونابرت (Nabulion Bunabart) فيها عام ١٧٩٨م وتهديده الفعلي للأسطول الإنجليزي.^(٦)

وسفارات الدول الكبرى، حيث احتضنت ولاية مطرح سفارات هولندا والبرتغال وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا.^(٣)

واجهت هذه القوة العربية مع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي جملة من التحديات تمثلت في أطماع الدول الكبرى كفرنسا وبريطانيا والبرتغال، وفي ذات الوقت كشفت بريطانيا عن رغبتها في السيطرة على المنطقة الممتدة من الخليج العربي وحتى المحيط الهندي، ولكنها اضطرت إلى إخفاء رغبتها بسبب عجزها عن مواجهة قوة الأسطولين العماني والبرتغالي، وراحت تتقرب من السلطان العماني الذي رأت فيه الأساس الأقوى في تنفيذ مخططاتها الاستراتيجية والسلاح الوحيد القادر على إيصالها لأهدافها.

وشجعت السلطان العماني (سلطان بن سيف اليعربي) على توقيع إتفاقية تجارية مع شركة الهند الشرقية عام ١٦٤٨م، ومع توقيع هذه الاتفاقية حققت بريطانيا بعض من نجاحاتها.^(٤)

في عام ١٧٩٨م وقعت بريطانيا مع السلطان العثماني معاهدة تحالف ثم ألحقتها بأخرى عام ١٨٠٠م، وبتوقيع هاتين الاتفاقيتين بدأت تنهياً رسمياً لتحقيق طموحاتها، وراحت تعمل على تضعيف الإمبراطورية العمانية، ووجدت أن أفضل وسيلة لتنفيذ هذا الغرض تكمن في شطر الإمبراطورية العمانية إلى شطرين الأول يمثل الأراضي الإفريقية والثاني الأراضي الواقعة في الشق الآسيوي^(٧).

وبسبب قوة السلطان العثماني وقوة تماسك أسرته وتحكم السلطان بنفسه في كل تفاصيل الحكم، اضطرت بريطانيا إخفاء نواياها والإنتظار إلى حين أن تسنح لها الفرصة المناسبة، إذ تهيأت لها الظروف مع وفاة السلطان - سيف بن سلطان اليعربي عام ١٦٥٦م^(٨).

فبعد وفاة السلطان أعلن ابنه
ثويني وريثاً وحيداً على عرش أبيه،
ولكنه واجه طموح شقيقه ماجد
الذي أعلن نفسه سلطاناً على زنجبار،
وتركي الذي أعلن استقلاله في صحار
الساحلية القريبة من مسقط.^(٩)

وجدت بريطانيا في خلاف الأخوة
فرصة تاريخية فلم تتوانى عن تأييدها
لحل الخلاف بإحالة الخلاف إلى
حكومة الهند البريطانية، لتكون
النتيجة تأييد الانفصال بين الشقيقين،
فأصبح ماجد زعيماً على الشق
الإفريقي وثنويني زعيماً على الشق
الآسيوي، وإسترضاء تركي بمبالغ شهرية
يدفعها له الشقيقين ماجد
وثنويني.^(١٠)

ولتعميق ضعف العمانيين راحت
تعمل على تضييق الاقتصاد العماني
عن طريق إلغاء تجارة الرقيق التي
كانت تدر على العمانيين أموالاً
طائلة^(١١).

وإمعاناً في تضعيف القوة العثمانية
غذّت الصراع الداخلي بين القبائل
الساحلية المؤيدة لنظام السلطنة
المدني وقبائل المنطقة الداخلية
المؤيدة لعودة نظام الحكم الإمامي
الديني^(١٢).

ولما وجدت بريطانيا أن تحقيق أهدافها وحفظ مصالحها لا تتحقق إلا مع السلطان راحت تدعّمه بالمعلومات والاستشارات العسكرية وتزويده بالمال والسلاح لدرجة أن

السلطان بات يشعر أن بقاءه واستمراره مرهون باستمرار الدعم والحماية البريطانية^(١٣).

وخلال هذه الفترة التاريخية التي مهدت لبريطانيا فرض سيطرتها على أملاك الإمبراطورية العمانية، قامت في عمان إمامتين الأولى إمامة عزان بن قيس* عام ١٨٦٨م، والثانية إمامة سالم بن راشد الخروصي** (١٩١٣)^(١٤)

وقبل قيام هاتين الإمامتين كانت السلطات الروحية والمدنية تجتمع في شخص السلطان، حيث دمج آل سعيد في شخصية السلطان الإمامة والسلطنة وهكذا استطاعوا تشكيل حكماً وراثياً وإن لم يتسموا بإسم (الإمام).

وعندما بدأت القبائل العمانية ترفع صوتها مطالبة بتطبيق مبادئ الإباضية التي تنص على عدم وصول الحاكم إلى السلطة بالوراثة، رفض السلاطين السعديين، وأيدت رفضهم بريطانيا التي وقفت إلى جانبهم لمنع الإطاحة بهم.

وعندما اشتد الصراع بين مؤيدي الإمامة ومؤيدي السلطنة عام ١٩١٣م تحت رعاية الإمام سالم بن راشد

الخروصي، ساندت القوات البريطانية السلطان فيصل بن تركي، ولكنها مع بدء العمليات العسكرية للحرب العالمية الأولى في أيلول ١٩١٤م اضطرت للتراجع خشية انضمام الإمام إلى جانب تركيا وحلفائها وأخذت تخفض من لهجتها وتدعو الطرفين إلى الاتفاق، ولكن ما إن انتهت الحرب وبان انتصارها وحلفائها بادرت إلى دفع الطرفين إلى طاولة التفاوض وتوقيع اتفاقية بينهما عرفت بإسم إتفاقية السيب ١٩٢٠م والتي قسمت البلاد العمانية على أساسها إلى قسمين المنطقة الساحلية تحت سيطرة السلطان، والمنطقة الداخلية تحت سيطرة الإمام^(١٥).

وفر توقيع هذه الاتفاقية لبريطانيا هدوءاً استمر نحواً من ثلاثين عاماً ونيف تمكنت بريطانيا خلالها تركيز مصالحها وتوقيع عدة اتفاقيات خاصة باستكشاف النفط والتنقيب عنه^(١٦).

غير أن هذا الإستقرار الذي شهدته الساحة العمانية ورغم طول الفترة نسبياً ومع عمق معانيه الدنيوية لم يمنع من ظهور التنافس مجدداً بين قبائل الساحل والداخل العماني، نظراً

أن بريطانيا أصبحت تحكم بلادهم فعلياً^(٢٠).

وزاد في هذا الشعور سماح السلطان للجمعيات التبشيرية الأوروبية والأمريكية الانتشار في أراضي الدولة بهدف تحويل العمانيين إلى النصرانية^(٢١).

ويضاف إلى هذين العاملين عجز السلاطين العمانيين عن إحداث أي نهضة من شأنها رفع مستوى المعيشة لدى العمانيين.^(٢٢)

دفعت هذه العوامل رجال القبائل الهناوية* والغافرية* إلى تجميع طاقاتهم من أجل الدفاع عن مصالح العمانيين، نجح رجال القبائل في أوائل كانون الثاني عام ١٩١٣م في تأسيس هيئة تشرف على التحضير للثورة ضد السلطان واطلقوا على هذه الهيئة اسم (حركة النهضة العمانية) واسند إلى هذه الهيئة مهمة إقامة دولة إسلامية إباضية، يحكمها إمام منتخب تتوافر فيه الصفات والشروط التي يستوجبها المذهب الإباضي^(٢٣).

التحضير للثورة:

لإرتباط هذا الخلاف بمعاني دينية عميقة تتعلق بتطبيق الشريعة الإسلامية وفقاً لفقه المذهب الإباضي^(١٧).

الصراع الإمامي السلطاني:

(أ) أسباب الصراع وعوامله:

تتلخص أسباب الصراع على السلطة حول نص المذهب الإباضي على أن يتولى السلطة إماماً منتخباً إنتخاباً شرعياً من قبل أهل الحل والعقد (علماء الإباضية) عن طريق الترشح والإنتخاب وعدم جواز وصول السلطة إلى الحاكم بالوراثة^(١٨).

وتنفيذاً لهذا المبدأ الفقهي الإباضي سار الأئمة اليعاربة في التقيد بنصوص هذا المذهب وتمسكوا في إجراءاته وشروطه الفقهية واستمروا عليه إلى أن انتهت دولتهم بوفاة آخر أئمتهم سلطان بن مرشد عام ١٧٤١م^(١٩).

ومن العوامل الأخرى التي ظلت تحرك الصراع لمدة طويلة، شعور العمانيين بأن السلطان استسلم لبريطانيا ومكنها من إحكام سيطرتها السياسية والتجارية على مسقط لدرجة بات فيها العمانيون يشعرون

في آذار ١٩١٣م كلف الشيخ عبدالله بن حميد السالمي المعروف (بالأعمى)* التحضير للثورة، وتم تسميته بالموجه الشرعي مؤقتاً إلى حين انتخاب إمام^(٢٤).

وفي نفس اليوم وجه السالمي تحذيراً للسلطان فيصل بن تركي طلب فيه تغيير سياسته اتجاه القبائل الداخلية وتخفيف علاقته بالإنجليز، والتوقف عن منحهم الامتيازات الاقتصادية في الأراضي العمانية، وإعلان التزامه بالحكم بالشريعة الإسلامية وبسنة النبي ﷺ^(٢٥).

لكن السلطان وبتشجيع من الوكيل السياسي البريطاني تجاهل التحذير ولم يرد عليه^(٢٦).

وأدى تجاهل السلطان وعدم رده على مطالب حركة النهضة العمانية، أن قام الشيخ عبدالله السالمي بزيارة المناطق الداخلية للتحضير الفعلي للثورة، فكان أن بدأ زيارته بالشيخ حمير بن ناصر النبهاني زعيم قبائل غافر (الغافرية)** الذي يعد دعمهم أساسياً لنجاح أي تحرك مسلح، ومن هناك توجه إلى الشيخ عيسى بن صالح الحارثي زعيم القبائل

الهنداوية***، حيث أعلن هذين الزعيمين استعدادهما للمشاركة في التحرك الهادف لإعادة الحكم الديني^(٢٧).

عندما لمس السلطان جدية تحرك العلماء ومساندة زعماء القبائل لهم أدرك خطورة الوضع الذي يحيط به ويهدد ملكه حاول الالتفاف على هذا التحرك من خلال محاولة رشوة شيوخ القبائل بتقديم الهدايا والأموال، لكن جميع محاولاته باءت بالفشل، ولما شعر بفشل خطواته الساعية لسلخ شيوخ القبائل عن العلماء، أعلن نفسه إماماً للإباضية ووجه الدعوة للعلماء للإلتفاف حوله ودعاهم للكتابة في تأريخ الأباضية وأحكامها، وأصول فقهاها، لكن دعوته المتأخرة فرضت عليه شيئاً واحداً هو الاستعداد للحرب التي باتت مسألة وقت^(٢٨).

ومقابل فشل السلطان فيصل بن تركي في احتواء التهديدات، التفت القبائل حول حركة النهضة وتدفقت تأييداتهم لإعادة دولة الأمامة وتطبيق شريعة الله.

١٩١٣م انضم للثورة الشيخ عيسى بن صالح الحارثي والشيخ حمير بن ناصر النبھاني، وبانضمام هذين الزعيمين أدرك الوكيل السياسي البريطاني المقيم إلى جانب السلطان في مسقط صعوبة موقف السلطان فراح يوجه التحذيرات للإمام ويذكر قادة الثوار بالتحذيرات التي وجهتها بريطانيا عام ١٨٩٥م لزعماء الإمامة أثناء ثورة الإمام عزان بن قيس^(٣١).

تضمن تحذير القنصل السياسي البريطاني تذكير قادة الإمامية في المصالح البريطانية في مدينتي مسقط ومطرح وأن بلاده لا تسمح بالمساس بهذه المصالح، وعدم تسامحها بأي ضرر يلحق برعاياها، لم يرد الشيخ عيسى بن صالح على تحذيرات القنصل البريطاني فتولى الإمام نفسه الرد على رسالة التحذير مذكراً القنصل بأنه سبق وتم عزل السلطان وخلعه بواسطة الأمة ولم يمتنع عن التنازل عن العرش، ولا ندري لماذا لا تكف أنت عن إثارة المشاكل والإمتناع عن التدخل بشؤون المسلمين^(٣٢).

أدرك القنصل من رد الإمام أن نذر الحرب والهجوم على مسقط وشيكة

وفي خطوة عملية دعا علماء الإباضية زعماء القبائل وشيوخها إلى حضور اجتماع عقد بمدينة تنوف يوم ٧ أيار ١٩١٣م وهناك تم الإعلان عن فتح باب الترشح للإمامة، وأجريت الانتخابات تحت إشراف علماء الإباضية وقمت البيعة في مسجد تنوف في نفس اليوم للشيخ سالم بن راشد الخروصي إماماً لعمان، وإعلان مدينة تنوف عاصمة للإمامة^(٣٩).

وتحت إشراف الإمام سالم الخروصي تم الاتفاق بين علماء الإمامة وزعماء وشيوخ القبائل على برنامج إقامة الدولة، والإعلان عن مدينة نزوى عاصمة أبدية للإمامة^(٣٠).

ومع استكمال رجال الإمامية خطواتهم التحضيرية للثورة أعلن الإمام سالم بن راشد الخروصي بدء العمليات العسكرية في ٢ أيار ١٩١٣م ضد السلطان لعزله وإقامة الدولة الإمامية.

وفي ١ حزيران ١٩١٣م نجح الثوار في انتزاع مدينة نزوى والسيطرة عليها، ومن هناك تقدموا نحو مدينة إزكي الواقعة شرق مدينة نزوى وبسقوط هذه المدينة يوم ١ تموز

ولا رجعة عنها ولذلك توجه إلى زميله المعتمد السياسي الفرنسي المقيم في مسقط، وأعلمه بالخطوات والإجراءات التي قررت حكومته اتخاذها للدفاع عن العاصمة مسقط.^(٣٣)

لم يأبه الإمام وقادة ثورته بتحذيرات القنصل البريطاني وراحوا يعدون خططهم للهجوم على المدن العمانية التي تقع تحت سيطرة السلطان، وخلال توجههم نحو مسقط سيطروا على مدينة العوايى البوابة الرئيسية لمدينة سمائل، وفي آب ١٩١٣م استطاعوا الدخول إلى سمائل* التي كان يديرها السيد نادر شقيق السلطان^(٣٤).

وفي ٦ تشرين الأول ١٩١٤م قرر قادة الثوار توسيع نطاق العمليات العسكرية غير أن الإمام رأى ضرورة أخذ موافقة العلماء فكلف الشيخ عيسى بن صالح الحارثي، والشيخ حمير بن ناصر النبهاني عقد اجتماع في نزوى يوم ١٦ تشرين الأول ١٩١٤م وفي هذا الاجتماع تأييد وجهة نظر القادة العسكريين مهاجمة العاصمة مسقط تمهيداً للإطاحة بالسلطان^(٣٥).

وقبل تنفيذ هذا القرار أرسل الإمام رسالة إلى السلطان يبلغه أسباب الثورة وعمل ذلك بعدم رغبة السلطان في تحقيق تسوية سلمية معه، وإن السلام الذي يتحدث عنه السلطان مجرد كلام يصدر عنه لإرضاء حلفائه الإنجليز، وطلب الإمام من السلطان إعلان التزامه بالدين المحمدي ثم عرض جملة من الشروط لتحقيق السلام، وهي:

أولاً: إعلان إقراره الكامل بالشريعة حسب الطريقة التي يمارسها الإمام في المنطقة الداخلية وتخليه عن النظام الظالم الذي يعالج فيه القضايا المدنية والجنائية في مسقط.

ثانياً: الموافقة على خروج القوات البريطانية من عموم الأراضي العمانية ورفع الحصار عن واردات المنطقة الداخلية.

ثالثاً: إعلان منع استيراد الدخان والخمور ومنع بيعها في مسقط.

رابعاً: السماح لأهالي المنطقة الداخلية إمتلاك السلاح والذخائر.

خامساً: قبول أن يكون حاكماً لكل عُمان على أن تكون الإدارة الفعلية

بيد الإمام لضمان تطبيق الشرائع الدينية كما هو معمول به في المنطقة الداخلية.^(٣٦)

خطاب الثورة الإمامية:

مرة أخرى استخف السلطان ومعه الوكيل السياسي البريطاني بشروط الإمام، واكتفوا بإرسال الرسائل إلى قادة ثورة الإمام حملها إليهم بعض رؤساء وشيوخ القبائل الساحلية والجنبة ممن لهم علاقات ودية معهم، كان فحوى الرسائل محاولة ثني القادة عن تأييد الإمام مقابل حفظ حقوقهم عند السلطان، غير أن ردود الإمام ومعه قادته لم تفشل محاولة شراءهم فقط بل كشفت عن خطاب ديني وثيق بالفقه الإباضي، والتزاماً ثابتاً بالشريعة الإسلامية، ومن بين ما وضحته الردود الإمامية الثبات على بيعة الإمام والالتزام بالقتال بين يديه والموت في سبيل تثبيت الشريعة كنظام حكم ومنهج حياة^(٣٧).

أما تجليات خطاب الثورة فقد توضحت في رد الإمام سالم بن راشد الخروصي على شيوخ منطقة العلاية* الذين حاولوا بتكليف من السلطان منع الإمام من اجتياز منطقتهم

(العلاية) في طريقه إلى مسقط، ففي الوقت الذي أرسل فيه شيوخ هذه المنطقة إلى الإمام يطلبون فيه عدم إحراجهم باستخدام أراضيهم أثناء هجومه على مسقط، والعودة عن الثورة لتجنب ما يحصل للدول الأخرى من قتال، رد عليهم الإمام بأسفه أن يصدر هذا الطلب من أشخاص شاركوا إلى جانب آبائهم وقبائلهم في ثورة عزان بن قيس (١٨٦٨م-١٨٧١م)، ولا زالوا يزعمون إخلاصهم لمبادئ الإباضية، وأن طلبهم تجنب الأمة ويلات الحرب ما هو إلا حجة لتبرير طلبهم الدنيا إلى جانب السلطان وأن الموت والحياة بيد الله، وأنه سيدافع عن شرع الله وإعلاء كلمته تنفيذاً لقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾*.

وحول تراجع الشيخ محمد بن عبد الله الخليلي حفيد الشيخ سعود بن خلفان الخليلي الذي كان الوزير الأول للإمام عزان بن قيس فقد خاطبه الإمام بقوله: اعلم أنت ومن معك أنه ليس هناك حماية ضد الإمام ولا أمان بدونه ولا تخلف عنه

ولا ملجأ إلا إليه، ﴿مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٣٨).

ويتعمق خطاب الإمامية في رد الشيخ الروحي للإباضية ومستشار الإمام عبدالله بن حميد السالمي على رسالة السيد ناصر بن فيصل البوسعيدي، فقد حدد الشيخ السالمي هدف الإباضية الذي قاموا من أجله بقوله: "ونحن نتفهم ما تدعوننا إليه إلا أنه انتهى بوصول الإمام أعزه الله بعزم الشباب الذين يعلمون الطريق الصحيح الذين يرغبون سلوكه، ونتمنى المحافظة على حياتهم بتحذيركم من قتال المسلمين لأن الحق لا يمكن هزيمته، وبعد أن أصبح الجميع من حولكم ضدكم وأن حقيقة ما أقوله أصبح واضحاً لكم لذا فإن رغبتكم في الحياة والأمن في الدنيا والآخرة ادخلوا إلى ما دخله المسلمون وإذا كنتم ترغبون بالدنيا فقط فجدوا لأنفسكم مخرجاً للهرب قبل محاصرتكم، وأطلب من الله أن يهديكم إلى السراط المستقيم"^(٣٩).

ومع تقدم الثورة أصبح خطاب الثورة أكثر عنفاً وراح قادتها يعلنون عن أنفسهم وطاعتهم للإمام ومحاربة

السلطان، فبعد إحتلال الإمامية لمدينة إزكي وتولي الشيخ عيسى بن صالح قيادة الثورة إلى جانب الشيخ حمير بن ناصر النبهاني، كتب الشيخ عيسى إلى السيد نادر بن فيصل (شقيق السلطان) قائلاً: أعلمك أنني وصلت إلى مدينة إزكي وأن مجيئي مخصص للبيعة إلى الإمام طاعة لأوامر الله، ولإعلان مشاركتي في الثورة.. أننا قادمون إليكم لنعلمكم لماذا جئنا، وإن الإمامة أصبحت ظاهرة على الملأ وأن تطبيق الشريعة نصر عظيم، وأن قتال أحباب الله هو قتال لله ورسوله، وإن الرجل لا يقاتل سيده ولا يستطيع، فما عليكم إلا العودة لله^(٤٠).

وفي رسالة أخرى وجهها الشيخ عيسى إلى السيد تيمور بن فيصل قال: نصحتك سابقاً وبكل الوسائل أن طاعة الله هي الأفضل وأن أوامر الله هي التي يتوجب اتباعها، والآن أنصحك بأمانة ومعني شعب عُمان الذي هو من هذا الصف أن تعود إليه، والله وحده من يطلب منه العون، ودولته هي الباقية، وهي محل التقوى والخوف من الله تعالى والرغبة في ملاقاته في عليين وهذا

أفضل طريق يدعو الله فيه عباده
لهذا أرسل رُسله. ^(٤١)

ولم يتوقف الخطاب الديني للثورة عند هذا الحد فقد توج الشيخ عيسى بن صالح رسائله برسالة أرسلها إلى السلطان فيصل نفسه ردّاً على رسالة كان السلطان قد أرسلها للشيخ عيسى بن صالح للتوسط بينه وبين الإمام ففي هذه الرسالة قال الشيخ عيسى:

"أيها السلطان لقد عرضتُ ما طلبت على إمام المسلمين إلا أن الصلح غدا مستحيلاً ولكن أعلم أيها السلطان أنني خلال فترة السلام لم تكن لي نية القيام بأي عمل يضربك، أما الآن وبعد استلامك لرسالتي، فليس بيننا ذمة، وقد طوعت نفسي- "للجهاد" والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (٤٢).

وأما القائد الثاني وعضو مجلس الثورة الشيخ حمير بن ناصر النبهاني فقد رد هو الآخر على رسالة كان قد أرسلها إليه بعض رؤساء القبائل الذين وسطهم السلطان لثنيه عن تأييد الإمام وتجنيب البلاد لمواجهة مع الأجانب رد عليهم أنه ثابت على تأييد الإمام والطاعة إليه طالما أن الله

ييسر هذه الوثيقة لإعادة الحكم
بشرع الله- وإنني أشعر نحوكم
بالأسى، فإن لا عذر لكم أمام الله عن
العودة، وأما ما تقولون أن قتالنا
يجعل مسقط بلداً تحت حكم
المسيحيين، فإذا كنتم تخشون
الإصابات فإنها ستكون أقرب إليكم
وستعانون منها أكثر من غيركم ونسأل
الله أن يبعدنا عن ذلك- رتبوا أموركم
إذا قبلتم دعوتي ونصيحتي بالعودة
إلى الله، وإلا فلا لوم على ذلك^(٤٣).

وإلى نفس هؤلاء الشيوخ الذين
وسطهم السلطان لوقف الحرب رد
الشيخ عيسى بن صالح الحارثي على
رسالة كانوا قد أرسلوها إليه لحقن
دماء المسلمين وتجنيب البلاد ما حل
في تركيا التي اختارت حرب المسيحيين
رد عليهم قائلاً: "...إن تلك مسألة
مخيفة أرعبت شعب عُمان ولكنها
أدت للثورة وأن سبب ما فيه الأقطار
المأهولة اليوم ناتج عن عدم ثورتهم
لتغيير الواقع فتسبب ذلك بمنع
الحرية عنهم، وأما العثمانيون فإنهم
اليوم يرون الحرية مع الموت أفضل
من العيش في تلك الظروف- وأن
الأمة حينما تبتعد عن القرآن وتغير
نهج الرسول ﷺ وطرق أسلافنا

الإهتمام الكافي رغم القرابة التي كانت تجمع بينهما^(٤٥).

وعندما علم السلطان بوصول الإمامية إلى مدينتي إزكي والعوابي* أدرك الخطر الذي يحيط بحكمه، ولذلك قام بخطوات سريعة لحماية المدن التي تقع تحت سيطرته، وبدأ إجراءاته بتشديد الحراسة على السيب ومطرح وبركاء وسمائل والباطنة، وبسبب هذه الإجراءات ألقت قوات الحرس السلطاني القبض على مجموعة مؤيدة للإمام كانت قد حضرت لتأييده والقتال معه من زنجبار وهي محملة بكمية من الأسلحة اشتروها من تجار فرنسيين كانوا قد اتفقوا معهم على إيصالها إلى ساحل الباطنة بقيمة ١٠٠،٠٠٠ دولار^(٤٦).

ولمنع تهاوي المدن الساحلية كلف السلطان نجليه نادر وحمد بالتحرك إلى مدينتي سمائل ونخل لحمايتهما، والانطلاق منهما لمساعدة أهل إزكي والعوابي على التخلص من إحتلال الإمام لأراضيها، وفي الوقت الذي غادر فيه نادر إلى سمائل اتجه حمد إلى نخل، كان هدف السلطان من هذا الإجراء منع تقدم قوى الإمام إلى

الصالحين يحصل لهم ما حصل مع الأتراك وغيرهم- لذا نحن نقول أن التدخل الذي قمتم فيه رفضناه، ومسلم عبد للسلطان أحب إلينا من مشرك، وطريق الله هو الطريق الصحيح وهو الكافي لنا خير الخالقين^(٤٤).

مجريات الثورة وأحداثها:

٢٩/ أيار ١٩١٣ - ٣/ كانون الثاني ١٩١٥م:

في ٢٩ أيار ١٩١٣م فاجأ الإمام سالم بن راشد الخروصي ومعه جيش من المؤيدين لإمامته مدينة نزوى، وعلى أثر سقوط المدينة بيد الإمام قام واليها بالانتحار خشية الوقوع في الأسر، وكان الوالي المنتحر قد أرسل قبل عدة شهور رسالة أطلع السلطان فيها على خطورة الوضع في المدينة، وعدم استقرار وضعه كوال، إلا أن الكتب والسكرتارية المحيطين بالسلطان قللوا من مخاوف الوالي وبينوا له أن الوالي يريد من تحذيره تزويده بقوة حماية تساعد في إعلان استقلاله عن حكم السلطان، ولذلك لم يعط السلطان شكاي الوالي

في ٢٦ حزيران ١٩١٣م وبعد يومين على إحتلال العواوي تقدمت قوات الثورة إلى سمائل وأحكمت الحصار على المدينة التي يتواجد فيها السيد نادر الذي أصبح محاصراً وغير قادر على القيام بأي حركة مضادة، حاول السلطان استعادة جهود نادر وحمد عندما أمر ابنه الأكبر تيمور بقيادة قوة عسكرية إلى السيب ومنها إلى بدبد، حيث كان التجمع الرئيسي لقوات الإمام لمشاغلهم ودفعهم لتخفيف الحصار عن نادر وحمد، فيما راح السلطان يبحث عن طلب المساعدة من الوكيل السياسي البريطاني.^(٤٩)

فشلت الحملة التي قادها السيد تيمور في إحداث أي تغيير فاضطر التراجع إلى السيب، ومع تزايد الخوف على العاصمة وخشية الوكيل السياسي البريطاني من خروج الأمور من يد السلطان، استدعى الرائد مورفي (MORFEE) من قسم الاستخبارات العسكرية الإنجليزية وطلب إليه وضع خطة لحماية مدينة مسقط، وتزويده بتقرير مفصل عن تقديره للموقف لترتيب الأوضاع بين القيادة العسكرية البريطانية في

مدينة الرستاق القاعدة المتقدمة بل البوابة الرئيسية لمدينة مسقط (العاصمة)، ورغم الحماسة التي انطلق فيها أبناء السلطان والأمال التي عقدها السلطان على استعادة إزكي والعواوي إلا أن النتائج جاءت مخيبة للأمال، بسبب تراجع قبائل الغافرية عن وعدها للسلطان والقتال معه والغدر به وخيائته في أوج حاجته إليهم.^(٤٧)

وفي الطرف المقابل شكل سقوط نزوى وإزكي والعواوي منعطفاً رئيسياً في الثورة فبعد اكتمال إحتلال هذه المدن أعلن الإمام عن تشكيل مجلس لقيادة الثورة تشكل من:

- ١- الشيخ سالم بن راشد الخروصي، الإمام القائد الأعلى للثورة.
- ٢- الشيخ عبد الله بن حميد السالمي، المرشد الديني للثورة ومستشاراً للإمام.
- ٣- الشيخ عيسى بن صالح الحارثي، قائداً وموجهاً عسكرياً لقوات الإمام.
- ٤- الشيخ حمير بن ناصر النبھاني - قائداً ميدانياً.^{٤٨}

منطقة الخليج وبين السلطان لمنع سقوط العاصمة (مسقط)^(٥٠).

في ٤ تموز تسرب إلى القنصل السياسي أن خطة القوى التي يقودها الشيخ عيسى بن صالح تهدد المدن الساحلية المؤيدة للسلطان ابتداءً من ساحل الباطنة شمالاً إلى قريات وسداب جنوباً، فيما تتولى القوة التي يقودها الشيخ حمير بن ناصر مهاجمة السيب وبوشر- الخوير- الوطيه- دارسيت- روي- مطرح- مسقط، وتساندهما القوى التي يقودها الإمام.

التمس السلطان المعتمد البريطاني المقيم في البحرين من خلال برقية أرسلها له تسريع الموافقة على الخطة التي أرسلها إليه الوكيل السياسي والمتضمنة إرسال البوارج الحربية البريطانية لإعادة الأمن والاستقرار إلى بلاده في ٦ تموز ١٩١٣م، رد المعتمد السياسي على برقية السلطان فيصل بالموافقة وأبلغه أنه أمر بتحريك القوة البحرية البريطانية المتمركزة في بوشر من أجل الدفاع عن مسقط وسواحلها^(٥١).

في ١٠ تموز ١٩١٣م واصلت قوى الإمامية الضغط على السلطان فيصل لدرجة أن القنصل السياسي البريطاني اضطر إلى التشاور مع زميله المعتمد السياسي الفرنسي- المقيم بمسقط وإبلاغه بالإجراءات العسكرية البريطانية وموافقة الحكومة البريطانية على تولي زمام الدفاع عن السلطان بإنزال القوات العسكرية للدفاع عن مسقط ومطرح نظراً لما تمثله هذه الأماكن من رمزية أساسية لحكم السلطان^(٥٢).

أحداث السيب* ١٣ تموز ١٩١٣م:

في ١٣ تموز ١٩١٣م، اقترح الوكيل السياسي البريطاني على المعتمد البريطاني في الخليج إرسال كتيتي مشاة للخدمة الميدانية مع قسمي مدفعية جبلية إلى منطقة السيب لمواجهة ضغوطات قوات الإمام ووقف تقدمها المحتمل نحو مدينة مسقط، وفي ذات الوقت اقترح إرسال قوة عسكرية أخرى إلى سمائل بهدف إرهاب قوات الإمام وإخافتها من التقدم لإسقاط مسقط وإقامة دولة الإمامة^(٥٣).

وفي ١٩ تموز ١٩١٣م وافق المعتمد السياسي البريطاني في الخليج على خطة الوكيل السياسي ولذلك أسرع الأخير لطلب مقابلة السلطان، وخلال اللقاء الذي حصل على ظهر السفينة الحربية البريطانية (فلوميل) (Flumill) عرض الوكيل السياسي الإجراءات العسكرية التي وافق عليها المعتمد السياسي في الخليج وخطة الدفاع عن مسقط وتوزيع الجيوش على امتداد الطريق المؤدي للعاصمة، ولكنه فوجئ برد السلطان الذي طلب إرجاء هذه الخطة العسكرية المقترحة لمدة ثلاثة أيام، حتى يتبين إذا ما كان قادراً على الوصول لحلول أخرى، كان طلب السلطان مبنياً على رسائل كانت وصلت إليه تفيد باستعداد قبائل (الغافرية) المحيطة بوادي سمائل الإنضمام إليه والطلب منه إرسال قائداً يقود نجدتهم إليه والوقوف معه ضد قوى الإمامة، غير أن هذا الاتفاق تغير يوم ٢١ تموز ١٩١٣ حينما حمل السيد تيمور لوالده أنباء عن نية قوى الإمام مهاجمة منطقة السيب في ذات الليلة (٢١ تموز)، مما اضطر الوكيل السياسي للمبادرة

بإرسال البارجة البريطانية (إلبرت Albert) إلى السيب والتقدم لتقديم المساعدة العسكرية المطلوبة عند بدء الهجوم المحتمل على السيب، وفي اليوم التالي تم تحريك البارجتين (بيلوس Bailos) و(فلوميل Flumill) ساهم وصول هذه البوارج في استعادة السلطان لرباطة جأشه وإعادة النظر في خطته العسكرية ليس للدفاع عن المدن الساحلية وإنما للدفاع عن حكمه وبقاءه هو وأسرته^(٥٤).

اعتقد السلطان أن وصول البوارج البريطانية لنجدته كافية لردع الإمامية ومنعهم من تنفيذ تحذيراتهم بإجتياح مدينة مسقط عاصمة ملكه، ومع هذا الاعتقاد طلب من الوكيل السياسي أن يمنحه ثمانية أيام لتغيير الواقع الذي تفرضه قوى الإمام، وكشف أنه سيرسل ولده لمهاجمة سمائل وفك الحصار عن السيد نادر وانتزاع المدينة وإعادتها إلى سيطرته، ولكن هذا التفاؤل الذي عبر عنه السلطان قابله تشاؤم من قبل ولده تيمور الذي أفصح للوكيل السياسي بأن أمانه والده بعيدة المنال لأن والده يفرط بالاعتماد على

القبائل الغافرية، رغم خياناتهم المتكررة له من جانب ومن جانب آخر كون هذه القبائل ليس لديها الكفاءة القتالية المطلوبة حتى ولو أعادوا التزامهم معه^(٥٥).

في أواخر تموز ١٩١٣م انكشفت حقيقة هواجس السيد تيمور من قبائل الغافرية ومعهم السيايين وبني جابر عندما أحجمت هذه القبائل عن تقديم أي مساعدة قتالية للسلطان. وزاد في تعثر حظوظ السلطان عندما أعلنت قبائل جعلان من الشرقية (صور)* تخليها عن القتال والعودة إلى مناطقها التي جاءت منها^(٥٦).

مع تراجع هذه القبائل واحتفاظها بالمال والسلاح والمؤن التي قدمها إليهم السلطان مقابل الولاء له والقتال معه، انخفضت معنويات السلطان وزاد في انخفاضها عجز أبنائه على فعل شيء يغير من الواقع السيئ الذي وجد نفسه فيه، ومع تصاعد حالة اليأس التي وصل إليها السلطان بدأ وكأن القدر فتح أبوابه له، حينما وصلت إليه رسالة من قائد الثورة الإمامية الشيخ عيسى بن صالح الحارثي يدعوه فيها إلى التفاوض

وإصلاح الأمور ومعلنًا استعداد قوات الإمام فك الحصار عن سمائل والإنسحاب، وجد السلطان في هذه الرسالة المخرج الآمن لأزمته فاتخذ قراره دون تردد أو سؤال عن الأسباب الداعية لذلك فأبلغ الشيخ صالح استعداداته وموافقته على حقن دماء العمانيين، ليتبين فيما بعد أن الشيخ حمير بن ناصر النبھاني القائد الميداني لقوة الإمامية أصيب بجروح هددت حياته، مما اضطر الإمام إلى وقف الحملة على السيب لمعالجة أي مضاعفات قد تنجم عن إصابة الشيخ حمير^(٥٧).

وفاة السلطان فيصل وتجدد الصراع (١٦ تشرين الأول ١٩١٣م) وتولي السلطان تيمور بن فيصل السلطنة:

في ١٦ تشرين الأول ١٩١٣م توفي السلطان فيصل بن تركي بمرض استسقاء الم به، وفي يوم ١٨ تشرين الأول ١٩١٣م تم دفن السلطان واجتمعت أسرته في مكتب الوكيل السياسي البريطاني بمسقط واختاروا ابنه السيد تيمور أكبر أبنائه سنًا سلطانًا لمسقط، وعلى أثر ذلك وفي يوم ١١ تشرين الأول ١٩١٣م وجه الإمام سالم بن راشد الخروصي ومعه

تجدد الصراع آذار ١٩١٤م:

في ٢١ آذار ١٩١٤م هاجمت قوى الأمام مدينة نخل وبعد احتلالها تقدم الشيخ حمير بن ناصر النبهاني لإحتلال بركاء وإحراق محلاتها التجارية وطرد كل التجار الفرنسيين الذين غادروا مذعورين إلى مدينة مطرح^(٦٠).

وعندما وصلت أنباء هجوم قوى الإمام على بركاء اتصل السلطان تيمور بالوكيل السياسي ليلاً وأبلغه أنه موجود على الباخرة الخاصة به (نور البحر) فيما أشقائه في القلعة، وأسر إلى الوكيل أن الظرف المحيط به مخيف وأنه يخشى خيانة أتباعه وتخليهم عنه وربما قتله، وعبر عن تزايد مخاوفه الناتجة من اقتراب قوى الإمام منه إلى مسافة ميلاً ونصف الميل وهي نفس المسافة التي تفصلهم عن أشقائه مما يعني أنه وأسرته إذا لم تقدم لهم مساعدة سريعة أصبحوا تحت رحمة قوى الإمام التي يقودها الشيخ حمير بن ناصر التي إحتلت بركاء، وراح قائدها يتحدى السلطان ويدعوه للمنازلة ويهاجم المدينة ومحلاتها التجارية بقسوة^(٦١).

مستشاره الديني عبدالله بن حميد السالمي رسالة إلى السلطان تيمور يطلبان منه إعلان التزامه بقواعد الشريعة المحمدية- والتطبيقات الفقهية للإباضية، والعمل على تحقيق العدالة بين العمانيين، واشتروطوا عليه في حالة موافقته على هذه الشروط الخاصة بالعمانيين أن يعلن تخليه عن الإعتماد على الإنجليز- مقابل أن يقدموا هم ضمانات للإنجليز يتعهدون بحماية الرعايا الغربيين المقيمين في الدولة وحماية مصالحهم وممتلكاتهم^(٥٨).

رد السلطان تيمور على رسالة الإمام ومستشاره الديني بوعد الشعب العماني ببذل جهده لإصلاح الجمارك، ومنع التدخين وشرب الخمر في الأماكن العامة وطرد الداعرات من مدينة مسقط، ومنع الرشاي في أوساط الموظفين بمسقط، وتطبيق العدالة على الجميع، وبدلاً من قيام الإمامية على تطوير استجابة السلطان التي جاءت حقيقة إرضاء للإمام، راحوا يشككون في نواياه، ويطلبون من مؤيديهم الإستعداد للقتال بدعوى عدم تخلي السلطان عن الإنجليز^(٥٩).

في هذه الظروف العصيبة هاجمت مجموعة من بني بطاش مدينة قريات واحتلت قلاع المدينة، وراحت تهدد شيخ سيفه بالهجوم على مدينة سداب التي تحوي القاعدة البحرية البريطانية والقريبة من مسقط، وخوفاً من تنفيذ بني بطاش تهديداتهم أرسل الوكيل السياسي البارجة البريطانية (إتش.إم.إس) (H.M.S) لمنع بني بطاش من أي مغامرة لأنه لو تم ذلك واسرع الإمامية لمهاجمة مسقط عبر السيب-الوطية روي-مطرح، لأصبحت العاصمة مسقط بين فكي كماشة، ليساهم ذلك بالسقوط الفعلي للعاصمة ونظام الحكم^(٦٣).

مع تعاظم قوة الإمام وتراجع القبائل المؤيدة للسلطان بدا وكأن السلطان كان يشك في نوايا الإنجليز وراح يتخبط في قراراته عندما خاطب والي البصرة في تأمين الحماية له وإرسال مائتي مقاتل (٢٠٠) من الباتان المقيمين في البصرة للخدمة معه والدفاع عنه، ثم قيامه بإرسال أحد أقاربه إلى مدينة (بام) الإيرانية لتجنيد مقاتلين من البلوش لينضموا إلى قوته، ولم يكتف بذلك بل أرسل

مبعوثاً من قبله إلى المعتمد السياسي الفرنسي المقيم في مسقط يطلب منه النجدة وتقديم الحماية له والدفاع عن مسقط، ولأن هذه الأفعال تمت بعيداً عن الوكيل السياسي البريطاني أو التشاور معه، أعربت الحكومة البريطانية عن غضبها من السلطان وطلبت من الوكيل السياسي أن يقدم السلطان تفسيراً لتصرفاته، وطلبت أيضاً من وكيلها السياسي تأنيب السلطان وبيان مدى خطورة ما قام به، وتنفيذاً لتوصيات حكومته قام الوكيل بتحميل السلطان مسؤولية عجز قواته عن فعل شيء وأن السبب في ذلك عائداً لتبذيره الأموال وحماقته في عدم الالتفات إلى استخدام هذه الأموال في تطوير قوته العسكرية لحماية ملكه وعاصمته^(٦٣).

في ٣ كانون الأول ١٩١٥م وصلت طلائع مقاتلي الإمام إلى منطقة روي على بعد ٣ أميال عن مسقط، وهاجمت مفرزة قوة الطوارئ فيها وأطلقت النار عليها، كانت هذه العملية بمثابة جس نبض القوى المدافعة عن مدينة مسقط وتحديد هوية المدافعين ومعرفة إن كانوا الإنجليز أو قوة الحرس السلطاني^(٦٤).

الذي على ما يبدو بات مقتنعاً
بالسلام مع السلطان^(٦٦).

وبعد مرور أربعة أيام على هذه
الإشاعة وتحديداً يوم ١١ كانون الثاني
١٩١٥م هاجمت قوة الإمام ألوية
مسقط واستطاعت بسرعة اجتياز
لواء الوطية التي تبعد حوالي ميلين
عن قلب العاصمة مسقط، ثم تعدت
إلى بيت الفلج، ودارسيت، وروي، أثار
هذا الهجوم السريع الهلع في قلوب
سكان العاصمة ومنهم الوكيل
السياسي الذي قام بجمع المبشرين
الأمريكيين والإنجليز لحمايتهم في
القنصلية البريطانية، وزاد في روع
السلطان المعلومات التي حصلت
للكيل السياسي من بعض الأسرى
الإماميين الذين أوصلوا الوكيل
السياسي بنتائج التحقيق معهم؛ أن
القوة التي هاجمت مسقط في هذا
اليوم ١١ كانون الثاني ما هي إلا
مقدمة الهجوم، وأن هجوماً آخر
سيشن على مسقط بعد منتصف
الليل، وأن الهجوم الرئيسي يقوده
الإمام الذي سيرافقه فيه قوة من
أربعمائة مقاتل، هذه المعلومات
دفعت الوكيل السياسي إلى طلب
تعزيزات عسكرية من البحرية

رفعت هذه العملية من تخوفات
السلطان وحليفه الوكيل السياسي
البريطاني الذين باتوا يخشون قوة
رجال الإمام بعدما كانوا يتجاهلون
تهديداتهم، لا سيما وأن المعلومات
الواردة إليهم تفيد بأن الإمام جمع
قوة يزيد عددها على ثلاثة آلاف
مقاتل مشحونين بأخبار القتال الدائر
بين تركيا وألمانيا وحلفائهما، وأن
بريطانيا باتت مشغولة بالقتال على
جبهات أخرى ولا تستطيع إرسال
تعزيزات جديدة إلى عُمان، هذا فضلاً
عن شحن الإمام لهم ووعظهم لطلب
الشهادة في سبيل الله ومجاهدة
الإنجليز المسيحيين الذين يحرم
وجودهم العمانيين من الحرية^(٦٥).

ولتحقيق المفاجأة بعد هذه
الحادثة قام الإمام سالم بن راشد
الخروصي بخطوة تظليلية عندما أشاع
أن قدومه لمسقط ليس للقتال وإنما
لإعلان تظلمه للسلطان والوصول
معه إلى إتفاق يوحد العمانيين ويحل
مسائل الاختلاف بينهم، ويبدو أن
هذه الإشاعة قد انطلت على الوكيل
السياسي الذي طلب من السلطان
التريث إلى حين وضوح نوايا الإمام

البريطانية المتمركزة في مدينة (بومبي) الهندية لمنع سقوط مسقط بسبب عجز القوات الموجودة عن حمايتها^(٦٧).

وأدى دخول نحو خمسين مقاتل من قوى الإمام إلى مدينة مطرح وهم يلبسون اللباس الأبيض إعلاناً بطلبهم الشهادة إلى بث الرعب في سكان المدينة الذين أغلقوا محلاتهم ولزموا جدران بيوتهم حسب وصف الوكيل السياسي وإيداع أغراضهم وحاجياتهم الثمينة لدى القنصلية البريطانية خشية نهبها في حال احتلال المدينة، ومع تقدم المعركة والقتال بالسلاح الأبيض هجر الناس بيوتهم إلى القنصلية البريطانية ليتحللوا حولها طمعاً بحمايتهم، أما السلطان فلم يكن هو الآخر بأحسن حال من السكان حيث تفيد الوثائق أنه هو الآخر اضطر إلى جمع حاجياته الثمينة وأغراضه الضرورية تمهيداً لنقلها وأسرتة من قصره إلى قلعة الجلاي^(٦٨).

مع بزوغ فجر ١٢ كانون الثاني ١٩١٥م بدأ الهجوم الرئيسي لقوات الإمام على مسقط واستطاعت قواهم تشكيل جناحين قتالين جناح أيمن

يبدأ من دارسيت ووسطه في بيت الفلج وجناح أيسر يمتد إلى روي بهدف تطويق مدينة مطرح البوابة الرئيسية لقلب العاصمة مسقط حيث قصر العلم مركز دولة السلطان^(٦٩).

وخلال الساعات الأولى للعمليات العسكرية، أحرقت قوات الإمام بيت الفلج بهدف تفرغته من الحامية العسكرية التابعة لحرس السلطان، وعندما لاحظت القوة البريطانية ضعف الحرس السلطاني وتراجعهم أمام شدة ضربات التي نفذتها قوات الإمام، أخذت مسؤولية القتال على عاتقها واستمر القتال شديداً حتى ظهر يوم ١٣ كانون الثاني ١٩١٥م حين اضطرت قوات الإمام الانسحاب بعد الاتفاق مع الوكيل السياسي البريطاني على تنظيم جولة مفاوضات جديدة بينهم وبين السلطان.

فقدت قوات الإمام المهاجمة مائة وستة وثمانون شهيداً وثلاثمائة وخمسين جريحاً، أما القوة البريطانية فقد قتل من بينها سبعة ضباط، وجرح ثمانية عشرة ضابطاً وضابط صف، وعدداً كبيراً من القتلى

والمنبثقة في هذه المرحلة من جملة عوامل أهمها:

أولاً: قوة الإمامة التي أصبح بمقدورها تهديد المدن الساحلية وعلى رأسها العاصمة مسقط، وخشية بريطانيا من تهادي المدن التابعة له وحصر سلطاته داخل مسقط فقط.

ثانياً: ضرورة استيعاب الإمام ومؤيديه خشية تفاهمهم مع الشريف الحسين، أو العثمانيين وإعلان الجهاد المقدس الذي سيهدد حال قيامه ليس حكم السلطان فقط وإنما الوجود البريطاني في كل الخليج والشمال الإفريقي.

ثالثاً: فشل استمالة قادة الإمام ورؤساء القبائل الداخلية بالمال والهدايا بسبب تمسكهم الشديد بالشرعية المحمدية وإخلاصهم وولائهم للإمام.

رابعاً: انشغال بريطانيا في العمليات العسكرية للحرب العالمية الأولى على جبهات أخرى.

استوعب السلطان نصيحة هاردينج وراح مباشرة يتصل بزعماء الإمامية ويعلن موافقته على التفاوض معهم لإنهاء أسباب الخلاف بين العمانيين^٧.

والجرحى من بين قوة الحرس السلطاني، ومع أن قوات الإمام فشلوا في الإحتفاظ بالعاصمة وتحقيق أهدافهم إلا أنهم غيروا من فكرة السلطان وحليفته بريطانيا الذين ظلوا يعتقدون أن تهديدات الإمامية المتمثلة بمهاجمة مسقط والإطاحة بالسلطان ليس أكثر من كلام أصبح حقيقة فرضت عليهم قبول التفاوض مع الإمام.

المفاوضات بين السلطان والإمام: ١٩١٥م - ١٩٢٠م:

جعلت معركة مسقط من قوة الإمام هاجساً مخيفاً للسلطان الذي بات يفكر جدياً في البحث عن استراتيجية جديدة للتعامل مع قادة الإمام والتنازل لهم عن بعض القضايا المطالبة التي من شأنها إيصاله إلى حالة من الانفراج والسلم معهم، ولأن السلطان محكوم بتصرفاته وإدارته بالحكومة البريطانية استوجبت هذه الاستراتيجية زيارة اللورد (هاردينج L. Hardeing) نائب الملك في الهند إلى مسقط والإجتماع مع السلطان تيمور والاتفاق معه على التقيد بتوجيهات الحكومة البريطانية وتفهم أسباب سياستها

وعندما وصلت الرسائل السلطانية للإمام وقادته، اعتقدوا أن حكم السلطان سائر إلى الزوال، فقرروا التريث بالرد عليه، ولما تأخر ردهم أخذ الوكيل السياسي البريطاني على مسؤوليته تحريك عملية التفاوض وقام يوم ٩ نيسان بإرسال رسالة مهمة إلى الإمام سالم وقادة قواته الشيخ عيسى بن صالح، والشيخ حمير بن ناصر^(٧١).

في ٢٩ نيسان رد الإمام على رسالة الوكيل السياسي يطلب منه الوقت الكافي لمشاورة شعبه وعلماء الإمامية المنتشرين في أرجاء البلاد من الشرقية إلى نزوى، وأنه سيدعوهم للإجتماع إلى المؤتمر لمشاورتهم، وفي الوقت الذي رد فيه الشيخ حمير بن ناصر بضرورة إرسال مبعوث مسلم لمناقشة الأمر^(٧٢).

رد الشيخ عيسى بن صالح في
ايار/مايو ١٩١٥م عندما وصلت منه
رسالة غير موقعة وغير مختومة إلى
الوكيل السياسي، كانت رسالة ودية
في أسلوبها، وأظهرت نوعاً من الرغبة
في فتح باب المفاوضات إلا أنه انتقد
رسالة الوكيل السياسي وخلوها من
آلية للصالح، وكشفت بأنه سرسل

مبعوثاً من طرفه إلى الوكيل السياسي
وهو عبدالله بن حميد السالمي
لمقابلة السلطان. (٧٣)

وخلال هذه الفترة قام الوكيل السياسي بالعمل على دراسة الشعور العام للناس في المناطق الداخلية، وأظهرت كل التقارير الواردة إليه أن رسالته للإمام وقادته قد تم عرضها على الملأ عند وصولها، وفهمها الناس على أنها علامة ضعف الجانب البريطاني، وأن الهدف من وراء عرضهم هو حاجتهم لسحب قواتهم وإرسالها إلى مناطق أخرى، وأوضحت التقارير الواردة إليه أيضاً قوة النشاط الألماني التركي وتأثيره في الأوساط الإمامية التي باتت مقتنعة أن الألمان سيكسبون الحرب، وأن الإمبراطور الألماني وأتباعه قد اعتنقوا الإسلام وقد تسمى الإمبراطور باسم (محمد غليوم) ولهذا فإن اللحظة أصبحت مناسبة لطرد السلطان والإنجليز من بلادهم^(٧٤).

وعلى الجانب الآخر ورغم طبيعة الرسالة الودية التي أرسلها الشيخ عيسى بن صالح للسلطان، إلا أنه بات مقتنعاً بأن العوامل الدينية لا زالت تشكل حاجزاً كبيراً أمام تحقيق

ثانياً: ينظر الناس إلى السلطان عموماً على أنه مهرطق ولا يلتزم بالدين المحمدي لدرجة أنه أصبح يزعج الشعب العماني إزعاجاً شديداً.

ثالثاً: يوافق الثوار على السلام شريطة تحقيق مطالبهم الآتية:

أ- الإعتراف الكامل بقانون الشريعة حسب ممارسة الإمام لها في المنطقة الداخلية وتأسيس الشريعة بمسقط بدلاً من النظام الحالي المتعلق بمعالجة القضايا المدنية والجنائية، وعدم المحاباة والمحسوبية اتجاه الأفراد المرتبطين بها كما هو الحال الآن.

ب- خروج القوات البريطانية من البلاد ورفع الحصار البري عن واردات المنطقة الداخلية.

ج- تسوية وسداد المطالبات المالية المستحقة لسكان المنطقة الداخلية.

د- تحريم الخمر تحريماً تاماً ومنع استيراد الكحول والتبغ.

هـ- اعتبار السلطان الحالي حاكماً لعمان ولكن مسؤولية إدارة البلاد تكون بيد الإمام شخصياً أو من خلال ممثل عنه يقيم في مسقط وذلك

السلام مع الإمام، فقد كشف السلطان عن رسالة اعتراف كان قد كتبها ناصر بن سليمان السيادي من سماء، تتضمن رأي الإمام والشيخ حمير في السلام وأنهم ردوا موافقتهم إلى نصيحة الشيخ عيسى بن صالح الذي أحييت إليه الرسائل للنظر فيها، وأما الإمام فلن يقبل الإستسلام وسوف يبقى يحارب حتى النهاية للإطاحة بالسلطان ونظام مسقط الذي لا يقوم على الشريعة المحمدية والعدل.^(٧٥)

وبعد وصول كل الردود من الزعماء قام حميد بن سعيد الفليتي من وادي المعاول بزيارة إلى الوكيل السياسي بهدف الحصول على معلومات إضافية تتعلق بشروط المفاوضات، وقدم للوكيل السياسي آراء زعماء الثورة ومطالبهم الراغبين بالوصول إليها في المفاوضات المقترحة وهي:

أولاً: لا يرغب السلطان بالفعل في تحقيق تسوية وأن ما يقوله حول السلام فقط لإرضاء الحكومة البريطانية وأن هناك أشياء تحتاج إلى قرارات يحاول السلطان تجنبها أمام الملأ.

وفق الشريعة الدينية المعترف بها في المنطقة الداخلية.

و- السماح للقبائل الداخلية شراء السلاح والذخائر^(٧٦).

أما الوكيل السياسي فقد استحضر بعض المطالب والشروط والمقترحات التي رأى أنه ليس من الحكمة اشتراطها على المفاوضات من قبل زعماء الإمامية وهي:

أولاً: أي مطالب تشير إلى عدم الإعراف بالسلطات الشرعية في مسقط وعمان.

ثانياً: أي مطالب تشير إلى الإخلال باتفاقية الحقوق الموقعة بين الحكومة البريطانية والسلطان.

ثالثاً: أي مطلب يتعلق بعدم مواصلة التدابير الخاصة بمستودعات الأسلحة والتفديد بأنظمتها.

رابعاً: أي مطلب قد يتسبب بأضرار أو يعوق مصالح بريطانيا وتجارتها في عمان^(٧٧).

في حزيران يونيو ١٩١٥م تلقى الوكيل السياسي رسالة من حميد بن سعيد الفليتي ومن قاضي الإمام عبدالله بن راشد الهاشمي تضمنت

بعض آراء الإمام المتعلقة بضرورة إعادة الرقيق الهاربين إلى أسيادهم، والسماح لأهالي المنطقة الداخلية بشراء الأسلحة والذخائر ووقف الضرائب الإضافية التي فرضها السلطان، وأن يقوم العلماء بتولي إدارة القضاء والعدل وإلغاء كل القوانين غير الشرعية.

وقد جاء في رسالة القاضي جملة من النقاط التي تعد مطالب ضرورية وقومية لسكان المنطقة الداخلية وهي:

١- إعادة النظر في إيقاف تجارة الرقيق والنشاط التجاري فيها والذي لا ينسجم مع القوانين الشرعية.

٢- سيطرة بريطانيا على النشاط البحري الذي هو حق شرعي للجميع.

٣- تدخل بريطانيا في شؤون سلاطين عمان ودعمهم في الأمور التي تتعارض مع الدين.

٤- العمل على الحد من ارتفاع أسعار الأغذية والملابس.

٥- إلغاء تحليل بيع الخمر والتبغ المحرمين، وتحليل المسموح فيه مثل تجارة الأسلحة والرقيق^(٧٨).

ولم يعط الوكيل السياسي أي اهتمام لهذه الرسالة كونها لم تأتي من الإمام بشكل مباشر أو من قاداته، في شهر حزيران/يوليو/تموز ١٩١٥م كرر حميد الفلتي والقاضي حميد بن سعيد الشكاوي للوكيل السياسي ولكن هذه المرة كانت الشكوى من قصف السفينة (فوكس) مدينة بركاء، ومنع التجارة المباشرة بين المدين الساحلية وموانئ عدن وكراتشي ومومباي، وإرغام كل السفن التجارية على التوقف في مسقط لدفع رسوم على بضائعهم^(٧٩).

في آب/اغسطس ١٩١٥م أرسل زعماء الإمامية إلى الوكيل السياسي رسالة موقعة من الإمام والشيخ عيسى بن صالح والشيخ حمير بن ناصر النبھاني والقاضي حميد يطلبون فيها تحديد موعد معه للقاء الشيخ عيسى بن صالح ممثل الإمام للمفاوضات على أن يكون الاجتماع في مدينة السيب، وتم تحديد الاجتماع بتاريخ ١٠/أيلول/١٩١٥م^(٨٠).

مفاوضات السيب ١٥ أيلول ١٩١٥م:

في أواخر آب ١٩١٥م وافق زعماء الثورة على الجلوس مع الوكيل السياسي ممثل السلطان والتفاوض معه وتم تحديد يوم ١٠ أيلول موعداً لبدء التفاوض في مدينة السيب، وفي اليوم الذي حضر فيه الوكيل السياسي حضر القاضي حميد بن سعيد الفلتي يحمل رسالة من الشيخ عيسى بن صالح ممثل الإمامية للتفاوض تفيد بعدم تمكن الشيخ عيسى- الحضور قبل يوم ١٥ أيلول وذلك لمقتل أحد شيوخ الهاوية من بني علي وهو الشيخ خلف بن سنان، وعندما تبين للوكيل صحة ما ورد في رسالة الشيخ عيسى وافق على العودة يوم ١٥ أيلول ١٩١٥م^(٨١).

في الموعد المحدد حضر الشيخ عيسى بن صالح ومعه شقيقه علي وعبد الله بن حميد السالمي مستشار الإمام المعروف (بالأعمى)، وفي بداية الجلسة عرض الشيخ عيسى مطالب الإمام- ثم عرض الوكيل السياسي مطالب السلطان، وفي الوقت الذي تبين للوكيل السياسي أن مطالب الإمامية ليس من المستحيل تنفيذها، وأن الاتفاق وشيك الوقوع، برزت صعوبة واحدة تتعلق برغبة السلطان

إعادة حصون سمائل التي تم الإستيلاء عليها، وبعض المزارع الخاصة بمحافظ مسقط أحد أقارب السلطان، وفي الوقت الذي أبدى فيه الشيخ عيسى- إمكانية الموافقة على إعادتها أبدى عبد الله السالمي معارضته وأعلن أنها لن تسلم في حياة الإمام، فأدى ذلك إلى توقف المفاوضات^(٨٢).

بعد هذه الجلسة استخدم الإمامية أسلوباً تكتيكياً للضغط على السلطان تمثّل في الإعلان عن مهاجمة الشرقية والإستعداد لإحتلال مدينة صور، وعندما قاموا بتسيير حملة برئاسة الإمام ومشاركة الشيخ عيسى، والشيخ حمير بن ناصر، أعلنت قبائل الشرقية تأييدها للإمام بإستثناء قبائل بني بو حسن، وقبائل الجنبّة (الهنداوية) معارضتها للحملة، وطلبت من السيد نادر نحدثها^(٨٣).

وفي تشرين الثاني ١٩١٥م اختلف علي بن صالح مع شقيقه الشيخ عيسى وراح يطلب صداقة السلطان تيمور، إلا أن هذه الحادثة لم تؤثر في مجريات الأمور؛ لأن السلطان لم يُعرها أهمية لأنه يعرف أن علي وحتى شقيقه محمد لم يكونا من

الناحية السياسية بنفس الوزن والأهمية عند الناس من الشيخ عيسى، وفي المقابل أعلنت قبيلة الرحبين وهم قبيلة (غافرية) مؤيدة للسلطان أنها ستهاجم الحامية البريطانية في بيت فلج.^(٨٤)

في حزيران ١٩١٦م ارتد عن دعم السلطان الشيخ ناصر بن حميد، الشيخ الرئيس لمنطقة بهلا الذي اضطر إلى عقد صلح مع الإمام وطرد مظفر والي السلطان في مدينة الخابورة الساحلية، وكان الشيخ ناصر يتمتع بشخصية قوية، اكتسب وضعه السياسي في عام ١٨٨٥م بعد إغتيال إثنين من أشقائه بحماية السلطان الذي دفع له كمية كبيرة من الأموال وقدم له إضافة إلى ذلك الأسلحة والذخيرة والأرز، وقد اضطر إلى اللجوء إلى العراق أقصى الحدود الغربية من عمان خوفاً على حياته^(٨٥).

وفي تموز ١٩١٦م انضم شيخ
المزاحيط بجوار الرستاق إلى الإمام
بعد أن ارتد عن تأييد السلطان ومعه
ما بين (٥٠٠-٦٠٠) رجل، وفي نهاية
الشهر (تموز) استسلم للإمام أحمد
بن إبراهيم ابن عم السلطان

ومساندة هذه القبائل له، وأكثر من ذلك أصبح السلطان عاجزاً عن استرداد أي جزء من دولته، ومن شدة الإحباط الذي أصابه راح يتسائل ما سوف يجلب له المستقبل في حال سقطت دولته، وبات يعترف بعد هذه الهزيمة أن حزب الإمام أصبح يحقق تعزيزاً متواصلاً وأن المصير الحتمي له يستبق النتائج^(٨٨).

تسبب هجوم السلطان المتسرع على منطقة الحزم إلى إفلاس خزائن السلطان المالية، وأصبح يعتمد تماماً على الدعم المالي الذي تقدمه بريطانيا، مما يعني أن السلطان أصبح فاقداً لأي مبادرة لتغيير الواقع القائم سوى قبول التعامل مع الإمامية الذين تعزز ميزانهم بقيم الوحدة^(٨٩).

في آذار ١٩١٩م بادر الوكيل السياسي إلى التصرف بعيداً عن السلطان وأرسل رسالة قوية إلى الشيخ عيسى بن صالح استعرض فيها انتصار بريطانيا وحلفائها على ألمانيا وتركيا والنمسا، وكيف أن هذه الدول أصبحت محتلة من قبلهم، وفي الجانب العربي راح الوكيل السياسي (باليز Balius) يعدد ما قامت به

وصديقه الذي كان يسيطر على حصني الرستاق والحزم بشكل مستقل، ومع تصاعد التأييد للإمام أصبحت مسألة تجدد الثورة مسألة وقت ولم يمنعها سوى دخول شهر رمضان^(٨٦).

بعد الانتهاء من شهر رمضان والأعياد وموسم الحج راودت السلطان فكرة انتزاع زمام المبادرة وانتزاع مدينة الحزم منهم، ومع أنه استطاع جمع قوة يزيد عددها عن ألفي (٢٠٠٠) مقاتل، إلا أنه تلقى من الوكيل السياسي نصيحة بالتريث والتأكد من ولاء وإخلاص قبائل الحواسنة وبني عمر والرياسة والمقابيل وبني جابر لأنه يشك في أن تكون لديهم الرغبة في أكثر من الإستفادة منه مالياً، ولكن السلطان لم يلتفت إلى هذه النصيحة وعبر للوكيل السياسي عن رؤيته لهذه الحركة بأنه اختار أن تكون الحزم مسرحاً للعملية العسكرية التي يقوم فيها مجرد اختبار لولاء القبائل مثار الحديث وإذا حصل ونجحت فإن الحزم وقبائلها ستكون تحت قبضته^(٨٧).

انتهت عملية تحرير الحزم يوم ٢٦ تموز ١٩١٧م بالفشل لعدم

بلاده للعرب وإقامة دولة لهم في سوريا، وأخري في العراق، وكيف أن الشريف الحسين في الحجاز يحوز القوة ويحصل على لقب ملك العرب، وكيف أن سعيد باشا في اليمن بات أسيراً لديهم، ثم تعدى إلى وضع عُمان وذكر بأن بلاده أعلنت منذ عام ١٨٩٥م بأنها ستدعم السلطان وتوفر له الحماية، وأنها لن تسمح لأي كان تغيير واقع الأمر- وفيما يخصكم أنتم (الإمامية) وعزمكم على مهاجمة صور فإني لأعوذ لكم ذلك بالله، لأنه إذا حدث فسيؤدي إلى مقاومتنا، إنني أكتب إليك لأقول لكم: أن لا إرادة لنا الإضرار فيكم وأن إرادتنا خير لكم ولو كنا نريد لأرسلنا إليكم طائرة واحدة وهي أزيد من أن تكفيكم فتحطم مدنكم وتخرّب حصونكم ومن المؤكد أنكم تظنون إنكم تستطيعون مقاومتنا، لدينا خمسمئة ألف من العساكر المدربة على الحرب في العراق وقد فرغت من أعمالها الحربية ولا حاجة لنا فيهم هناك، وبضعة آلاف منهم يكفون للإستيلاء على عُمان قاطبة ولو أردنا بكم سوءاً لفعلنا، وقد خالفكم السيد تيمور في أنه دائماً يحاول أن يكون في حال

الصدّاقة معنا ولا تجهلون ذلك وتعلمون أيضاً أن الحاكم المتولي للسواحل لا يعجز عن وضع الخراج الباهظ على ما يذهب إليكم وما يخرج من بلادكم من الأموال على الدوام، ولا تستطيعون حيلة وتعلمون كذلك أن أزمة أمور البحر في أيدينا، فإذا كنتم تتخيلون مناصبتنا العداوة فلن نسمح أن يباع إليكم الأرز والقمح والأثواب ولن نسمح ببيع قمركم، ولكن إن كنتم تستحسنون صداقتنا ومخابراتنا نساعدكم كما نساعد السيد تيمور، نعم إن لم ترضوا إلا إن تعادوننا فالعواقب الوخيمة ستحل بكم وليس بنا، ومن المتعذر أن نكون أصدقاء لمن لا يريد صداقتنا وإني أناشدكم أن تشرحوا لإمامكم وتبينوا له أن الحالة لا يمكن أن تستمر إلى الأبد.^(٩٠)

كان الوكيل السياسي قد أرسل رسالة مماثلة إلى الإمام الخروصي، أرسلت له مع شقيقه الشيخ ناصر ومثلها إلى الشيخ حمير بن ناصر، ونظراً إلى ما احتوته الرسالة من تهديد، أرسل الشيخ عيسى بن صالح إلى الوكيل السياسي مباشرة يعلمه فيها أن زعماء الإمامية سيجتمعون

يوم ١٠ آذار ١٩١٩م في سمائل وأنه سيحضر إليه مباشرة بعد إنتهاء الإجتماع وسيكون لقائه معه في السيب^(٩١).

في ١٥ ايلول ١٩١٩م حضر- الشيخ صالح للقاء الوكيل السياسي في السيب وامتد اللقاء إلى يوم ١٦ ايلول وحضر اللقاء مع الشيخ عيسى أربعة عشر شيخاً من شيوخ عمان معظمهم من أتباع الإمام، وفي اللقاء شرح الشيخ عيسى- أسباب الثورة وعللها بالإدارة الحكومية السيئة من قبل السلاطين السابقين والسيد تيمور الذين كانوا يستعملون ولاة سيئون، وقضاة غير أميين يتلقون الرشاوي ويتصفون بعدم الإنصاف والظلم، وكان السلاطين لا يهتمون بذلك، كما أن هنالك استياء ضد السلطان لأسباب دينية.

وأوضح الشيخ عيسى بأنه بناء على مقاييس تطور عمان فإنها كانت تحكم بصورة جيدة وكان يتم إختيار القضاة والولاة بإهتمام كبير وكان يتم عزلهم إذا كانوا ظالمين أو فاسدين، ويعتبر البلد الآن آمناً باستثناء النزاعات والقتال الذي يتم بين القبائل وهي أمور لا يمكن تفاديها

بين البدو، ومع ذلك أوضحوا بأن التجار والهنود يمكن أن يسافروا ويشغلوا في عمان وأن يتاجروا بكل أمان إذا سمح لهم بالمجيء، وأضاف أنهم في عمان ينتظرون بفارغ الصبر إزالة القيود المفروضة على التجارة والسفر^{٩٢}.

وفي المقابل أوضح الوكيل السياسي لوفد الإمامية ضرورة إدراك الحقيقة الرامية إلى أن بريطانيا ملتزمة بحماية السيد تيمور بموجب معاهدات وإتفاقيات ملزمة، ومع هذا فإن بريطانيا ترتبط بروابط دينية مع الإمام وعندها أعلنوا للوكيل السياسي أنهم يثقون ثقة مطلقة بالحكومة البريطانية وعدالتها ونيتها السليمة وذلك في الشؤون التي لا تؤثر على دينهم^{٩٣}.

مفاوضات السيب ١٩٢٠م

أولاً: الإطار السياسي لمفاوضات السيب ١٥- ١٧ ايلول ١٩١٩م:

قبيل بدء جلسات التفاوض مع الوكيل السياسي كان الإمامية قد اتفقوا على إطار سياسي يمكن أن يجتمعوا عليه مع الإمام لإبقاء الدولة في حالة تعايش واستقرار، وقد تضمن

هذا الإطار مجموعة من المبادئ أهمها:

أولاً: أن يكون السلطان الزعيم الديني والإمام زعيماً روحياً.

ثانياً: تعيين ممثل للإمام في مسقط واقتراح أن يكون هذا الممثل سعيد بن ناصر الكندي.

ثالثاً: تعيين الشيخ عيسى بن صالح ممثلاً للسلطان في المنطقة الداخلية التي يقيم فيها الإمام.

رابعاً: يصادق الإمام أو ممثله على القضاة قبل تعيينهم.

خامساً: تشكيل مجلس أعيان لمساعدة السلطان.

سادساً: منح مجلس الأعيان صلاحية الموافقة على الولاة المقترحين للتعيين، ومنحهم صلاحية الرقابة على المال^{٩٤}.

كلف الإمام الشيخ عيسى - بن صالح عرض هذا الإطار على الوكيل السياسي شريطة عرضه أولاً على قادة الإمامية ورؤساء وشيوخ وأعيان القبائل المؤيدة للإمام وأخذ توقيعاتهم عليه إن قبلوا به^{٩٥}.

وفي شباط ١٩٢٠م عرض هذا الإطار السياسي وتم قبوله من الوكيل السياسي ولكن المفاوضات وصلت إلى باب مسدود للمرة الثانية نتيجة رفض الإمام الخروصي الموافقة على إعادة مزارع أقارب السلطان^{٩٦}.

في ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٠م أعتيل الإمام سالم بن راشد الخروصي في منطقة الخضراء من طرف أحد أبناء القبائل بسبب مواقفه المتشددة في إعادة الممتلكات لأصحابها كان

سيطر عليها أشقائه بالقوة، والسبب الآخر نتيجة تشدده في جبي الزكاة^{٩٧}.

بعد إعلان وفاة الإمام الخروصي، قاد الشيخ عيسى - بن صالح مؤيدي الإمام وأخذ على عاتقه مسؤولية معالجة كل الظروف الناجمة عن وفاة الإمام، أظهر الشيخ عيسى - بن صالح القائد السياسي والإمامي الحقيقي تأييده عودة نظام الإمامة الديني للحكم، كما أظهر مقدرة فائقة في الحفاظ على جسم التحالف الإمامي، وظهرت هذه المقدرة جلياً بعد نجاحه في معالجة مسألة عدم موافقة الأغلبية من القبائل على

الوكيل السياسي المقيم بمسقط، مغادرة مسقط فوراً إلى سيملا (الهند) لترتيب شيء ما مع السلطان، ليتبين لاحقاً أن هذا الشيء يتعلق برغبة السلطان تيمور بن فيصل لابنه سعيد إلا أن نائب الملك في الهند رفض تلبية الرغبة^{٩٨}.

كان الإمام الجديد الذي تم انتخابه محمد بن عبدالله بن سعود بن خلفان الخليلي، وهو حفيد سعود بن خلفان الذي عمل وزيراً في حكومة الإمام عزان بن قيس، واستطاع بحكمته وتفهمه للظروف التي تعيشها عُمان أن يصل مع الشيخ عيسى بن صالح والشيخ حمير بن ناصر إلى تهدئة أمور المؤيدين لعودة نظام الإمامة، ومن وحي هذا الفهم وافق على إقامة جولة جديدة من المفاوضات التي انطلقت فعلاً يوم ٢٤ تشرين الأول ١٩٢٠م وخلالها قدم وفد الإمامية للمفاوضات اثني عشر مطلباً منها: الاعتراف باستقلال عُمان، وتخفيض الضرائب إلى ٥%، ومنح العمانيون حرية الحركة والسلامة في مناطق نفوذ السلطان، والتعهد بعدم القيام بأية أعمال

الإمام الجديد، واستطاع الحفاظ على جمع خيوط الأمور بين يديه وعدم السماح بخروجها عن السيطرة حينما كتب للوكيل السياسي مباشرة رغبة مؤيدي الإمام بإعادة فتح المفاوضات، ويبدو أن الوكيل أدرك الظرف الذي تعيشه الإمامة ولذلك رد على طلب الشيخ عيسى بن صالح بأنه قبل أن يوافق يرغب معرفة رأي مؤيدي الإمام في الموافقة على عودة المزارع الخاصة بأقارب السلطان واعتبار ذلك شرطاً من شروط إعادة فتح المفاوضات^{٩٨}.

في ٢٣ آب ١٩٢٠م رد الشيخ عيسى بن صالح على الوكيل السياسي (M.Wingate) وأبلغه أنه استطاع جمع رؤساء القبائل وأخذ مشورتهم في إعادة فتح المفاوضات، واستعدادهم لإعادة الممتلكات الخاصة بوالي مطرح قريب السلطان، وبناءً على هذه الموافقة التي حملها للوكيل السياسي الشيخ عيسى- بن ناصر الكندي، اكتفى أن يكون يوم ١٥ أيلول ١٩٢٠م موعداً للمفاوضات^{٩٩}.

في آب ١٩٢٠م طلب المعتمد السياسي البريطاني في البحرين من

أولاً: البنود الخاصة بالإمامية:

أ- رفع جميع القيود المفروضة على الدخول إلى مسقط ومطرح وجميع مناطق المدن الساحلية.

ب- عودة المهجرين من العائلات الداخلية إلى مدنهم وقراهم وعدم منح اللجوء أو الحماية لأي مجرم فرضت عليه العدالة في المناطق الداخلية.

ج- ضمان حرية مرور وسلامة العمانيين من رجال القبائل في حلهم وترحالهم في مدن الساحل.

د- تخفيض الضرائب على منتجات وبضائع المناطق الداخلية إلى ٥% والسماح بدخولها إلى مدن الساحل.

ثانياً: البنود الخاصة بالسلطان.

أ- التزام الإمامية بعدم مهاجمة المدن الساحلية، وعدم التدخل بشؤون حاكم مسقط والتعايش بسلام مع حكومة السلطان.

ب- ضمان أمن وحرية التجارة والتنقل لتجار الساحل والسماح بدخولهم إلى المناطق الداخلية.

ج- إعادة المهجرين والأسرى من أهل مسقط وعدم منح اللجوء

هجومية على أراضي الطرفين، وأن يقدم السلطان الدعم المالي للمنطقة الداخلية، وأن يوقع الإمام إلى جانب السلطان على بعض الوثائق العمانية مثل الجوازات، والتزام الطرفين على إعادة الهاربين، والسماح بحرية التجارة والسفر، ولكن الوكيل السياسي رأى في مطالب وفد الإمام مبالغة تظهر أنهم يرغبون كسب الوقت وغير مستعدين للصلح وفق الشروط التي تم الاتفاق عليها في المفاوضات السابقة، ولذلك هددهم بترك المفاوضات والخروج من الاجتماع إن لم يتم التوقيع على مذكرة كان قد استخلصها من اجتماعاتهم السابقة، ولذلك وافق الوفد الإمامي واتفق على صياغة البنود التي سترسم العلاقة بين مؤيدي الإمام والسلطان في ثمانية بنود منها أربعة تختص بالتزامات الإمام تجاه السلطان، والأربعة الأخرى التي تخص التزامات السلطان اتجاه الإمام.

اتفاقية السيب ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠م:

بنود الاتفاقية:

الخاتمة:

وبعد فإننا نستطيع من خلال المادة العلمية المستخلصة من الوثائق البريطانية، أن نؤكد على جملة من الحقائق التاريخية الآتية:

أولاً: أن الحكومة البريطانية ومن وحي مصالحها السياسية، والاقتصادية، في الأراضي العمانية، هي التي غدت الصراع بين العمانيين على الحكم، كما تحكمت في تصاعد الصراع وتراجع حدته وفقاً لمصالحها، والظروف الدولية التي كانت تواجهها.

ثانياً: ساهمت الحكومة البريطانية خلال انتدابها رسمياً على عُمان في مضاعفة تراجع الاقتصاد العماني وإفقار أهله وحكومته وبالتالي بقاء العمانيون بحاجة لها، وقد ساهم هذا الأمر في تأخر ظهور الخدمات التعليمية، والصحية، والمواصلات، واستخراج النفط العماني.

ثالثاً: ثبوت مسؤولية حكومة الانتداب عن المشاكل الحدودية التي واجهتها الدولة العمانية مع جيرانها العرب، وخصوصاً المملكة العربية السعودية، والإمارات العربية

والحماية لأي هجوم في المناطق الداخلية.

د- تسوية مطالب السلطان والتجار المؤيدين له وفق الشريعة الإسلامية وإعادة المزارع المتنازع عليها^{١٠١}.

حاز هذا الاتفاق موافقة السلطان والإمام وبفضل ذلك انتهت مرحلة من مراحل الصراع الإمامي السلطاني المسلح استمر سبع سنوات متصلة وأدت إلى شطر عُمان إلى شطرين شبه مستقلين، الأول في المنطقة الساحلية والثاني في المنطقة الداخلية، الأول تحت سيطرة السلطان والثاني تحت سيطرة الإمام، ولكن ما يؤسف له هو أن هذه الاتفاقية التي تم التوقيع عليها من قبل السلطان والإمام كرست الوضع القائم وبقيت المنطقتين شبه مستقلتين مما يعني أن الصراع قد يشتعل لأي سبب قد يختلفوا على تطبيقه، ولكنها في نهاية الأمر أدت إلى حقن دماء العمانيين ووفرت لهم الهدوء والاستقرار نحو ثلاثين عاماً.

المتحدة، سواء ما يتعلق بأراضي منطقة (حماسة) بالنسبة للسعودية، او أراضي (البريمي) بالنسبة للإمارات العربية المتحدة.

رابعاً: رغم حالة الاستقرار التي شهدتها الأراضي العمانية في الماضي، وحتى في الحاضر، إلا أن محركات الصراع بقيت ولا زالت قائمة والسبب في ذلك أنها تقوم على مبادئ دينية ذات إطار مذهبي، بقيت وستبقى حية في نفوس طرقي الصراع، يتحين كل طرف الفرصة لحسمه نهائياً لصالحه.

الهوامش:

١ محمد الحارثي، موسوعة عُمان، الوثائق السرية، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان. بيروت، تشرين أول ٢٠٠٧م، المجلد الأول (المقدمة) ص ١١، وسيشار له عند استخدامه فيما بعد هكذا، وثيقة رقم - تاريخ الوثيقة - رقم المجلد - رقم الصفحة.

٢ طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، منشورات دار الرشيد، بغداد ١٩٨٢م. ص ٩-١١.

٣ سلوت .ب.ج، عرب الخليج من ١٦٠٢م - ١٧٨٤م، ترجمة عائدة خوري، منشورات، المجمع الثقافي أبو ظبي، ط ١، ١٩٧٣م، ص ١١-١٣.

٤ عبدالله عليان، التاريخ البحري العماني، مجلة نزوى، العدو (٢٩) تاريخ ١٠ أكتوبر ٢٠٠٩م، ص ١٥.

٥ محمد الحارثي، موسوعة عُمان، المقدمة، ص ٢٠.

٦ موسوعة عُمان، المصدر السابق، المجلد رقم ١، ص ٣٣٧.

٧ الموسوعة، وثيقة رقم ١، تاريخ ١٨٦١/٤م، المجلد رقم ١، ص ١٠٨١-١٠٨٢.

٨ المصدر السابق نفسه، ص ١٠٨٢.

٩ وثيقة رقم (٢) (د ث) رد السيد ثويني على قرار لجنة التحكيم، المجلد رقم ١، ص ١٠٨٣-١٠٨٤.

١٠ وثيقة رقم (٣)، تاريخ ٨ حزيران ١٨٦١م، مجلد رقم ١، ص ١٠٨٥.

١١ وثيقة رقم (١٠٤) تاريخ ١٤ ايار ١٨٩٥م، مجلد رقم ١، ص ١٢٧١.

١٢ وثيقة رقم (١١١) تاريخ ٢١ آذار ١٩١٤م، مجلد رقم ٢، ص ٩٧.

١٣ وثيقة رقم (١١٤) تاريخ ١٤ نيسان ١٩١٤م، مجلد رقم ٢، ص ١٠٢.

وانظر أيضاً وثيقة رقم (١٣١) تاريخ ٢ آذار ١٩١٩م، المجلد رقم ٢، ص ١٦١-١٦٢.

وانظر الوثيقة رقم (١٣٢) تاريخ ٣١ آذار ١٩١٩م، المجلد رقم ٢، ص ٢١٤.

١٦ وثيقة رقم (١٣٣) تاريخ ١٩ أيلول ١٩١٩م، المجلد رقم ٢، ص ١٦٥-١٦٦.

وانظر أيضاً الوثيقة رقم (١٣٤) تاريخ ٢٤ أيلول ١٩١٩م، المجلد رقم ٢، ص ١٦٧-١٧٢.

١٧ وثيقة رقم (٦٥٣) تاريخ ٦ تشرين أول ١٩٥٤م، المجلد رقم ٣، ص ٣٥٣.

وانظر أيضاً وثيقة رقم (٦٥٤) تاريخ ٢٤ تشرين أول ١٩٥٤م، المجلد رقم ٣، ص ٣٥٥-٣٥٧. والوثيقة رقم (٦٥٧) تاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٥٤م، المجلد رقم ٣، ص ٣٦٣-٣٦٨.

١٨ د.حسين عبيد غباشي، عُمان الديمقراطية الإسلامية، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (١٥٠٠م-١٩٧٠م)، منشورات دار الجديد، بيروت. لبنان ط، ص ١٢-٣٢.

١٩ نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، الطبعة الشرقية، سلطنة عُمان، مسقط، ١٩٨٠م، ص ١٩-٣٣.

٢٠ نور الدين السالمي، تحفة الأعيان، مصدر سابق، ص ٣٧.

* هو عزان بن قيس بن عزان من أحفاد الابن الثاني للإمام أحمد بن سعيد بن قيس، قاد ثورة على السلطان سالم بن ثويني لإعادة حكم الإمامة، تمكن من السيطرة على مسقط وحكم عمان في ٢٩ تشرين الأول ١٨٦٨، استمر حكمه حتى عام ١٨٧١، قتل على يد السيد تركي بن سعيد بن سلطان الذي استعاد الحكم منه. الوثائق، ج ١، ص ٤٠، ص ٤١.

** انتخب عام ١٩١٣ إماماً لعمان من قبل قبائل المنطقة الداخلية، قاد عدة حملات مسلحة لاسقاط حكم السلطان فيصل بن تركي، توفي عام ١٩٢٠، وانتخب بدلاً منه محمد بن عبد الله الخليفي. انظر: الوثائق العمانية، المجلد ٢، ص ١٠٣.

١٤ وثيقة رقم (١١٥) تاريخ ٦ تشرين أول ١٩١٤م، مجلد رقم ٢، ص ١٠٣-١٠٥.

وانظر أيضاً، وثيقة رقم (١١٧) تاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١٠٦.

وانظر، وثيقة رقم (١١٨) تاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١٠٨.

والوثيقة رقم (١١٩) تاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٥م، (المرسلة من الوكيل السياسي بمسقط إلى رئيس هيئة الأركان البريطاني، مجلد رقم ٢، ص ١٠٩.

١٥ وثيقة رقم (١٣٠) تاريخ ١ آذار ١٩١٩م، المجلد رقم ٢، ص ١٥٩.

٢٦ وثيقة رقم (١١٠) تاريخ ٢٩ تشرين أول ١٩١٣م، المجلد رقم ٢، ص ٩٦.

* هو حمير بن ناصر النهاني رئيس قبيلة بني ريام وأمير منطقة الجبل الأخضر. وهو رئيس تحالف قبائل غافر. يمتد نسبه إلى ملوك مملكة النباهة. الأسرة العريقة الحاكمة التي حكمت المنطقة الداخلية من عمان لمدة تزيد على خمسمائة سنة. انظر: الوثائق العمانية، ج ٣، ص ٧٦.

*** شيخ قبائل الحرث العمانية، ورئيس تحالف القبائل الهنائية - قائد ميداني محنك قاد جيش الإمام سالم الخروصي ضد السلطان فيصل بن تركي عام ١٩١٣-١٩١٥. الوثائق العمانية، ج ٣، ص ٣١٧.

٢٧ وثيقة رقم (١١١) تاريخ ٢١ آذار ١٩١٣م، المجلد رقم ٢، ص ٩٧.

وانظر أيضاً وثيقة رقم (١١٢) تاريخ ١٠ نيسان ١٩١٤م، المجلد رقم ٢، ص ٩٩.

والوثيقة رقم (١١٥) تاريخ ٩ تشرين أول ١٩١٤م، المجلد رقم ٢، ص ١٠٣.

٢٨ وثيقة رقم (١٠٥) تاريخ ١٦/١٠/١٩١٤م، مجلد رقم ٢، ص ١٠٢.

* تقع مدينة تنوف ضمن ولاية نزوى إحدى أبرز المدن العمانية- تقع في المنطقة الداخلية التي يتزعم الحلف فيها الشيخ حمير بن ناصر النهاني، تبعد عن مدينة مسقط حوالي ١٣٠ كم. انظر الوثائق العمانية، ج ١، ص ٢٧٩.

٢١ محمد بن صالح الطيواني، دخول الإسلام إلى عُمان (المنهاج) (د.م.ن) ١٩٢٥م، ص ٣٨-٤٧.

٢٢ وثيقة رقم (١) تاريخ ٢ نيسان ١٨٦١م، المجلد رقم ١، ص ١٠٨١.

وانظر أيضاً وثيقة رقم (٢) تاريخ ٨ حزيران ١٨٦١م، المجلد رقم ١، ص ١٠٨٥.

* الهناوية (الهنائي)- قبائل هناء العربية تنتسب إلى القبائل اليمينية القحطانية. انظر: الوثائق العمانية، ج ٣، ص ٧٩.

** الغافرية- قبيلة غافر العربية العدنانية، هاجرت إلى عمان من الحجاز وأصبحت الجزء الرئيسي المنافس للقبائل الهناوية قبل أن تشكل القبيلتين حلفاً ضد السلطان فيصل بن تركي عام ١٩١٣. ج ٣، ص ٨٠.

٢٣ وثيقة رقم (٤) تاريخ ١٠ حزيران ١٨٦١م، المجلد رقم ١، ص ١٠٨٧.

* برز كقائد في آيار ١٩١٣ عندما انتخب للتحضير للثورة، ويعود إليه الفضل في انتخاب صهره سالم بن راشد الخروصي لمنصب الإمام، انظر: الوثائق العمانية، ج ٢، ص ٣٢٠.

٢٤ وثيقة رقم (١٠٩) تاريخ ١٨ تشرين أول ١٩١٣م، المجلد رقم ٢، ص ٩٣.

٢٥ المصدر السابق نفسه، المجلد رقم ٢، ص ٩٤.

وانظر أيضاً الوثيقة رقم (١١٥) ملخص الأحداث، مجلد رقم ٢، ص ١٠٣.

٣٥ الوثيقة رقم (١٢٤) تاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١١٩.

٣٦ وثيقة رقم (١٢٩) تاريخ ١٤/٦/١٩١٥م، المرفق (هـ)، مجلد رقم ٣، ص ١٤٥.

٣٧ وثيقة رقم (١٠٥) الملحق رقم (٢) للمرفق (١)، تاريخ ١٣/٧/١٩١٣م، مجلد رقم ٢، ص ٦٣-٦٤.

وانظر أيضاً الوثيقة رقم (١٠٥) الملحق الثانوي للمرفق رقم (١)، مجلد رقم ٢، ص ٦٨.

* القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية رقم (٨١).

* العلية- إحدى المناطق التابع لولاية نخل تحتوي على مجموعة حصون أهمها حصن المصور، وحصن القرين، تبعد عن مدينة مقسط حوالي ١٠٠ كم. الوثائق العمانية، ج ٢، ص ٣٢١.

٣٨ وثيقة رقم (١٠٥) الملحق الثانوي رقم (٣) للمرفق رقم (٣)، مجلد رقم ٢، ص ٦٩-٧٠.

٣٩ المصدر السابق، الملحق رقم (٤)، مجلد رقم ٢، ص ٧٠.

٤٠ وثيقة رقم (١٠٥) المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ٧١.

٤١ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ٧٢.

٢٩ وثيقة رقم (١٠٦) تاريخ ١١/١٠/١٩١٣م، مجلد رقم ٢، ص ٩٣.

٣٠ وثيقة رقم (١٠٧) تاريخ ١١/٨/١٩١٣م، مجلد رقم ٢، ص ٨١-٨٤.

وانظر أيضاً وثيقة رقم (١٢٤) تاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١١٨-١١٩.

وانظر الوثيقة رقم (١٠٥) تاريخ ١٣/٧/١٩١٣م، المرفق رقم ٤، مجلد رقم ٢، ص ٧٠.

** ازكي- من أقدم المدن العمانية أسسها مالك بن فهم قبل الإسلام أثناء دخوله لتحرير عمان من الفرس، وهي من ضمن الولايات التي تتبع لمدينة نزوى.

٣١ وثيقة رقم (١٠٧) مرجع سابق، مجلد رقم ٢، ص ٨٠.

٣٢ وثيقة رقم (١٠٧) الملحق الخاص بثورة تنوف، تاريخ ٣١ تموز ١٩١٣م، مجلد رقم ٢، ص ٨٠.

٣٣ المصدر السابق، إتصالات الوكيل السياسي بزعماء التمرد، تاريخ ١١/٧/١٩١٣م، مجلد رقم ٢، ص ٨٥.

* سمائل- إحدى الولايات العمانية التي تقع في المنطقة الداخلية من عمان، وهي موطن لعدد كبير من الأئمة والعلماء والفقهاء، ويقع فيها ١١٥ حصناً. الوثائق العمانية، ج ٢، ص ٢٨٤.

٣٤ المصدر السابق، ص ٨٣.

مدينة ساحلية تقع شمال مسقط. انظر: الوثائق العمانية، ج ٢، ص ٨٥.

٥٣ وثيقة رقم (١٠٧) المرفق رقم (١)، تاريخ ٣١ تموز ١٩١٣م، مجلد رقم ٢، ص ٨٦.

٥٤١ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ٨٧-٨٨.

٥٥ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ٨٨.
* مدينة صور- أهم ولايات المنطقة الشرقية في سلطنة عمان، وهي عاصمتها الإقليمية ومركز قبيلة الحرث (الحارثي) اشتهرت تاريخياً بصناعة السفن البحرية، والصيد البحري. انظر الوثائق العمانية، ج ٢، ص ٧٩.

٥٦ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ٨٩.

٥٧ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ٩٠.

٥٨ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ٩٥.

٥٩ وثيقة رقم (١١١) برقية الوكيل السياسي إلى ضباط البحرية بمسقط، تاريخ ٢٢ آذار ١٩١٣م، مجلد رقم ٢، ص ٩٧.

٦٠ وثيقة رقم (١١٢) تاريخ ١٠ نيسان ١٩١٤م، مجلد رقم ٢، ص ٩٩.

٦١ وثيقة رقم (١١٤) تاريخ ١٤ نيسان ١٩١٤م، مجلد رقم ٢، ص ١٠٢.

٦٢ وثيقة رقم (١١٤) المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ١٠٢-١٠٣.

٤٢ المصدر السابق، ملحق رقم (٨) مرفق رقم (٣)، مجلد رقم ٢، ص ٧٢.

٤٣ المصدر السابق، الملحق رقم (١) المرفق رقم (٣)، مجلد رقم ٢، ص ٧٦.

٤٤ المصدر السابق، الملحق رقم (٤) المرفق رقم (٣)، مجلد رقم ٢، ص ٧٧.

٤٥ المصدر السابق نفسه، ص ٧٧-٧٨.

* العوايي- إحدى ولايات جنوب الباطنة تقع في الجزء الشمالي من عمان، وهي من أشهر المناطق الزراعية في عمان. انظر: الوثائق العمانية، ج ٢، ص ٢٨٥.

٤٦ وثيقة رقم (١٠٧) (أحداث تنوف) تاريخ ١١ آب ١٩١٣م، مجلد رقم ٢، ص ٨٢.

٤٧ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ٨٢.

٤٨ المصدر السابق نفسه، مجلد رقم ٢، ص ٨٣.

٤٩ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ٨٤.

٥٠ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ٨٥.

٥١ وثيقة رقم (١٠٦) برقية المعتمد السياسي إلى السلطان فيصل، تاريخ ٦ تموز ١٩١٣م، المجلد رقم ٢، ص ٨٥-٨٦.

٥٢ وثيقة رقم (١٠٧) تاريخ ٣١ تموز ١٩١٣م، مجلد رقم ٢، ص ٨٦.

* السيب- هي إحدى الولايات التابعة لمدينة مسقط عاصمة السلطنة، وهي

٦٩ وثيقة رقم (١٢٤) تاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١١٢، ص ١٢٣-١٢٤.

٧٠ وثيقة رقم (١٢٧) تاريخ ١٨ آب ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١٤٩.

٧١ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ١٥٠.

وثيقة رقم (١٢٥) رسالة الوكيل السياسي للإمام وقادته، تاريخ ٩ نيسان ١٩١٥م، المجلد رقم ٢، ص ١٣٣-١٣٤.

٧٢ وثيقة رقم (١٢٦) تقرير القنصل البريطاني لوزارة الخارجية بحكومة الهند، تاريخ ١٤/٤/١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١٣٦.

٧٣ المرجع السابق، المرفق رقم (أ)، تاريخ ١١ أيار ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١٣٩.

٧٤ المرجع السابق، المرفق رقم (؟؟) مجلد رقم ٢، ص ١٤٢.

٧٥ المرجع السابق، المرفق رقم (٣) مجلد رقم ٢، ص ١٤٣.

٧٦ وثيقة رقم (١٢٦) مرفق رقم (٣)، مجلد رقم ٢، ص ١٤٥.

٧٧ المرجع السابق نفسه، مجلد رقم ٢، ص ١٤٦.

٧٨ وثيقة رقم (١٢٧) مرجع سابق، مجلد رقم ٢، ص ١٥١-١٥٢.

٧٩ المرجع السابق نفسه، مجلد رقم ٢، ص ١٥٢.

٦٣ وثيقة رقم (١١٢) مرجع سابق، مجلد رقم ٢، ص ٩٩.

وانظر أيضاً وثيقة رقم (١١٣) برقية المعتمد السياسي في الخليج لوزارة الخارجية البريطانية في الهند، تاريخ ١٩ نيسان ١٩١٤م، مجلد رقم ٢، ص ١٠٠-١٠١.

٦٤ وثيقة رقم (١١٦) تاريخ ٧ كانون الثاني ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١٠٤.

٦٥ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ١٠٤.

٦٦ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ١٠٥.

٦٧ وثيقة رقم (١١٧) برقية الوكيل السياسي إلى وزير الخارجية بحكومة الهند، تاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١٠٦.

وانظر أيضاً وثيقة رقم (١١٨) تاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١٠٨.

وانظر الوثيقة رقم (١١٩) تاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١٠٩-١١٠.

٦٨ وثيقة رقم (١١٩) برقية الوكيل السياسي إلى وزارة الخارجية في دلهي والبصرة، تاريخ ١١ كانون الثاني ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١١٠.

وانظر أيضاً وثيقة رقم (١٢٠) تاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩١٥م، مجلد رقم ٢، ص ١١١.

المفاوضات مع الشيخ عيسى)، تاريخ ١٥
أيلول ١٩١٩م، مجلد رقم ٢، ص ١٦٥.

٩٣ وثيقة رقم (١٣٤) تقرير الوكيل
السياسي إلى المعتمد السياسي البريطاني
المقيم في الخليج/بغداد، تاريخ ٢٤ أيلول
١٩١٩م، مجلد رقم ٢، ص ١٦٧-١٦٨.

٩٤ وثيقة رقم (١٣٤) مصدر سابق، مجلد
رقم ٢، ص ١٦٩.

٩٥ المصدر السابق نفسه، مجلد رقم ٢،
ص ١٧٢.

٩٦ وثيقة رقم (١٣٧) تاريخ ٧ نيسان
١٩٢٠م، مجلد رقم ٢، ص ١٧٥.

٩٧ وثيقة رقم (١٣٩) تاريخ ٢٣ تموز
١٩٢٠م، مجلد رقم ٢، ص ١٨٥.

وانظر أيضاً وثيقة رقم (١٤٠) وثيقة سرية
(د.ت)، مجلد رقم ٢، ص ١٨٦.

٩٨ وثيقة رقم (١٤٠) المصدر السابق،
مجلد رقم ٢ و ١٨٦-١٨٧.

٩٩ وثيقة رقم (١٤٢) رسالة الشيخ عيسى
بن صالح للوكيل السياسي، تاريخ ٣ آب
١٩٢٠م، مجلد رقم ٢، ص ١٨٩.

وانظر أيضاً وثيقة رقم (١٤٣) تاريخ ٧
آب ١٩٢٠م، مجلد رقم ٢، ص ١٩٠.

وانظر الوثيقة رقم (١٤٤) تاريخ ١٧ آب
١٩٢٠م، مجلد رقم ٢، ص ١٩٢-١٩٣.

١٠٠ وثيقة رقم (١٤٥) تاريخ ٢ أيلول
١٩٢٠م، مجلد رقم ٢، ص ١٩٣.

٨٠ المصدر السابق نفسه، مجلد رقم ٢،
ص ١٥٣.

٨١ وثيقة رقم (١٣٧) مرجع سابق، مجلد
رقم ٢، ص ١٥٣. المصدر السابق نفسه،
ص ١٥٣.

٨٢ المصدر السابق نفسه، ص ١٥٣.

٨٣ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ١٥٣.

٨٤ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ١٥٤.

٨٥ المصدر السابق، مجلد رقم ٢، ص ١٥٤.

٨٦ المصدر السابق نفسه، ص ١٥٤-١٥٥.

٨٧ وثيقة رقم (١٢٨) تاريخ ٢٥ شباط
١٩٧١م، مجلد رقم ٢، ص ١٥٥-١٥٦.

٨٨ وثيقة رقم (١٢٩) تاريخ ٥ حزيران
١٩١٧م، مجلد رقم ٢، ص ١٥٧.

٨٩ وثيقة رقم (١٣٠) تاريخ ١٥ آذار
١٩١٩م، مجلد رقم ٢، ص ١٥٩-١٦٠.

٩٠ وثيقة رقم (١٣١) تاريخ رسالة الوكيل
السياسي بمسقط إلى الشيخ عيسى بن
صالح، تاريخ ٢ آذار ١٩١٩م، مجلد رقم ٢،
ص ١٦١-١٦٢.

٩١ وثيقة رقم (١٣٢) رسالة الوكيل
السياسي إلى المعتمد السياسي في بغداد،
وبو شهر، تاريخ ٣١ آذار ١٩١٩م، مجلد
رقم ٢، ص ١٦٤.

٩٢ وثيقة رقم (١٣٣) رسالة الوكيل
السياسي إلى وزارة الخارجية(حول

درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز من وجهة نظر معلميها □

د. حسين أبو رياش *

د. بهجت التخينة **

تاريخ الوصول: ٢٠١٨/٢/٢٧م

تاريخ القبول: ٢٠١٨/٧/٢٢م

الملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز من وجهة نظر معلميها. وتكونت عينة الدراسة من (١٩٥) معلماً ومعلمة من الذين يدرسون في هذه المدارس للعام الدراسي ٢٠١٧/٢٠١٦م. ولتحقيق أهدافها تم تطوير استبانة اشتملت على (٣١) فقرة، توزعت في خمسة مجالات هي: مصادر التعلم، البرامج والأنشطة الإثرائية، الإدارة والإشراف، مهارات المعلم، وتنمية وتطوير مهارات الحياة لدى الطلبة، وقد تم تحليل البيانات الكمية لنتائج الدراسة باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة. وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية لدى المعلمين من وجهة نظرهم كانت متدنية جداً بالنسبة للدرجة الكلية في جميع مجالات أداة الدراسة، وكانت متوسطة في مجالات مصادر التعلم، ومهارات المعلم، والإدارة والإشراف ومتدنية في مجال البرامج الإثرائية، ومتدنية جداً في مجال تطوير مهارات الحياة، كما وجد من نتائج الدراسة أنه لا توجد فروق دالة إحصائية في متوسطات استجابات عينة الدراسة تعزى لمتغيرات الجنس وسنوات الخبرة والتخصص. وفي ضوء النتائج توصي الدراسة بأهمية توفير برامج وأنشطة إثرائية، وأهمية تدريب المعلمين على تصميم وتنفيذ برامج وأنشطة إثرائية، وتوفير الدعم الملائم.

الكلمات المفتاحية: البرامج والأنشطة الإثرائية، مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي.

* أستاذ مساعد، الجامعة العربية المفتوحة، الأردن.

** أستاذ مساعد، الجامعة العربية المفتوحة، الأردن.

Abstract

The study aimed at investigating the degree of applying programs and enriching activities at King Abdullah II Schools for Excellence.

The sample of study consisted of (195) teachers who teach at these schools for the academic year 2016/2017. The questionnaire of study developed by both researchers, consisted of five domains: learning sources, enriching programs and activities, administration and supervision, skill of the teacher and skills of life growing and development amongst students. The descriptive analytical method was used to analyze data of study.

The results of the study showed that the degree of application of the teachers' educational programs and activities was very low for the total score in all domains, they were mediocre in the areas of learning resources, teacher skills, management and supervision, low in enrichment programs, and very low in life skills development also the results of the study, also the results showed that there were no statistically significant differences in the mean responses of the sample of the study due to gender variables, years of experience and specialization. In the light of the results, the study recommends the importance of providing enrichment programs and activities, and the importance of training teachers in designing and implementing enrichment programs and activities, and providing appropriate support.

Keywords: (Enriching Programs and Activities, Schools of Scientific Excellence).

المقدمة:

من أجل تقديمها لاستثمار إمكانات
تلك الفئات لخدمة مجتمعهم
اقتصادياً واجتماعياً.

تهتم الدول في الوقت الحاضر
اهتماماً بالغاً برعاية أبنائها الموهوبين
والمتفوقين والمتميزين، لا سيما وأن
المجتمعات تسير في خطى متطورة

وهذا يعني إجراء دراسات وبحوث تتناول مختلف الجوانب في هذه المدارس، بدءاً بالمنهاج، وكفاية المعلمين، والمناخ النفسي، ورضا الطلبة، وغيرها من الموضوعات، نظراً لما تمثله هذه المدارس من نقلة نوعية تختلف عما هو سائد في المدارس العادية^(٢).

وتعتبر البرامج والأنشطة الإثرائية في التعليم من الممارسات الهامة التي تزيد من وعي الطلبة بالمشكلات والتحديات الموجودة في بيئتهم، وزيادة اهتمامهم بمستوى تعلمهم ورغبتهم في حل المشكلات التي يواجهونها، مما يحفز الطلبة نحو الإبداع والتعامل النشط مع المشكلات، ويجعلهم أكثر انفتاحاً على خبرات الآخرين، وتنمية مهاراتهم الحياتية المختلفة^(٣).

كما تؤكد علي أن استخدام الأنشطة التعليمية يحقق إيجابية كبيرة للمتعلمين، فهي تعمل على إكسابهم العديد من المعارف، وتعمل على تنمية مهاراتهم العقلية والاجتماعية والقيم^(٤).

إن الاهتمام بالتفوق والتميز يعني الاهتمام بتلك الفئة التي تقع في نهاية الطرف الموجب لمنحى التوزيع الطبيعي للقدرات، وهي الفئة المحدودة العدد، واللامحدودة الإمكانيات التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة : ٢٦٩].

وعليه فقد بدأ الاهتمام في الأردن بالطلبة المتميزين منذ قيام صندوق الملكة علياء للعمل الاجتماعي التطوعي الأردني (١٩٩٠) وبالتعاون مع وزارة التربية والتعليم برعاية هذه الفئة في المؤسسات التعليمية بطرح البرامج الإثرائية للمتميزين والمتفوقين، وإنشاء مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي في مختلف أنحاء الأردن^(١).

وتشير باربارة وسامنتن (١٩٩٠) إلى أن أي مشروع تربوي بحاجة إلى متابعة وتقويم، لتعزيز نقاط قوته، ومعالجة نقاط الضعف فيه. وتنطبق هذه القاعدة على مدارس المتميزين،

والدراسية العامة المخصصة للطلبة العاديين بهدف تعليمهم وتدريبهم على الاعتماد على الذات في الحصول على المعلومات الهامة، وتوظيف تلك المعلومات مستقبلاً في مسيرتهم التعليمية، مع كسب خبرات جديدة من المختصين في المجالات التي تنمي لديهم الإبداع والابتكار، بالإضافة إلى تنمية المهارات البحثية لديهم من خلال مجموعة الأنشطة التي يمارسونها.

ويشير الحموري^(٨) (٢٠٠٩) نقلاً عن (Clarc & Zimerman, 2002) أن الإثراء من أهم أشكال البرامج التعليمية المقدمة للطلبة الموهوبين والتميزين، كونه يتيح الفرصة لأولئك الطلبة في متابعة دراستهم بدرجة تختلف عن الطلبة العاديين، من خلال التعمق في المادة التعليمية وإثراء المعلومات فيها بهدف توسيع الحصيلة المعرفية وتعميقها من خلال المناهج التربوية العامة المخصصة للطلبة العاديين، بالإضافة إلى تعليم الطلبة الموهوبين والتميزين الاستقلالية والاعتماد على الذات وكسب الخبرات والمعارف الجديدة والهادفة سواء أكانت في المدارس

وتتعدد البرامج التربوية المقدمة للطلبة المتفوقين في المجالات الدراسية المختلفة، حيث أثبتت الدراسات أن أولئك الطلبة بحاجة إلى مناهج وبرامج وأنشطة إثرائية تتناسب ومستوى القدرات العقلية التي تميزهم عن غيرهم من الطلبة إلى جانب المناهج العادية التي تقدم لهم، وذلك لإشباع حاجاتهم الفكرية والإبداعية^(٩).

ولأهمية الأنشطة التعليمية أوصت الندوة التي أقامتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مع اللجنة الوطنية القطرية خلال الفترة ٧-١١ مايو ٢٠٠٠م والتي كانت تحت عنوان المعالم الأساسية للمؤسسة المدرسية في القرن الحادي والعشرين بتخصيص مساحات أوسع للنشاطات العلمية والتجارب التطبيقية في المنهاج التربوي بما يساهم في تكوين المهارات الحياتية وربط المعارف بالبيئة^(١٠).

وقد وضح جرادات^(١١) أن البرامج الإثرائية صممت لفئة الطلبة المتفوقين بهدف توسيع وتعميق ما لديهم من حصيلة معرفية استطاعوا الحصول عليها من خلال المناهج

العادية أم في المدارس الخاصة بالطلبة المتفوقين.

مشكلة الدراسة:

أكد ستيرنبرغ Sternberg على تنشيط اتجاهاتنا وسلوكياتنا نحو الموهوبين والمتميزين، ومعرفة الأشكال المتعددة من الموهبة، وأن نعرف أساليب التعليم البديلة، وأساليب التفكير، وأنماط القدرات والتعلم المتسق مع هؤلاء الأشخاص، وأهمية التوسع في البرامج التي تقدم لهم، والعمل على تقييمها، ومعرفة الصعوبات التي تواجهها، والعمل على معالجتها، إذ إن المعلمين الذين يتعاملون مع الطلاب المتميزين يتعلمون كيف يتم إثارة التفكير العلمي والفني والإبداعي، ويتعلمون كيف يمكن مساعدة الطلاب على فهم أنفسهم، وتكوين مفاهيم ذاتية جيدة، وعلى تقدير الإنجازات التربوية والمهنية^(٩).

وفي مقال مثير للفكر قام بورلاند Borland (2003) المذكور في السمادوني^(١٠) (٢٠٠٩) بالتوصية برؤية أوسع لتقويم البرامج الخاصة بالموهوبين والمتفوقين، فقد أوصى

بتقويم نجاح البرنامج، وتأثيراتها على عوامل وعناصر خارجية عن تلك البرنامج.

ولهذا فإن وزارة التربية والتعليم في الأردن، وضمن خطتها الإستراتيجية ومشاريعها في مجال تطوير بنية النظام التربوي، قد وفرت (١٠) مدارس للمتميزين في محافظات الأردن، لتعم الفائدة، ويصبح جميع الطلبة المتميزين مستهدفين بهذه المدارس، حيث تهدف هذه المدارس إلى تزويد الطلبة المتميزين بخلفية نظرية متينة في المعارف الأساسية بمستواها الإثرائي والتطويري، واكساب المتميز مهارات الحياة النافعة المرتبطة بالعلم والتكنولوجيا، وإعداد قيادات واعدة في مختلف التخصصات، كما تهدف إلى تنمية الموهبة والإبداع واستثمار طاقات المتميزين إلى أقصى حد، وتنمية شخصية المتميز من خلال تعزيز ثقته بنفسه، وبقدراته، وتطوير نظريته للمستقبل، والتخطيط له، وتهيئة المتميز لمواجهة التحديات التي قد تواجهه، وتطوير مهارات التفكير العليا والبحث العلمي عند المتميز،

وتنمية الحس والانتماء الوطني لديه^(١١).

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف؛ فإن مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز تهدف إلى تقديم المناهج الإثرائية بعناية وحرص من خلال لجان فنية وخبرات أردنية تلبى الاحتياجات التربوية والتعليمية للطلبة المتميزين، إلى جانب المناهج الرسمية.

ويرى الباحثان أن تحقيق هذه الأهداف يحتاج إلى أن يتوفر مناخ تتضافر فيه العديد من الأمور التي يجب أن تتوفر للمعلمين العاملين مع هذه الفئة، من بينها: (مصادر التعلم، البرامج والأنشطة الإثرائية، تطوير مهارات الحياة، الإدارة والإشراف، ومهارات المعلم)، حيث تبدأ الجهود باختيار البرامج التعليمية المناسبة وفق أحدث النظم العالمية، وأنشطة وطرق تدريس تقوم على أسلوب حل المشكلات والاستقصاء، والقدرة على التخيل، وبرامج تتعلق بتنمية سلوكات ذكية (عادات عقل)، وبرامج التفكير ومهاراته المتنوعة.

ومن خلال ما تقدم فإن الباحثان تولد لديهم الإحساس بأهمية دراسة درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز من وجهة نظر معلميه -كون مشروع مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي -لم تجر عليه- حسب علم الباحثين- أي دراسة لمعرفة درجة تطبيق المعلمين للبرامج والأنشطة الإثرائية.

وعليه، تحاول هذه الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية:

١- ما درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية التي تقدم في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي من وجهة نظر معلميه؟

٢- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha \leq 0.05$) في درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز تعزى لمتغيرات الجنس (ذكر، أنثى)، والتخصص (إنساني، علمي)، والخبرة (أقل من خمس سنوات، وأكثر من خمس سنوات)؟

تعريف المصطلحات:

-مدارس التميز العلمي: هي مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي التي أنشأتها وزارة التربية والتعليم الأردنية، ووضعت مجموعة من المعايير والأسس لاختيار الطلبة المتميزين للصف السابع، وهي أن لا يقل معدل الطالب في الصفين الخامس والسادس في المواد الأساسية (اللغة العربية، العلوم، الرياضيات، اللغة الإنجليزية) عن ٩٥% ومعدله العام لهذين الصفين لا يقل عن ٩٠%، واجتيازه اختبار القدرات العقلية بدرجة لا تقل عن ١٣٠ والمقابلة الشخصية، وله نتاج إبداعي في التقارير والبحوث^(١٢) وفي هذه الدراسة فإن مدارس التميز العلمي هي مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز والمنتشرة في عشر محافظات في الأردن والتي تطبق عليها تعليمات ومعايير التميز المقررة من وزارة التربية والتعليم الأردنية.

-البرامج والأنشطة الإثرائية

Programming & Activities
Enrichment:

البرامج الإثرائية خبرات تربوية تتسم بالتنوع والعمق العلمي

والفكري، والتي غالباً لا تتوفر في المنهج المدرسي، كما أن البرامج الإثرائية وسائل لتحقيق أهداف تتعلق ب: المحتوى العلمي، أساليب ومهارات التفكير وحل المشكلات، مهارات البحث العلمي، السمات الشخصية المؤثرة، الدوافع، وتعمل على استكشاف مجالات متنوعة من العلوم والمعارف، أما الأنشطة الإثرائية فهي مجموعة من الأنشطة التي توجه الطلبة، وتهدف إلى نمو قدرتهم على فهم المادة الدراسية، والتعمق فيها، وتتم تحت إشراف وتوجيه من المعلم، كالألغاز، والألعاب الرياضية، والطرائف العلمي^(١٣). وتُعرف البرامج والأنشطة الإثرائية في هذه الدراسة بالبرامج التي تقيسها أداة الدراسة.

المعلمون: هم المعلمون العاملون في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي خلال العام الدراسي ٢٠١٦/٢٠١٧م الذين تم اختيارهم في ضوء معايير معتمدة من قبل وزارة التربية والتعليم.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الإجابة على

السؤالين الآتيين:

١- التعرف إلى درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي من وجهة نظر معلميه.

٢- الكشف عن درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز تعزى لمتغيرات الجنس (ذكر، أنثى)، والتخصص (إنساني، علمي)، والخبرة (أقل من خمس سنوات، وأكثر من خمس سنوات).

أهمية الدراسة:

تأتي الأهمية النظرية لهذه الدراسة من أهمية الموضوع الذي تناولته وهو درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز. وتتبع أهمية دور المعلمين والمعلمات في تطبيق هذه البرامج للارتقاء بالمستويات العلمية والقيادية والمهارات الحياتية لدى الطلبة المتميزين، مما يساهم في تحسين عملية التعليم والتعلم

والرعاية التربوية لهذه الفئة المتميزة من الطلبة. كما تساهم في تسليط الضوء من قبل الباحثين على إجراء دراسات أخرى على مدارس التميز العلمي والمراكز والمدارس الريادية.

ويؤمل أن تساهم نتائج هذه الدراسة في جذب انتباه وزارة التربية والتعليم في الأردن إلى درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي. وان تفيد في مراجعة العاملين في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي على مختلف مستوياتهم الوظيفية لممارساتهم ومهامهم، والوقوف على أهم المشكلات والصعوبات التي تواجه المعلمين في تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي، والعمل على معالجتها لتحقيق الفلسفة من إنشاء هذه المدارس.

حدود الدراسة ومحدداتها:

١- حدود بشرية: تقتصر هذه الدراسة على معلمي ومعلمات الطلبة المتميزين علمياً في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي.

٢-حدود مكانية: تم تطبيق أداة الدراسة في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي في الأردن.

٣-حدود زمانية: تم تطبيق الدراسة في الفصل الأول للعام الدراسي ٢٠١٦/٢٠١٧.

محددات الدراسة:

تحدد الدراسة بدرجة صدق الأداة المعتمدة وثباتها، وموضوعية أفراد العينة في استجاباتهم لفقرات الاستبانة، ولا يصح تعميم نتائج هذه الدراسة إلا على المجتمع الذي سحبت منه العينة.

الأدب النظري والدراسات السابقة:

أولاً: الأدب النظري:

أصبحت المجتمعات البشرية تركز في وقتنا الحاضر على تحقيق الاستفادة المرجوة من أفرادها وطاقاتهم المختلفة، بصفاتهم ثروة بشرية لا تقل أهمية عن الثروات الطبيعية. وترى بعض المجتمعات والدول أن الطاقة البشرية هي وسيلة التنمية، وأن أداتها الأولى هم الطلبة المتفوقون، لذا يحتاجون إلى تنمية قدراتهم ومجالات تميزهم ورعايتها،

وبخاصة أن لديهم العديد من الحاجات النمائية والإرشادية الخاصة والمتميزة كما الطلبة العاديين^(١٤).

وقد أنشأت بعض الدول المتقدمة (كالولايات المتحدة الأمريكية مثلاً) مؤسسة متخصصة للاهتمام بالمتفوقين، ووضعت برامج خاصة تركز على التفاعل ما بين الإنسان ومصادر البيئة لاستكشاف وسائل من شأنها إحداث التفاعل والتكامل والتعاون، ووضع سياسة عامة لتربية هؤلاء المتفوقين على نطاق وطني^(١٥).

وتحتاج عملية استخراج الطاقات الإبداعية الكامنة لدى الأفراد إلى تضافر الجهود من أجل الرقي بالإنسان، وتحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته من خلال المؤسسة التربوية الاجتماعية وهي المدرسة. فالبيئة المدرسية الإيجابية تمثل حجر الزاوية لرعاية المتفوقين، ومن المهم أن نميز بين بيئة مدرسية غنية بالمشيرات ومنفتحة على الخبرات والتحديات، وبيئة مدرسية أخرى فقيرة لا تحرب بالتجديد^(١٦).

وتشير السورور^(١٧) إلى أن أي برنامج تربوي في أي مدرسة إذا ما

في الصف أو الموضوع الأكاديمي المخصص له.

ويرى ماس^(١٩) (Masse,2001) أن البرامج الإثرائية يجب أن تكون نابعة من الحاجات التربوية للطلبة المتميزين، وأن تخدم الحاجات المتنوعة بين الطلبة أنفسهم، بحيث يراعى عند إعداد البرامج الإثرائية أن تكون خياراتها متعددة، وأن تراعي ميول الطلبة واهتماماتهم في الموسيقى والرياضة والعلوم والتكنولوجيا، والرياضيات، والإنسانيات، والأدب، ولا بد من اختيار الطرق التعليمية المناسبة لكل نشاط إثرائي، واختيار المصادر والمراجع والمناهج التي تخدم هذه الأنشطة.

وهناك اتفاق على أن نجاح أي تطوير في العملية التعليمية يعتمد أساساً على المعلم، وعلى كفايته العلمية والمهنية التي تمكنه من تحقيق الأهداف التعليمية للمرحلة التي يقوم بالتدريس فيه. إذ أنه المسؤول الأول عن تنفيذ المنهج، واختيار طرق التدريس والأنشطة التعليمية الفعالة واستخدام تكنولوجيا التعليم، وأساليب التقويم المناسبة^(٢٠).

توفر له التخطيط والتنفيذ السليمين، وتواجد له الإنسان المنتمي لعمله والمتحمس له، فلا بد أن يثري تلك المدرسة بأكملها ويؤدي إلى تحسين نوعية التعليم فيها.

ويتفق كثير من المربين والباحثين بأن المعلم هو المفتاح الرئيس لنجاح العملية التربوية في أي برنامج سواء كان لأطفال عاديين أم معوقين أم موهوبين، لأن بإمكان المعلم أن يهيئ الفرص التي تقوي ثقة المتعلم بنفسه أو يدمرها، وتقوي روح الإبداع أو تقتلها^(١٨).

توضح واينبر أن الإثراء يعتبر من الضرورات الملحة للطلبة المتميزين، لأنه غالباً ما يمكن هؤلاء الطلبة من إنهاء النشاطات الصفية العادية المقررة لهم بسرعة كبيرة، بالإضافة إلى قدرتهم الكبيرة على تعلم المفاهيم الجديدة، والمقررات الإضافية التي تعطى لهم بدرجة أسرع من أقرانهم الطلبة العاديين، كما يستطيعون استذكار ما يتعلمونه بكل يسر وسهولة، لذلك على المختصين مراعاة أن يكون الإثراء إجراءً إضافي، لا يسرع ولا يبطئ من وضع الطالب المتميز

عصر التقدم التكنولوجي، أصبح العالم أقرب وأصغر، وأصبحت الصراعات بين البلدان المختلفة من الاهتمامات الكبرى بالمجتمع الدولي.

إن ما أشار إليه شيفيلد يلقي مسؤولية كبرى على مدارس التميز العلمي، وتبرز الحاجة إلى أن تعمل المؤسسات التربوية على القيام بتخطيط برامج وأنشطة إثرائية هادفة، والتفكير ببرامج تهدف إلى استعمال الاستقصاء والتفكير الناقد والاستنتاج ضمن المقررات الدراسية بأنواعها المختلفة،

وفي شأن تطوير العملية التربوية والتعليمية التعليمية فقد بدأ تأسيس مراكز الإرشاد والتوجيه للطلبة المتفوقين وعائلاتهم منذ عام ١٩٥٠ في الولايات المتحدة الأمريكية، كما تم إنشاء المدارس الخاصة بهم، والتي تشبه المدارس العادية ولكنها تضيف برامج إثرائية تتناسب مع الطلبة المتفوقين (Pat, 1986) الوارد في سليمان^(٢٣).

وتتنوع أساليب رعاية الموهوبين والمتميزين فمنها إنشاء فصول خاصة بهم داخل المدارس العادية حيث

ويشير الأغا^(٢١) أن هناك العديد من المقومات والخصائص التي يتميز بها المعلم الناجح الذي يدعم عنصر الإبداع لدى الطلبة الموهوبين، وتتعدد هذه المقومات بتعدد وجهات نظر الباحثين في هذا الجانب. حيث إن المقومات الأساسية للمعلم الناجح هي امتلاكه لمهارات تمكنه من أداء عمله الوظيفي، وتحليله بصفات شخصية تجعله محبوباً للتلاميذ، فهو منظم لتعلم تلاميذه، مثراً لحوافزهم، ومراقب لنموهم، موجه وباحث.

وبذكر شيفيلد^(٢٢) (Sheffield) أن الطلبة المتميزين علمياً يجب أن يصبحوا خبراء في الرياضيات، ويجب أن تقديم الخبرات الرياضية الكافية لهم، وتوفير تجربة الخيارات للطلبة، كما أن دراسة الظواهر الاجتماعية، ومفاهيم المجتمع وثقافته، تعتبر قاعدة معرفية، يجب على الطلبة المتميزين علمياً والموهوبين جميعهم التعامل معها، كما أن تعليم الدراسات الاجتماعية أكثر من مجرد دراسة التاريخ والأيام، وزيارة المواقع الأثرية والتاريخية، والمشاركة في الاحتفالات الوطنية، خاصة وغي

تتبع هذه الفصول نفس مناهج الطلبة العاديين بالإضافة إلى مناهج إثرائية، ومنها إنشاء مدارس خاصة منفصلة تماماً للمتفوقين والمتميزين، وهناك أسلوب العزل الجزئي حيث يدرس المتميزون مع زملائهم العاديين، ثم ينتقلون إلى فصول خاصة بهم ويقدم لهم تعليم خاص^(٢٤).

وفي الأردن تم تأسيس مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز، وأشارت التعليمات الخاصة بهذه المدارس إلى أن الطالب المتميز هو الطالب الذي يتصف بقدرات متميزة وغير عادية مما يجعله بحاجة إلى برامج تربوية وخدمات تربوية تختلف عن تلك التي تقدم في البرامج التي توفرها المدارس العادية، الأمر الذي يسهم في تطوير قدراته والمجتمع. وتبعاً لهذا التعريف فإن الذين لديهم قدرة على الأداء العالي هم الطلبة الذين يبدون تحصيلاً متميزاً، أو قدرةً كامنةً في أحد المجالات التالية: القدرة العقلية العامة، الاستعداد الأكاديمي في واحد من المجالات الأكاديمية، القدرة الابتكارية، القدرة القيادية والقدرات المعرفية. ويتم اختيار المتميزين وفق

معايير خاصة متضمنة في بطارية اختبارات الكشف عن الطلبة المتميزين والمتفوقين^(٢٥).

وقد نصت المادة الأولى من تعليمات وزارة التربية والتعليم أن الوزارة تنشئ مدرسة في كل محافظة من محافظات المملكة حسب الإمكانيات المتاحة بقرار من الوزير، بناء على تنسيب الأمين العام. ولكل مدرسة مدير يتم اختياره في ضوء معايير وشروط خاصة معتمدة من قبل الوزارة، وتتلخص مهام مدير مدرسة المتميزين في: تسير شؤون المدرسة، وضع خطة تطويرية للمدرسة تتضمن الأمور الفنية والإدارية والمالية بالتنسيق مع الوزارة، المشاركة في اختيار المعلمين والمتميزين، تحديد الاحتياجات التدريبية للمعلمين، تنظيم برامج الأنشطة المختلفة (علمية، ثقافية، اجتماعية...)، ومتابعة تنفيذها، وغيرها من الأعمال الإدارية^(٢٦).

ثانياً: الدراسات السابقة:

أجرت أبو سنية^(٢٧) دراسة هدفت إلى معرفة درجة توافر الكفايات الفنية لدى مديري مدارس

الملك عبدالله الثاني للتميز والمراكز الريادية من وجهة نظر معلميها في الأردن. ولتحقيق هذا الهدف تم إعداد استبانة تكونت من أربعة مجالات تقيس كفايات مديري المدارس في المجال المهني، وكفايات المديرين في مجال الطلبة، وكفايات المديرين في مجال المعلمين والمجتمع المدرسي، وكفايات المديرين في مجال أولياء أمور الطلبة والمجتمع المحلي، وتكونت عينة الدراسة من (٢٠٩) معلمين ومعلمات من معلمي مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي. وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة توافر الكفايات الفنية لدى المديرين من وجهة نظر معلميهم في الأردن كانت متوسطة بالنسبة للدرجة الكلية لجميع مجالات أداة الدراسة، وكانت متوسطة بالنسبة لكل مجال على حدة، كما كانت متوسطة بالنسبة لكل فقرة من فقرات المجالات.

أجرى القمش^(٢٨) دراسة هدفت إلى معرفة درجة ممارسة معلمي الطلبة الموهوبين لأبعاد التدريس الفعال في الأردن من وجهة نظر المعلمين أنفسهم وعلاقة ذلك ببعض

المتغيرات. تكون أفراد الدراسة من جميع معلمي الطلبة الموهوبين في المراكز الريادية، والبالغ عددهم (١٧١) معلماً ومعلمة موزعين على مختلف المراكز الريادية الخاصة بالطلبة الموهوبين في الأردن. وتم تطبيق أداة تقدير لقياس درجة ممارسة المعلمين لأبعاد التدريس الفعال، وأشارت نتائج الدراسة إلى مستوى ممارسة معلمي الطلبة الموهوبين لأبعاد التدريس الفعال كانت بدرجة متوسطة.

وأجرى العاجز ومرتجي^(٢٩) دراسة هدفت التعرف إلى واقع الطلبة الموهوبين والمتفوقين بمحافظة غزة، والكشف عن الفروق في استجابات عينة الدراسة تبعاً لمتغيرات: (النوع، المؤهل العلمي، وسنوات الخدمة)، والتعرف على أهم المشكلات التي تواجه الطلبة الموهوبين والمتفوقين من وجهة نظر المعلمين، وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي، وكانت أداة الدراسة الاستبيان، وتكونت عينة الدراسة من (٤٦) معلماً من مدارس الموهوبين، وقد حصلت على أعلى متوسط حسابي في مجالات الاستبانة كل من الفقرات

التالية: يتوفر في المدرسة مقصف مدرسي، ومرشد اجتماعي ونفسي، وقيام الإدارة بالتواصل مع أولياء الأمور، والمناهج تحتوي على أنشطة إثرائية تنمي مهارات البحث العلمي لدى الطلبة، كما أن طرق التدريس تعزز التعلم الذاتي.

وأجرى البدير، باهري^(٣٠) دراسة هدفت إلى تقويم برنامج رعاية الموهوبين في المملكة العربية السعودية من وجهة نظر المسؤولين والمشرفين على البرنامج، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي، وكشفت الدراسة أن البرنامج له العديد من الإيجابيات، وبينت كفاية البرنامج التأهيلي للمعلمين، وصاحبه ظهور عدد من المعوقات وعدم الإلمام بأدوات القياس، وأكدت الدراسة على ضرورة رصد الميزانيات مع توفير الإمكانيات للبرنامج.

كما أجرت صوص^(٣١) دراسة هدفت إلى تحديد درجة ممارسة المعلمين لاستراتيجيات التعامل مع المتفوقين دراسياً من المدارس الثانوية الحكومية من وجهة نظر المعلمين والمديرين في ضوء بعض المتغيرات، كما سعت الدراسة إلى تحديد

المعوقات التي تواجه المعلمين في استخدامهم لاستراتيجيات التعامل مع المتفوقين دراسياً، وإلى تبيان علاقة أبعاد تلك الاستراتيجيات والدرجة الكلية. تكونت عينة الدراسة من (٣٥٢) معلماً و(١٠٥) مديرين من مديري المدارس، وتم تطبيق مقياس التعامل مع المتفوقين دراسياً، وأظهرت النتائج أن درجة ممارسة المعلمين استراتيجيات التعامل مع المتفوقين دراسياً في المرحلة الثانوية من وجهة نظر المعلمين أنفسهم، ومن وجهة نظر المديرين تتراوح بين متوسطة وكبيرة جداً، وبدرجة كبيرة جداً على الدرجة الكلية. ووجدت فروق دالة إحصائية فيما يخص استخدام استراتيجيات التعامل مع المتفوقين دراسياً من وجهة نظر المعلمين تعزى للجنس لصالح المعلمين الذكور، والدورات التدريبية لصالح من حصلوا على دورات تدريبية. وبينت النتائج أن أبرز المعوقات التي تواجه المعلمين في استخدامهم لاستراتيجيات التعامل مع المتفوقين دراسياً هي ضيق وقت المعلم، صعوبة المناهج وكبرها، وضعف الإمكانيات المدرسية.

وأجرى البوعينين^(٣٢) دراسة هدفت إلى تعرف دور القيادة المدرسية في تنمية التميز لدى الطلبة في المدارس المستقلة في دولة قطر، وتعرف أبرز المعوقات التي تواجه تنمية التميز لدى الطلبة. تم استخدام استبانة طبقت على عينة من (١٦٨) معلماً ومعلمة. أفادت النتائج أن اهتمام القيادة المدرسية في تنمية التميز لدى الطلبة كان مرتفعاً، أما النتائج المتعلقة بالمعوقات التي تواجه تنمية التميز لدى الطلبة فقد كانت ضعيفة.

أجرى جروان والمحارمة^(٣٣) دراسة هدفت إلى تقييم برامج مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز في ضوء المعايير العالمية لتعليم الموهوبين. ولتحقيق هدف الدراسة تم استخدام ثلاث استبانات: استبانة نظام قبول الطلبة في المدارس، واستبانة طبيعة المناهج الدراسية الإثرائية، واستبانة نظام اختيار المعلمين العاملين في المدارس وتدريبهم. وبعد تطبيق الاستبانة على عينة مكونة من (١٣٥) معلماً و(٩) إداريين، أفادت النتائج أن الإجراءات المستخدمة في الكشف عن الموهوبين واختيارهم لمدارس الملك عبدالله

الثاني للتميز جاءت بدرجة منخفضة بالنسبة للمعايير العالمية.

وقام المنتشري^(٣٤) بدراسة هدفت إلى التعرف على واقع ومتطلبات الجودة في برامج رعاية الموهوبين بالمملكة العربية السعودية، وتحديد أبرز معوقات الجودة في برامج رعاية الموهوبين، واستخدام الباحثان المنهج الوصفي، وقد توصلت الدراسة إلى أن الإدارة العامة لرعاية الموهوبين تعمل على تهيئة بيئة تربوية مختصة لرعايتهم، كما تقوم بتأهيل المعلمين وتدريبهم، وتوفير فرص تربوية متنوعة لإبراز مواهب الطلبة وتنميتها، وأكدت الدراسة أن جودة البيئة المدرسية هي حجر الزاوية لرعاية الموهوبين، وكشفت الدراسة عن بعض معوقات تحقيق الجودة أبرزها: عدم وضوح الرؤية والأهداف، والاستراتيجيات فيما يخص رعاية الموهوبين، وقلة الإنفاق المالي.

تعقيب على الدراسات السابقة:

استفاد الباحثان من الدراسات السابقة في إعداد الأدب التربوي، وبناء أداة الدراسة، وتحديد أهدافها ومتغيراتها. وتشترك الدراسة الحالية

مع غيرها من الدراسات في استخدامها الاستبانة كأداة للدراسة وهي: دراسات أبو سنيّة^(٣٥)، والعاجز ومرتجي^(٣٦)، وجروان والمحارمة^(٣٧). واختلفت مع دراسة القمش^(٣٨) التي استخدمت أداة تقدير، ودراسة صوص^(٣٩) التي استخدمت مقياس لتحديد درجة ممارسة المعلمين لاستراتيجيات التعامل مع الطلبة المتفوقين دراسياً.

وتتفق هذه الدراسة مع بعض الدراسات السابقة في أفراد العينة والتي تكونت من معلمي مدارس المتفوقين والموهوبين مثل دراسة القمش^(٤٠)، وصوص^(٤١). وتختلف في أفراد العينة من المديرين والمسؤولين والمشرفين كما في دراسة أبو سنيّة^(٤٢)، والبوعينين^(٤٣).

كما تختلف هذه الدراسة في موضوعها عن الدراسات السابقة، فهي تدرس درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز، لكن الدراسات الأخرى عملت على دراسة متغيرات أخرى، مثل دراسة أبو سنيّة^(٤٤) (٢٠١٣) التي درست الكفايات الفنية لدى مديري مدارس الملك عبدالله

الثاني للتميز، ودراسة القمش^(٤٥) (٢٠١٣) التي عملت على دراسة درجة ممارسة معلمي الطلبة الموهوبين لأبعاد التدريس الفعال، ودراسة العاجز ومرتجي^(٤٦) (٢٠١٢) التي درست واقع الطلبة الموهوبين والمتفوقين، ودراسة البدير وباهري^(٤٧) (٢٠١٠) التي عملت دراسة لتقويم برنامج رعاية الموهوبين، ودراسة صوص^(٤٨) (٢٠١٠) التي درست درجة ممارسة المعلمين لاستراتيجيات التعامل مع المتفوقين من وجهة نظر المعلمين، ودراسة جروان والمحارمة^(٤٩) (٢٠٠٩) التي درست تقييم برامج مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز في ضوء المعايير العالمية لتعليم الموهوبين، ودراسة المنتشري^(٥٠) التي درست واقع ومتطلبات الجودة في برامج رعاية الموهوبين في السعودية.

وبالنظر إلى الدراسات السابقة نجد أن الدراسة الحالية تختلف في أنها تدرس درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز من وجهة نظر معلمها.

الطريقة والإجراءات:

منهج الدراسة: تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، كما تم تطبيق استبانة وزعت على عينة من المعلمين والمعلمات لمعرفة درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في التعليم في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي.

-مجتمع الدراسة والعينة: تكون مجتمع الدراسة من المعلمين والمعلمات العاملين في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي، وعددهم "٣٩٠" معلماً ومعلمة يعملون في (١٠) مدارس في عشر محافظات، وهم من العاملين في المدارس للعام الدراسي ٢٠١٦/٢٠١٧م. وتم اختيار عينة الدراسة بصورة قصدية من خمس مدارس بواقع ٣٩ معلماً ومعلمه لكل مدرسة، حيث بلغ عدد أفراد الدراسة (١٩٥) معلماً ومعلمة من المجتمع الكلي. والجدول رقم (١) يبين توزيع عينة الدراسة وفقاً لمتغيري الجنس (ذكر، أنثى)، والتخصص (علمي، إنساني).

جدول (١) توزيع عينة الدراسة وفقاً

لمتغيري الجنس (ذكر، أنثى)،
والتخصص (إنساني، علمي)

الجنس	التخصص		المجموع
	إنساني	علمي	
ذكور	٢٢	٢٥	٤٧
إناث	٦١	٨٧	١٤٨
المجموع	٨٣	١١٢	١٩٥

-أداة الدراسة: استخدم في الدراسة استبانة من إعداد الباحثين، وتم إعدادها بهدف التعرف على درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز، وتكونت الاستبانة من خمس مجالات هي: مصادر التعلم، البرامج والأنشطة الإثرائية، الإدارة والإشراف، تنمية مهارات الحياة لدى الطلبة، ومهارات المعلم. وقد اعتمد الباحثان أسلوب الإجابة على فقرات الاستبانة من قبل المعلمين والمعلمات وفق تدرج خماسي الاستجابة، وهو: موافق بدرجة كبيرة جداً، موافق بدرجة كبيرة، موافق بدرجة متوسطة، موافق بدرجة ضعيفة وموافق بدرجة منخفضة جداً، حيث أعطيت الدرجات (١، ٢، ٣، ٤، ٥) على التوالي. وتمثل الدرجة على المجال

مجموع الدرجات على فقرات ذلك المجال، وقد تكون مجال مصادر التعلم من (٥) فقرات، لذلك فإن أعلى درجة محتملة هي (٢٥) وأدنى درجة (٥)، وكذلك الأمر لمجال البرامج الإثرائية، ومجال تنمية وتطوير مهارات الحياة لدى الطلبة تكون من (٨) فقرات، وبالتالي تتراوح الدرجات ما بين (٨ و ٤٠ درجة)، ومجال الإدارة والإشراف تكون (٦) فقرات، وبالتالي تتراوح الدرجات ما بين (٦ و ٣٠) درجة، ومجال مهارات المعلم تكون من (٧) فقرات، وبالتالي تتراوح الدرجات ما بين (٧ و ٣٥) درجة.

وللتحقق من صدق أداة الدراسة قام الباحثان بعرضها على عشرة من المحكمين من ذوي الاختصاص والخبرة في تربية الموهوبين وعلم النفس التربوي، حيث طُلب منهم إبداء رأيهم وملاحظاتهم على فقرات الأداة، والحكم عليها وفق مدى وضوح التعريفات، والتعليمات من حيث كونها صالحة فيما صممت إليه، ومدى ملائمة الفقرات وحاجتها إلى التعديل أو التوضيح أو الإضافة أو الحذف، وقياسها للجوانب التي صممت لها، وكذلك وضوح الصياغة

اللغوية. وتم تعديل بعضها في ضوء الملاحظات، بحيث تم التعديل المقترح في حالة اقتراح ٨٠% من المحكمين. وتم تطبيق معادلة (كرونباخ ألفا) لاستخراج الثبات، وبلغ معامل الثبات الكلي (٠,٨٧).

إجراءات تطبيق الدراسة:

بعدما تم التأكد من صدق أداة الدراسة وثباتها في قياس الأهداف التي وضعت لأجلها، وإعدادها بصورتها النهائية، قام الباحثان من خلال التعاون مع مديريات التربية والتعليم ومديري ومديرات المدارس وموافقة وزارة التربية والتعليم بتوزيع أداة الدراسة على عينة الدراسة بالتنسيق مع مديري ومديريات المدارس، وقد استغرقت عملية التوزيع ما يقرب من ثمانية أسابيع، وبعد ذلك تم إدخال البيانات في الحاسوب واستخراج النتائج.

المعالجة الإحصائية:

أجريت التحليلات الإحصائية للدراسة الحالية بعدما أدخلت البيانات إلى الحاسوب ومعالجتها باستخدام برنامج الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، حيث أستخدمت الأساليب الإحصائية

الآتية: المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والنسب المئوية، كما تم استخدام تحليل التباين المتعدد (MANOVA)، ومعامل الثبات (كرونباخ ألفا) لحساب ثبات أداة الدراسة.

النتائج ومناقشتها:

إجابة السؤال الأول: ما درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية التي تقدّم في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي من وجهة نظر معلميهما؟

للإجابة على هذا السؤال استخدمت النسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للدرجة الكلية لكل مجال من مجالات أداة الدراسة. ومن أجل تفسير النتائج فقد اعتمد الباحثان

النسب المئوية والمتوسطات الحسابية كمعيار للحكم على درجة تطبيق المعلمين في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز للبرامج والأنشطة الإثرائية، وهي: ٨٠% فأكثر درجة التطبيق كبيرة جداً، ومن ٧٠% = ٧٩,٩٩% درجة التطبيق كبيرة. ومن ٦٠%-٦٩,٩٩% درجة التطبيق متوسطة، ومن ٥٠%-٥٩,٩٩% درجة التطبيق متدنية. وأقل من ٥٠% درجة التطبيق متدنية جداً. وقد كانت النتائج بحسب الجدول رقم (٢) مرتبة تنازلياً.

جدول (٢) المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والنسبة المئوية لاستجابات أفراد عينة الدراسة للمجالات الخمسة مرتبة تنازلياً:

الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	النسبة المئوية	الترتيب النسبي	درجة التطبيق
مصادر التعلم	٣,٣٤	١,١٤	٦٧,٠٥	١	متوسطة
مهارات المعلم	٣,٣٠	١,١٢	٦٦,٠٣	٢	متوسطة
الإدارة والإشراف	٣,٢٢	١,١٤	٦٤,٤٠	٣	متوسطة
البرامج الإثرائية	٢,٦٧	١,٢٤	٥٥,٧٥	٤	متدنية
تنمية وتطوير مهارات الحياة لدى الطلبة	٣,١٧	١,٣١	٣٩,٦٧	٥	متدنية جداً
الكلية	٣,١٤	١,١٩	٤٨,٥٦٣,٣٨		متدنية جداً

يشير الجدول رقم (٢) إلى أن درجة تطبيق البرامج والأنشطة

الإثرائية في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز من وجهة نظر معلميهما

كانت متوسطة في مجالات (مصادر التعلم، ومهارات التعلم، والإدارة والإشراف) على الترتيب. ودرجة التطبيق في مجال البرامج الإثرائية كانت متدنية، وفي مجال تنمية وتطوير مهارات الحياة لدى الطلبة كانت متدنية جداً، ودرجة التطبيق الكلية لجميع المجالات كانت متدنية جداً.

تتفق نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة القمش^(٥١) (٢٠١٣) في أن درجة ممارسة المعلمين لأبعاد التدريس الفعال كانت بدرجة متوسطة. ومع بعض نتائج دراسة صوص^(٥٢) (٢٠١٠) في درجة ممارسة المعلمين استراتيجيات التعامل مع المتفوقين دراسياً في المرحلة الثانوية تتراوح ما بين متوسطة وكبيرة جداً.

وتختلف نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة العاجز ومرتجى^(٥٣) (٢٠١٢) في أن المناهج تحتوي على أنشطة إثرائية تنمي مهارات البحث العلمي لدى الطلبة، وأن طرق التدريس تعزز التعلم الذاتي، ودراسة البدير وباهري^(٥٤) (٢٠١٠) التي أظهرت كفاية البرامج التأهيلية للمعلمين.

ويعزو الباحثان هذه النتائج إلى أن المعلمين كانوا يعملون في مدارس الطلبة العاديين قبل انتقالهم إلى مدارس التميز العلمي، ولم يكونوا على دراية كافية بالطلبة المتميزين واحتياجاتهم ومشكلاتهم، وطبيعة البرامج والأنشطة النوعية التي يجب أن تقدم لهم. وأنهم ربما لم يخضعوا لتدريب في مجال تصميم وتنفيذ البرامج والأنشطة الإثرائية للطلبة المتميزين، كما أنهم لم يدرسوا مساقات تتناول المتميزين والموهوبين وطبيعة البرامج التي يجب أن تتوفر لطلبة التميز العلمي أثناء إعدادهم الأكاديمي في الجامعات.

إجابة السؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية ($\alpha \leq 0.05$) في درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز تعزى لمتغيرات الجنس (ذكر، أنثى)، والتخصص (إنساني، علمي)، والخبرة (أقل من خمس سنوات، وأكثر من خمس سنوات)؟

لمعرفة هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية في مدارس

جدول (٣) المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة أفراد الدراسة طبقاً لمتغيرات (الجنس، والتخصص والخبرة)

الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد الدراسة، وفقاً لهذه المتغيرات، والتي تظهر في الجداول (٣).

الجنس	التخصص	الخبرة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري
معلمين	انساني	أقل من ٥ سنوات	١٧	١٠٧,٤١	٢٥,٢٥
		٥ سنوات فأكثر	٥	٩٠,٤٠	١٢,٩٣
		الكلي	٢٢	١٠٣,٥٤	٢٣,٨٩
	علمي	أقل من ٥ سنوات	١٧	٨٩,٢٩	٢٢,١٩
		٥ سنوات فأكثر	٨	٩٤,٨٧	٢٥,٨٥
		الكلي	٢٥	٩١,٠٨	٢٣,٠٣
معلمات	انساني	أقل من ٥ سنوات	٤١	١٠٥,٠٢	٢٤,٥٩
		٥ سنوات فأكثر	٢٠	٩٢,٦٥	١٨,٩٢
		الكلي	٦١	١٠٠,٩٦	٢٣,٤٧
	علمي	أقل من ٥ سنوات	٤٣	٩٦,٧٩	٢٢,٧٩
		٥ سنوات فأكثر	٤٤	٩٦,١٥	٢٥,٢٣
	الكلي	الكلي	٨٧	٩٦,٤٧	٢٣,٩٢
الكلي	انساني	أقل من ٥ سنوات	٥٨	١٠٥,٧٢	٢٤,٥٨
		٥ سنوات فأكثر	٢٥	٩٢,٢٠	١٧,٦٧
		الكلي	٨٣	١٠١,٦٥	٢٣,٤٦
	علمي	أقل من ٥ سنوات	١١٨	١٠٠,١٠	٢٤,١٩
		٥ سنوات فأكثر	٧٧	٩٤,٧٤	٢٢,٩٨
	الكلي	الكلي	١٩٥	٩٧,٩٨	٢٣,٧٧

فيما إذا كانت هذه الفروق دالة إحصائياً تم استخدام تحليل التباين المتعدد MANOVA لمعرفة دلالة مستوى الفروق، كما يتضح في الجدول (٤).

يتضح من الجدول (٣) وجود فروق ظاهرية بين متوسطات استجابات عينة الدراسة وفق متغيرات الجنس والتخصص وعدد سنوات الخبرة في التعليم. ولتحديد

جدول (٤) نتائج تحليل التباين بين متغيرات (الجنس، التخصص، عدد المتعدد MANOVA لدراسة الفروق سنوات الخبرة)

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
الجنس	١٣٢,٦٨٩	١	١٣٢,٦٨٩	٠,٢٣٩	*٠,٦٢٥
التخصص	٥٩٩,١٨٩	١	٥٩٩,١٨٩	١,٠٨١	*٠,٣٠٠
الخبرة	١٠٦٠,٦٣٨	١	١٠٦٠,٦٣٨	١,٩١٤	*٠,١٦٨
الجنس × التخصص	١٤١,٢٥٩	١	١٤١,٢٥٩	٠,٢٥٥	*٠,٦١٤
الجنس × الخبرة	٤,٤٠٧	١	٤,٤٠٧	٠,٠٠٨	*٠,٩٢٩
التخصص × الخبرة	٢٠٩٣,٩٢٤	١	٢٠٩٣,٩٢٤	٣,٧٧٨	*٠,٠٥٣
الجنس × التخصص × الخبرة	٢٠٩,٠٨٦	١	٢٠٩,٠٨٦	٠,٣٧٧	*٠,٥٤٠
الخطأ	١٠٣٦٥٢,٢٥٠	١٨٧	٥٥٤,٢٩٠		
الكلي	١٩٨١٨١٣,٠	١٩٥			

*غير دال إحصائياً.

والتعليم الأردنية، حيث يتلقون نفس التوجيهات والتعليمات، ويخضعون لخبرات متشابهة لا فرق فيها بين ذكر وأنثى، وعدد سنوات الخبرة في التعليم، وكذلك ربما عدم توفر برامج تدريبية مناسبة لكل مساق أو تخصص إنساني أو علمي. كما يعزو الباحثان هذه النتائج إلى حماسة المعلمين الجدد للعمل الأكاديمي، وإدراكهم لطبيعة التوقعات منهم، مما ينعكس إيجاباً على أدائهم، وقابليتهم للاستفادة من المعلمين الأكثر خبرة. وبذلك جاء تقدير استجابات عينة الدراسة لدرجة تطبيق البرامج والأنشطة الإثرائية

يتضح من الجدول (٤)، أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة تبعاً لمتغيرات الجنس والتخصص، وعدد سنوات الخبرة.

وتختلف نتيجة هذه الدراسة مع نتائج دراسة صوص^(٥٥) التي وجدت فروق دالة إحصائية فيما يخص استخدام استراتيجيات التعامل مع المتفوقين دراسياً تعزى لمتغير الجنس لصالح المعلمين الذكور.

ويعزو الباحثان هذه النتائج إلى أن جميع المعلمين والمعلمات يتبعون جهة إشرافية واحدة هي وزارة التربية

متناغماً ولا أثر لمتغيرات الجنس والخبرة والتخصص في استجابات العينة على أداة الدراسة.

التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة توصي الدراسة بما يلي:

١- أن تقوم وزارة التربية والتعليم (الجهة المشرفة على المدارس) بتنظيم دورات تدريبية متخصصة للمعلمين والمعلمات والمدراء في هذه المدارس في البرامج والأنشطة الإثرائية تحاكي البرامج والأنشطة الإثرائية العالمية في مختلف المجالات.

٢- أن تقوم وزارة التربية والتعليم بشرح وتوضيح الفلسفة من تأسيس وإنشاء مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي، وأن يخضع الكادر الإداري والتدريسي والفني لاختبارات ومقابلات موضوعية، بحيث يتم النهوض بهذه المدارس وتحقيق الأهداف من وراء تأسيسها.

٣- رفد مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز العلمي بخبرات وتجارب وبرامج عالمية، وتكثيف الزيارات التبادلية مع المؤسسات والمدارس العالمية المماثلة.

٤- تقييم أداء المعلمين والمعلمات بشكل موضوعي، ومدى قدرتهم على تصميم وتنفيذ البرامج والأنشطة الإثرائية، وبيان مستوى فاعليتها، ومدى اكتساب الطلبة المتميزين للمهارات الحياتية المختلفة.

٥- توفير برامج وأنشطة إثرائية من خلال المناهج الدراسية تلبي حاجات وميول ورغبات الطلبة الموهوبين والمتميزين.

الهوامش:

(١) طوالبة، عائشة، والمحادين، عثمان (٢٠١٣). الوضع النفسي للطلبة المتميزين قبل دخولهم مدرسة المتميزين وبعده. دراسات، العلوم التربوية، المجلد ٤٠، العدد ١.

(٢) القريطي، عبدالمطلب (٢٠٠٥). "الموهوبون والمتفوقون، خصائصهم واكتشافهم ورعايتهم"، دار الفكر العربي.

(٣) الفتلاوي، سهيلة (٢٠٠٦). المنهاج التعليمي والتدريس الفعال، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.

(٤) الفتلاوي، سهيلة (٢٠٠٦). المنهاج التعليمي والتدريس الفعال، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.

(11) www.moe.gov.jo

(١٢) وزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٥م.

(13) Joyce Van Tassel-Baska & Tamara Tombaugh, (2007) Comprehensive Curriculum for Gifted Leaders. 3rd Edition. Pearson Education. Inc, publishing as Allyn & Bacon.

(١٤) غيث، سعاد وبنات، سهيلة وطقش، حنان (٢٠٠٩). مصادر الضغط النفسي لدى طلبة المراكز الريفية للموهوبين والمتفوقين واستراتيجيات التعامل معها. مجلة العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية، جامعة البحرين. المجلد العاشر، العدد الأول، ص ٢٤٩-٢٦٧.

(١٥) الرشود، عبدالله (٢٠٠٧). التخطيط لتفعيل دور الإرشاد الطلابي في اكتشاف الطلاب الموهوبين ورعايتهم في المملكة العربية السعودية. مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، كلية التربية النوعية بالمنصورة، العدد العاشر، ص ٣-٣٣.

(١٦) شريف، أشرف وأحمد، ابتسام (٢٠٠٨). برنامج تنمية السلوك الإبداعي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع. الاسكندرية، مصر.

(١٧) السرور، ناديا (١٩٩٨). مدخل إلى تربية المتميزين والموهوبين. دار الفكر للطباعة والنشر. عمان، الأردن.

(٥) آل شارع، عبدالله والقاطعي، عبدالله والضبيان، صالح والحازمي، مطلق والسليم، الجوهرة (٢٠٠٥). دراسات في التعلم الإثرائي.

<http://aljman.ws/vb/showthread.php?t=21758/5/2008>

(٦) دروزة، أفنان (٢٠٠٠). ندوة المعالم الأساسية للمؤسسة المدرسية في القرن الحادي والعشرون، مجلة التربية، قطر، السنة (٢٩) العدد (١٣٣، ١٣٤) يونيو - سبتمبر (٢٠٠٠)

(٧) جرادات، عبدالله (٢٠٠٦). أثر برنامج إثرائي قائم على المشكلات في تنمية مهارات التفكير الناقد والإبداعي لدى الطلبة المتفوقين في المراكز الريفية في الأردن، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عمان العربية للدراسات العليا.

(٨) الحموري، خالد (٢٠٠٩). أثر برنامج إثرائي في التربية البيئية في تنمية التفكير الابتكاري والتحصيل لدى الطلبة الموهوبين في منطقة القصيم. مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد السابع عشر، العدد الأول، ص ٦١١-٦٣٧.

(٩) السمدادوني، السيد (٢٠٠٩). تربية الموهوبين والمتفوقين (مترجم)، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.

(١٠) السمدادوني، السيد (٢٠٠٩). تربية الموهوبين والمتفوقين (مترجم)، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.

- (٢٥) وزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٥.
- (٢٦) وزارة التربية والتعليم، ٢٠٠٥.
- (٢٧) أبوسنينة، عونية (٢٠١٣). درجة توافر الكفايات الفنية لدى مديري مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز والمراكز الريادية من وجهة نظر معلميهما في الأردن. دراسات، العلوم التربوية، المجلد ٤٠، ملحق ٢، ص ٥٩٨-٦١٨.
- (٢٨) القمش، مصطفى، درجة ممارسة معلمي الطلبة الموهوبين لأبعاد التدريس الفعال في الأردن. دراسات العلوم التربوية، المجلد ٤٠، ملحق ١، ص ٥٤٥-٤٦٣ (٢٠١٣م).
- (٢٩) العاجز، فؤاد، ومرتجي، زكي (٢٠١٢). واقع الطلبة الموهوبين والمتفوقين بمحافظة غزة وسبل تحسينه. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية. المجلد العشرين، العدد الأول، ص ٣٣٣-٣٦٧.
- (٣٠) البدير، نبيل وباهري، منى (٢٠١٠): تجربة المملكة العربية السعودية في رعاية الموهوبين والمبدعين إنجازات وتطلعات، بحث مقدم إلى الملتقى الخليجي الأول لرعاية الموهوبين، الموهبة تجمعنا، صلالة - عمان، ٢٤-٧/٢٨.
- (٣١) صوص، فاطمة (٢٠١٠). استراتيجيات المعلمين في التعامل مع المتفوقين دراسياً في المدارس الثانوية الحكومية من وجهة نظر المعلمين والمديرين.
- (١٨) جروان، فتحي (٢٠٠٢). أساليب الكشف عن الموهوبين والمتفوقين ورعايتهم. دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن.
- (19) Masse, Line. (2001). "Teaching Students to Think Critically Using Multiple Texts in History". Journal of Secondary Gifted Education. 12(3). 170-195..
- (٢٠) المقبل، عبدالله (٢٠٠٥). كفايات معلم الطالب الموهوب. مقالة من الإنترنت:
<http://www.almekbel.net/program2htm>
- (٢١) آغا، إحسان (١٩٩٧). التربية العملية وطرق التدريس. ط ٤، غزة، الجامعة الإسلامية
- (22) Sheffield, L.J. (2003) Extending the challenge in mathematics: Developing mathematical promise in K-8 students. Thousand Oaks, CA: Corwin Press.
- (٢٣) سليمان، عبدالرحمن (٢٠٠٥). المتفوقون عقلياً خصائصهم واكتشافهم ورعايتهم ومشكلاتهم، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.
- (٢٤) الطنطاوي، رمضان (٢٠٠٨). الموهوبون وأساليب رعايتهم وأساليب التدريس لهم. المنصورة، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

والنفسية. المجلد العشرين، العدد الأول، ص ٣٣٣-٣٦٧.

(٣٧) جروان، فتحي (٢٠٠٢). أساليب الكشف عن الموهوبين والمتفوقين ورعايتهم. دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن.

(٣٨) القمش، مصطفى، درجة ممارسة معلمي الطلبة الموهوبين لأبعاد التدريس الفعال في الأردن. دراسات العلوم التربوية، المجلد ٤٠، ملحق ١، ص ٥٤٥-٤٦٣ (٢٠١٣)

(٣٩) صوص، فاطمة (٢٠١٠). استراتيجيات المعلمين في التعامل مع المتفوقين دراسياً في المدارس الثانوية الحكومية من وجهة نظر المعلمين والمديرين. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

(٤٠) القمش، مصطفى، درجة ممارسة معلمي الطلبة الموهوبين لأبعاد التدريس الفعال في الأردن. دراسات العلوم التربوية، المجلد ٤٠، ملحق ١، ص ٥٤٥-٤٦٣ (٢٠١٣).

(٤١) -صوص، فاطمة (٢٠١٠). استراتيجيات المعلمين في التعامل مع المتفوقين دراسياً في المدارس الثانوية الحكومية من وجهة نظر المعلمين والمديرين. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

(٤٢) أبوسنينة، عونية (٢٠١٣). درجة توافر الكفايات الفنية لدى مديري

رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين
(٣٢) البوعيين، أمل جاسم عبدالله (٢٠٠٩). دور القيادة المدرسية في تنمية الإبداع، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العلمي العربي السادس لرعاية الموهوبين والمتفوقين ٢٦-٢٨ تموز (يوليو)، عمان، الأردن.

(٣٣) جروان، فتحي والمحاممة، لينا (٢٠٠٩). تقييم برامج مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز في ضوء المعايير العالمية لتعليم الموهوبين، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العلمي العربي السادس لرعاية الموهوبين والمتفوقين ٢٦-٢٨ تموز، عمان - الأردن.

(٣٤) المنتشري، عبدالله (٢٠٠٧). متطلبات الجودة في برامج رعاية الموهوبين بالمملكة العربية السعودية. بحث مقدم إلى مؤتمر الجودة في التعليم العام، الرياض.

(٣٥) أبوسنينة، عونية (٢٠١٣). درجة توافر الكفايات الفنية لدى مديري مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز والمراكز الريادية من وجهة نظر معلميها في الأردن. دراسات، العلوم التربوية، المجلد ٤٠، ملحق ٢، ص ٥٩٨-٦١٨.

(٣٦) العاجز، فؤاد، ومرتجى، زكي (٢٠١٢). واقع الطلبة الموهوبين والمتفوقين بمحافظة غزة وسبل تحسينه. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية

رعاية الموهوبين والمبدعين إنجازات وتطلعات، بحث مقدم إلى الملتقى الخليجي الأول لرعاية الموهوبين، الموهبة تجمعنا، صلالة -عمان، ٢٤-٧/٢٨.

(٤٨)-صوص، فاطمة (٢٠١٠). استراتيجيات المعلمين في التعامل مع المتفوقين دراسياً في المدارس الثانوية الحكومية من وجهة نظر المعلمين والمديرين. رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

(٤٩)جروان، فتحى والمحارمة، لينا (٢٠٠٩). تقييم برامج مدارس الملك عبد الله الثاني للتميز في ضوء المعايير العالمية لتعليم الموهوبين، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العلمي العربي السادس لرعاية الموهوبين والمتفوقين ٢٦-٢٨ تموز، عمان - الأردن.

(٥٠)المنتشري، عبدالله (٢٠٠٧). متطلبات الجودة في برامج رعاية الموهوبين بالمملكة العربية السعودية. بحث مقدم إلى مؤتمر الجودة في التعليم العام، الرياض.

(٥١) القمش، مصطفى، درجة ممارسة معلمي الطلبة الموهوبين لأبعاد التدريس الفعال في الأردن. دراسات العلوم التربوية، المجلد ٤٠، ملحق ١، ص٥٤٥-٤٦٣ (٢٠١٣)

مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز والمراكز الريادية من وجهة نظر معلميها في الأردن. دراسات، العلوم التربوية، المجلد ٤٠، ملحق ٢، ص٥٩٨-٦١٨.

(٤٣)البوعينين، أمل جاسم عبدالله (٢٠٠٩). دور القيادة المدرسية في تنمية الإبداع، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر العلمي العربي السادس لرعاية الموهوبين والمتفوقين ٢٦-٢٨ تموز (يوليو)، عمان، الأردن.

(٤٤)أبو سنيّة، عونية (٢٠١٣). درجة توافر الكفايات الفنية لدى مديري مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز والمراكز الريادية من وجهة نظر معلميها في الأردن. دراسات، العلوم التربوية، المجلد ٤٠، ملحق ٢، ص٥٩٨-٦١٨.

(٤٥)القمش، مصطفى، درجة ممارسة معلمي الطلبة الموهوبين لأبعاد التدريس الفعال في الأردن. دراسات العلوم التربوية، المجلد ٤٠، ملحق ١، ص٥٤٥-٤٦٣ (٢٠١٣)

(٤٦)العاجز، فؤاد، و مرتجى، زكي (٢٠١٢). واقع الطلبة الموهوبين والمتفوقين بمحافظة غزة وسبل تحسينه. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية. المجلد العشرين، العدد الأول، ص٣٣٣-٣٦٧.

(٤٧)البدير، نبيل وباهبري، منى (٢٠١٠): تجربة المملكة العربية السعودية في

(٥٢) صوص، فاطمة (٢٠١٠). استراتيجيات

المعلمين في التعامل مع المتفوقين
دراسياً في المدارس الثانوية الحكومية
من وجهة نظر المعلمين والمديرين.
رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة
النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

(٥٣) العاجز، فؤاد، و مرتجى، زكي (٢٠١٢).

واقع الطلبة الموهوبين والمتفوقين
بمحافظة غزة وسبل تحسينه. مجلة
الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية
والنفسية. المجلد العشرين، العدد
الأول، ص ٣٣٣-٣٦٧.

(٥٤) البدير، نبيل وباهبري، منى (٢٠١٠):

تجربة المملكة العربية السعودية في
رعاية الموهوبين والمبدعين إنجازات
وتطلعات، بحث مقدم إلى الملتقى
الخليجي الأول لرعاية الموهوبين،
الموهبة تجمعنا، صلالة -عمان، ٢٤-
٧/٢٨.

(٥٥) صوص، فاطمة (٢٠١٠). استراتيجيات

المعلمين في التعامل مع المتفوقين
دراسياً في المدارس الثانوية الحكومية
من وجهة نظر المعلمين والمديرين.
رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة
النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

التقابل الدلالي في سورة فاطر (مدخل أسلوبى بلاغى)

د. عبدالرحمن بن عوض العمرى الحرى*

تاريخ الوصول: ٢٧/٥/٢٠١٨ م

تاريخ القبول: ٦/٨/٢٠١٨ م.

الملخص

يُعدّ التقابل أحد أهم العلاقات الدلالية المكوّنة لبنية النصّ، والتقابل في الاصطلاح يُلحح إلى وجود لفظ يحمل معنى مغايراً ومُضاداً لمعنى اللفظ الآخر، ويكون بين مفردتين أو تركيبين لُغويين، على وجه المخالفة أو المماثلة، أو باستحضار حدث ومن ثمّ مقابلته بآخر، ويكون ظاهراً أو ضمناً، متدرّجاً أو غير متدرّج. وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن أهمية التقابل الدلالي في القرآن الكريم والوظيفة الدلالية والبلاغية التي يؤدّيها، بتحليل التقابلات الواردة في السورة، وذلك باتّباع منهج أسلوبى تحليلي يستند إلى المعطى البلاغى في عدد من الجوانب.

وقد بيّنت الدراسة أن التقابل الدلالي هو ركيزة أساسية في سورة فاطر، فهو محور رئيس في بنائها، وقد تبين أن للتقابل في سورة فاطر عدّة صور؛ إذ وقع في بنى ثنائية التقابل وفي بنى متعدّدة التقابل، وفي المفردات والتراكيب والمشاهد، وعلى صورة التضاد والتماثل، وثمة نوع ثالث ورد في السورة وهو التقابل الضمني التأويلي، وقد يشترك التقابل مع الأنواع البلاغية الأخرى في بناء الدلالة كالتقسيم والعكس أو التبديل، ومن أنواع التقابل التي وردت في السورة كذلك: التقابل المتدرّج، والتضادّ الحاد (التباين)، والتقابل الانعكاسي، والامتدادى، ويمكن القول إن أشكال التقابل المختلفة منوطة بدلالات عدّة تُضفي على النص معنى أعمق، ودلالات أخرى غير الظاهرة يمكن استكناها من النص القرآني.

الكلمات المفتاحية: التقابل الدلالي، المُقابلة، العلاقات الدلالية، سورة فاطر، البلاغة القرآنية.

* أستاذ مساعد، كلية العلوم والآداب، جامعة شقرا/ المملكة العربية السعودية.

Abstract

Opposition is one of the most significant semantic relations forming text-structure. Opposition refers to the confrontation between words and linguistic structures in words and meanings or in meanings only. It takes forms of oppositeness and sameness. It, moreover, may occur through achieving agreement between one action with another action. Therefore, semantic opposition covers a set of semantic relations. The present study was an attempt to review the definitions of opposition proposed by various researchers and rhetorical variances in its terms in brief.

The semantic opposition is the key pillar upon which Surat Fatir has been constructed. The semantic opposition takes several forms in Surat Fatir, including words, structures, scenes, oppositeness, sameness and implicit opposition. The semantic opposition may create the meaning, such as: splitting, opposing or replacing. It can be said that the several forms of opposition give the text more deep and invisible meanings other than those that can be predicted from the text.

Keywords: Semantic Opposition, Multiple Opposite Pairs, Semantic Relations, Surat Fatir, Quran rhetoric.

المقدمة:

وتحقّق الانسجام والتجانس على أتمّ وجه، والتي تعمل على حبك النص بصورة متناهية، فتتضام أجزاءه

يتشكّل النص من جُملة العلاقات التي تربط بين المفردات والتراكيب

تحليلي، يتكئ على المُعطى البلاغي في جوانب من الدراسة.

وقد سبقت هذه الدراسة بعدد من الدراسات التي اهتمت بموضوع التقابل الدلالي في القرآن الكريم، ومن أقرب هذه الدراسات إلى دراستي:

١- دراسة القرعان، فايز، بنية التقابل وأثرها في توليد دلالة النص القرآني "سورة الليل نموذجاً"، ٢٠٠٧م:

تتناول هذه الدراسة أسلوب التقابل الدلالي في نص سورة الليل، وقد رصد الباحث الدالات اللغوية المتقابلة بنائياً، التي تقع في إطار التصادم أو المخالفة، وهدفت الدراسة إلى تحديد الخصائص البنائية لأسلوب التقابل، والكشف عن أثرها في توليد دلالة النص، وعمد الباحث إلى تصنيف الأبنية التقابلية الواردة في السورة في تكوينين هما: التكوين النسقي، والتكوين الجملي.

وتختلف دراستي عن هذه الدراسة في الموضوع والمنهج؛ أما من حيث الموضوع فإن دراستي تتمحور حول التقابل الدلالي في سورة فاطر، أما هذه الدراسة فهي تدرس أسلوب

مكوّنة بناء نصياً متكامل الصيغة، ولا تتوقف أهمية هذه العلاقات عند الحبك والترابط النصي إذ غدت جزءاً أصيلاً من مكوّنات النص، فبات لاختلاف العلاقة الرابطة بين عنصرين من النص أثر فيما يصنعان من دلالة تنعكس على المعنى الكلي للنص.

ويمتاز التقابل الدلالي بأنه أحد أهم هذه العلاقات؛ إذ يتسم بالشمولية والاتساع فهو يضم أكثر من نوع من العلاقات الدلالية فلا يقتصر على رابطة واحدة -كالطباق مثلاً- الجامع بين الكلمة وضدها، لذا تسعى هذه الدراسة إلى النظر في التقابل الدلالي، وهي تهدف إلى الكشف عن أهمية التقابل الدلالي في النص القرآني، والدلالات التي يؤديها، والوظائف البلاغية والنصية التي يحققها.

وتتخذ الدراسة من نص سورة فاطر مادة لها، وذلك لاستشفاف التقابل الدلالي فيها، والنظر فيه وتحليل العلاقات بين الثنائيات المتقابلة، وقد وقع الاختيار على هذه السورة لما تبين للباحث من أنها تضم عدداً من التقابلات الدلالية، أما المنهج المتبع في الدراسة فهو أسلوب

والإشكالية المُصطلحية في هذا المصطلح، من ثمّ بحث في أهمية التقابل، وألمح إلى أنواع التقابل الدلالي.

أما المبحث الثاني فيدرس التقابل الدلالي في سورة فاطر دراسة تطبيقية، وذلك باستشفاف التقابل في السورة وتحليله بناء على أنواع التقابل الدلالي فيها؛ وتتفرع هذه الأنواع إلى: بنى ثنائية التقابل، وبنى متعددة التقابل، والتقابل الضمني، ومن ثمّ خاتمة بأبرز النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

أما سورة فاطر التي اتخذتها الدراسة للتطبيق فهي سورة مكية عدد آياتها خمس وأربعون آية، وتُسمى سورة الملائكة، وهذان الاسمان مستمدان من الآية الأولى في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَتِلْكَ رُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]، واسم السورة يحمل دلالة عظيمة، فالله جلّ وعلا فاطر السماوات؛ أي مبتدئها ومبدعها^(١) دون مثل ولا سابق، وفي اللغة: "فطر

التقابل في سورة الليل، وتتخذ الدراسة الحالية المنهج الأسلوبي البلاغي، على حين جاءت دراسة القرعان وفق المنهج الأسلوبي.

٢-دراسة تحسين، هديل، التقابل الدلالي في سورة الحديد، ٢٠١٠:

تعتمد هذه الدراسة إلى النظر في أنواع التقابل الدلالي المختلفة في سورة الحديد، نحو: التقابل الاصطلاحي، وتقابل الصور، وتقابل المشهد، والتقابل الظرفي والوصفي وغيرها، وذلك بغية الكشف عن أسباب العلاقات الدلالية، وتدرس كذلك الجانب الفني من الناحية الدلالية.

تلتقي هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في الموضوع وتختلف في النصّ القرآني مناط التطبيق؛ إذ إن دراستي تتبع التقابل الدلالي بالدراسة والتحليل في سورة فاطر، على حين تحلل هذه الدراسة التقابل في سورة الحديد، وتختلف كذلك في منهجية التحليل المتبعة.

وقد اختلفت الدراسة من مقدّمة ومبحثين رئيسين وخاتمة؛ يدرس المبحث الأول مفهوم التقابل الدلالي

وينطوي على إحالة مرجعية لموضوعات السورة. أما اتخاذ اسم (الملائكة) لسورة (فاطر) فلا ينحو بموضوع السورة إلى وجه آخر؛ فهو أولاً اسم ثانوي لا رئيسي ولا تُعرف به كثيراً، الأمر الآخر أنه يشير إلى إبداع الله تعالى في خلقه الملائكة إضافة إلى عدم ذكر مثل هذه الآية في غير سورة فاطر.

وقد ارتأيت دراسة التقابل الدلالي في هذه السورة لما فيها من بنى تقابلية عديدة؛ إذ إن سورة فاطر تقوم في بنائها على التقابل الدلالي، فهو محور رئيس في السورة وركيزة أساسية في حبك النص ككل، وقد اتخذ أشكالاً متعددة فوق وقع بين لفظتين، وبين جملتين، وظهر بين المشهدين، ونجده في صورة التخالف وفي صورة التماثل، إضافة إلى التقابلات الضمنية التي تُستشف بالقراءة المتأنية للآيات ومثل هذه التقابلات لها مكانتها في تبين المعنى وإن لم تكن ظاهرة.

المبحث الأول: التقابل الدلالي-
دراسة نظرية:

مفهوم التقابل الدلالي:

الله الخلق يَفْطَرُهُمْ: خلقهم وبدأهم، والفطرة الابتداء والاختراع^(٢)، والمتأمل في السورة كاملة يجد مواضع كثيرة في عظمة الخلق وإبداع الخالق؛ فالله أبداع خلق السماوات والأرض والملائكة على تعدد أجنحتهم، وفي خلقه للإنسان وعظمة البحار وما فيها، وفي الليل والنهار وإنزال الماء من السماء وإمساكه السماوات والأرض من الزوال، وغيرها من المعاني التي اشتملت عليها السورة؛ تذكيراً للإنسان وتنبهاً له على عظمة الخالق الذي ليس كمثله شيء، قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمَنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقد وردت كلمة (فاطر) في ستة مواضع من القرآن الكريم جاءت كلها مقترنة بالسماوات والأرض؛ لما فيهما من عظمة وتدليل على وجود خالق مبدع لهذا الكون، وأكثر ما يدعو الإنسان إلى التفكر والتأمل هو خلق السماوات والأرض، فمن أبدعهما هو أقدر على خلق ما سواهما سبحانه وتعالى؛ فسيمياء اسم السورة يدل على موضوع سورة فاطر بشكل عام

غدّت الأزمة المفاهيمية أو المصطلحية ظاهرة متفشية في عدد من العلوم والفنون، ويظهر أنّ مصطلح التقابل الدلالي قد اعتراه شيء من هذه الأزمة على نحو جلي؛ فبالرغم من كون هذا المصطلح وليد علم البلاغة وركيزة مهمة في بنية النص، فقد كان على صراع مع المصطلحات المتفرعة من علم البديع كالطباق والمُقابلة والتضاد والتخالف والتماثل وما إلى ذلك، فكلّ مصطلح منها لديه دلالاته الخاصة على مستوى اللغة والاصطلاح غير أنها شغلت الدارسين على اختلافهم من قدماء ومحدثين؛ فقد نجده بمعنى التضاد وفي موقع آخر يكون بمعنى المقابلة أو يجمع بين التضاد والمماثلة أحياناً أخرى.

إن المتأمل في كنه الوجود وحقيقة هذا الكون يجد أنه قائم على مبدأ التقابل سواء أكان تقابلاً تاماً أم نسبياً، وكذلك الأمر في مواكبة الإنسان لهذه الحياة، ويكمن سر التقابل في أنه يمنح الأشياء قيمتها، فنستشف قيمة الليل بموازنته بمقابله النهار ويستلزم ذلك وجود الشمس ونظيرها أو مقابلها القمر وهكذا، فجملة

المتقابلات هذه تقيم أود الحياة وتحافظ على التوازن الكلي فيها^(٣)، وانعكس هذا التقابل الموجود في الكون على اللغة، فاهتمت النصوص اللغوية بالمقابلات والمتضادات التي تكشف معاني محدّدة، وتردّد النص بدلالات مهمة قد لا يكون من السهل تناولها والوقوف عندها دون هذه التقابلات الدلالية.

ومن هنا يتوجّب أن نقف عند تعريف واضح لهذا المصطلح يتم وفقاً له معالجة الجانب التطبيقي في سورة فاطر. يخرج الجانب اللغوي إلى معنى المواجهة "فالقاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدلّ كلمه كلها على مواجهة الشيء للشيء"^(٤)، فذكر الجوهري أنّ "المقابلة: المواجهة، والتقابل مثله"^(٥)، وجاء في قول ابن سيده: "تقابل القوم: استقبل بعضهم بعضاً"^(٦)، وقد ورد التقابل بهذا المعنى في قوله -عزّ وجل-: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] ذكر الطبري في تفسير الآية قوله: "إخواناً يقابل بعضهم وجه بعض، لا يستدبره فينظر في قفاه"^(٧)، فيستبين من الآية

وتفسيرها المعنى المقصود من التقابل وهو المواجهة، والمواجهة في اللغة تعني المَقَابِلَة^(٨)، فالمعنى اللغوي للتقابل إذن هو المواجهة والمقابلة، فهو يعنى باستحضار المُقَابِل والمُؤَاجِه لشيء ما دونما تركيزٍ على ضديته؛ إذ لم يرد التقابل لُغَوِيًّا بمعنى الضدّ أو النقيض أو المخالف، وقد وقع الاختلاف في المعنى الاصطلاحي للتقابل فنجدّه عند قدامة بن جعفر تحت عنوان: (ومن أنواع المعاني وأجناسها أيضاً صَحّة المُقَابِلَة)، فقال: "وهي أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة، فيأتي في المُوَافِق بما يُوَافِق وفي المُخَالَف بما يُخَالَف على الصَحّة، أو يشترط شروطاً ويعدّد أحوالاً في أحد المعنيين"^(٩)، فهو إذن يوظّف معنى المواجهة في صَحّة التقابل، وقد علّق على قول الشاعر:

إذا حديث ساءني لم أكتب

وإذا حديث سَرَّني لم أشر

بقوله: "فقد جعل بإزاء سَرَّني ساءني، وبإزاء الاكتئاب الأشر، وهذه المعاني غاية في التقابل"^(١٠)، فمنتهى التقابل عنده يتحقّق في الكلام المركّب وليس في المفردات، كالتقابل الواقع

بين الشطرين من البيت الشعري. وقد تحدّث أبو هلال العسكري كذلك عن التقابل تحت مصطلح (المُقَابِلَة)، قال في معناها: "إيراد الكلام ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"^(١١)، إذ تتمثل المقابلة عنده بحدوث فعل نتيجة لفعل آخر وذكر في ذلك قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢]، ومن جهة الموافقة في اللفظ أورد الآية: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَّكْرًا وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠]، فقابل الله - عز وجل - مكرهم بالأنبياء وأهل الطاعة بالعذاب والهلاك^(١٢). وجعل ابن رشيق القيرواني أصل المقابلة قيامها على ترتيب الكلام على ما يجب، ورأى أن "أكثر ما تجيء المقابلة على الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدّين كان مُقَابِلَة"^(١٣)، فابن رشيق يؤسّس للمقابلة ويضع حدوداً لها، فالمواجهة بين أكثر من ضدّين تُعدّ مُقَابِلَة، وتتقدّم بذلك -المُقَابِلَة- درجة على كلّ من الأضداد والطباق. أمّا ابن الأثير فقد تطوّرت المقابلة

وضدّه^(١٨)، وهذا داخلٌ في المقابلة عند ابن الأثير ويحيى العلوي، ومثله التضاد؛ فقد خلصت الباحثة منى الساحلي إلى أن القدماء جعلوا التضاد في صورته البسيطة طباقاً، ورأت أن التضاد يأتي على مستوى الكلمة الواحدة وعلى مستوى الموقف والأسلوب^(١٩).

تمثل الآراء والأقوال السابقة ما ذهب إليه أهل البلاغة في رؤيتهم لهذه العلاقة بين الثنائيات المتقابلة، وقد وقع شيء من الاختلاف كذلك بين علماء الدلالة الغربيين، فالتقابل (Antonymy) عند (بالمر) هو التضاد في المعنى، وهو بذلك يعدّ مضاداً للترادف^(٢٠)، وقد ورد بهذا المعنى عند غيره المحدثين نحو: (لاينز)، و(يول)^(٢١)، والمطلع على هذا المبحث عندهم يجد أن اختلافاتهم كانت في أقسام التقابل التي وضعوها، وفي التسميات التي أطلقوها، غير أن هذه التسميات قد توقع في اللبس، فالناظر فيما كتبه (لاينز) و(بالمر) و(كروز) يجد أن مصطلح التضاد أو التقابل أو التخالف عندهم -وهذه جميعها جعلت مقابلات للمصطلح

عنده حيث فضل مصطلح (المُقابلة) على المطابقة؛ ورأى من وجهة منطقية أن المعنى "لا يخلو الحال فيه من وجهين؛ إما أن يقابل الشيء بضدّه أو يقابل بما ليس بضدّه، وليس لنا وجه ثالث"^(١٤)، فقد تبنى رأي قدامة بن جعفر في جعله (المطابق) ما يشترك في لفظة واحدة^(١٥)، لذلك فضل المُقابلة عليه في اشتمالها على التقابل بالضدّ كالسواد والبياض، وبغير الضدّ أو المماثل كقوله تعالى: ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، فلم يقتصر التقابل عنده على التراكيب إنما ضمنه الألفاظ على انفرادها أيضاً مستغنياً بذلك عن المطابقة^(١٦)، ووافقه العلوي في تفضيله المقابلة على المطابقة والطباق، ففي الأخيرين إحياء بالتماثل^(١٧)، وقد تتابعت آراء العلماء في مفهوم المقابلة، ووقع الخلط بينها وبين الطباق والتضاد؛ فالطباق عند ابن المعتز ومن تبعه من أهل البلاغة: هو الجمع بين المعنى

إلى تضادّ متفاوت (المتدرّج)، وتضاد غير متفاوت (الأزواج المتتامّة)^(٢٥)، ويمكن عدّ هذا التقسيم أنصف من التقسيمات السابقة؛ لأنه لا يحصر التقابل أو التضاد في وجود التدرّج في كل من اللفظين المتقابلين. وهذه الأنواع كلها تدخل في دائرة التقابل لكن الخلاف كان في المصطلحات والتفريعات.

ونجد أن الجنائي من اللغويين العرب المحدثين، قد عرف ظاهرة التقابل بأنها "وجود لفظتين تحمل كل منهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى، مثل: الخير والشر، والنور والظلمة، والحب والكراهية، والكبير والصغير، وفوق وتحت..."^(٢٦)، وقد ذكر أن هذه الظاهرة في اللغة الإنجليزّيّة تقابل المصطلح (Antonymy) ولم يَقم بتخصيص هذا المصطلح وتحديدّه بالتدرّج كما ذهب بعض العلماء من الغرب، والأمر ذاته عند حلمي خليل^(٢٧).

بناءً على ما سبق يمكن القول بشيء من التفصيل: إن التقابل الدلالي هو مجيء لفظتين تتصلان مع بعضهما بعلاقة دلالية، بحيث تحمل كل منهما معنى مغايراً ومضاداً لمعنى

Antonymy، ممّا شكّل فوضى في الترجمات- هو الدال على وجود تدرّج بين اللفظين المتقابلين؛ نحو التقابل بين صغير وكبير، وجيد ورديء، وسريع وبطيء، وما إلى ذلك ممّا لا يكون فيه القطع التام بين المتقابلين، إمّا تدخل فيه النسبية وإمكانية التفضيل في الصفة^(٢٨)، أمّا التقابل الذي لم يدخل فيه التدرّج والتفضيل فقد أطلقوا عليه مصطلح التباين أو المتتمات^(٢٩)، (Complementarity) وقد عرف (لاينز) هذه الألفاظ بأنها "الألفاظ التي لا تكون قابلة للوصف أو التدرّج في استعمالاتها العادية"^(٣٠)، وذلك مثل: حي وميت، ومتزوج، وأعزب، وهذا قد يوحي تقسيمهم بأن النوع الأول يعدّ تقابلاً وتضاداً، أمّا النوع الثاني فهو من باب التتمّة والتكملة والوصل بين كلمتين مختلفتين، وليس القصد هنا التحدّث عن أنواع التقابل، إمّا كانت الغاية التوقّف عند مصطلح "تضادّ" الذي تمّ تحديده وتخصيصه بالتدرّج والنسبية، أمّا (جورج يول) فقد أطلق مصطلح التضاد على كل كلمتين متضادتين في المعنى، ومن ثمّ قسمه

دون أن يكون ثمة تداخل في المفاهيم^(٢٩).

أهمية التقابل الدلالي:

وقفت الدراسات البلاغية القديمة عند العلاقات الدلالية المختلفة بوصفها محسنات بديعية تضيف على النص بعداً جمالياً وتزيده ألقاً وإبداعاً، وتشير إلى فصاحة صاحبه وقدراته الخطابية العالية، وهي في الوقت ذاته وسيلة حجاجية قادرة على إقناع المتلقي بأفكار صاحب النص، وقد رأت نوال الحلوة أن البلاغيين "اهتموا بالتقابل كظاهرة بلاغية ومحسن بديعي معنوي، أما علماء الأصول فيرون أن التقابل وسيلة من وسائل الاحتجاج والإقناع"^(٣٠)، ورأي الفريقين قائم على عد التقابل وسيلة إضافية داعمة للنص سواء على المستوى الجمالي أو الاستدلالي الحجاجي، وهذا أمر لا يخلو من أهمية غير أنه قد يرد في الذهن السؤال الآتي: هل التقابل وسيلة مضافة على النص حقاً أم أنه ركيزة أساسية تستند عليها النصوص ولا مجال للاستغناء عنها؟

الأخرى، ويكون بين مفردتين أو تركيبين لغويين، على وجه المخالفة في اللفظ والمعنى، أو المخالفة الدلالية فحسب - أي المماثلة اللفظية بين الطرفين المتقابلين - أو باستحضار حدث ومن ثم مقابلته بآخر، يكون نتيجة له أو جواباً لشرط منوط بالطرف الأول، ويكون ظاهراً أو ضمناً، متدرجاً أو غير متدرج.

وهذا يعني أن التقابل لا يختص بلفظة واحدة كالطباق، ولا بالجملة كالمقابلة، وليس مقروناً بضدية الألفاظ فحسب، بل يحتمل التماثل بينها، لذلك هو يختلف عن هذه المصطلحات بكونه أكثر شمولية منها. وقد فرق ابن أبي الإصبع المصري بين كل من الطباق والمقابلة في أن الطباق يجمع بين ضدّين فقط، أما المقابلة فلا تكون إلا بما زاد على ذلك، وفي أن المقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد بخلاف الطباق^(٣٨).

من هنا كان لا بدّ من توحيد المصطلحات هذه تحت مصطلح التقابل الدلالي، فوجود هذا المصطلح دليل على حدوث المواجهة بمعناها اللغوي لكن على نحو أكثر تحديداً

تُبنى عليها الخطابات عامة^(٣٤)، وقد قام هذا الباحث بتأويل التقابل في عدد من النصوص ليخرج بنتيجته المذكورة، وهذا يدل على أن غياب التقابل من نص ما يمكن عده ضمنيًا وتأويله للخروج بمقابلات لها أهمية بالغة في بناء النص.

وقد خرج التقابل الدلالي من دائرة المحسنات البديعية ليدخل في دائرتي السبك المعجمي والحبك النصي، ويرى جميل عبد المجيد أن السبك المعجمي في بعض الفنون البلاغية يتمثل في أنها كثيراً ما تُصاغ في تراكيب نحوية متوازية وهذا يجعلها سابكة، ويظهر السبك في المقابلة في قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠] حيث يبدو التوازي النحوي فيها جلياً^(٣٥)، فالسبك الذي يحققه التقابل الدلالي -وغيره من العلاقات الدلالية- يحافظ على كينونة النص ويضمن استمراريته^(٣٦). ومن ناحية أخرى فإنه "تزداد فاعلية المقابلة في الحبك، وتكون أكثر امتداداً

لقد كشف النظر في القرآن الكريم وفي النصوص اللغوية على اختلافها أن التقابل الدلالي عنصر جوهري في النصوص جمعاء، وليس وسيلة مجتلبة بهدف الجمال والتحسين أو الإقناع واستثارة التفكير فحسب، فهو مكون أساسي لبنية النص ولا يمكن فصل صور البديع عن "النسق اللغوي العام، فهي جزء من بنية التركيب الفني جميعه"^(٣٧)، بل يذهب رجاء عيد إلى عدم الاطمئنان إلى مصطلح (محسنات)^(٣٨)؛ فحصر التقابل وغيره من العلاقات الدلالية على كونها محسنات بديعية إجحاف بحقها، فإذا كان التقابل هو الأساس الذي يقوم عليه الكون -سبقت الإشارة إلى ذلك- بما فيه من تعقيد وبديع صنع فالأجدر به أن يكون البذرة الأساس في بناء النصوص؛ إذ لا بد أن تحتمل كل كلمة أو جملة مقابلاً لها، كان ذلك على نحو مذكور في النص أم ضمني يمكن تأويله، ويعد محمد بازي التقابل عنصراً ظاهراً خفياً "يسكن النصوص ويتحكم في صناعتها"^(٣٩)، فهو يرى أن "بنية التقابل هي المادة الذهنية الأولية أو المعنى الأساس أو البنية التحتية التي

كونه محسنًا بديعًا؛ فيظهر أثره في النص من ناحية تكثيف الدلالة وتعميقها أو بأنه يجتلب لإتمام فكرة أو تحقيقها أو تفصيل أمر ما وما إلى ذلك.

يخلص هذا القول إلى أن دراسة التقابل الدلالي قد تعدت النواحي الجمالية البديعية إلى نواح تُعنى بسبك النص وحبكه وتأدية الدلالة بصورة أكثر جلاء وعمقًا وذات أجزاء واضحة الترابط.

أنواع التقابل الدلالي:

تعددت أنواع التقابل الدلالي وأقسامه عند القدماء والمحدثين؛ فالتقابل عند علماء الكلام يشمل أربعة أنماط: تقابل السلب والإيجاب، وتقابل الضدين، وتقابل المتضايين وتقابل العدم والملكة^(٤٠)، فلم يدخلوا جانب التماثل في أقسامهم، أما أهل الدراسات البلاغية فقد اعتمدوا اللفظ والمعنى في تقسيمهم، فالعلوي في الطراز يجعل التقابل أربعة أضرب: المقابلة من جهة اللفظ والمعنى، ومن جهة المعنى فقط، ومقابلة الشيء بما يخالفه من غير مضادة، والمقابلة للشيء بما يماثله^(٤١). وقد ذهب سعيد

حين تتقابل الشروط المصاحبة لطرفي التقابل، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيْسِرُهُ ۖ لِلْيُسْرَى ۖ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيْسِرُهُ ۖ لِلْعُسْرَى ۖ﴾ فإنه لما جعل التيسير مشتركًا بين الإعطاء والاتقاء والتصديق، جعل ضده وهو التعسير مشتركًا بين أضداد تلك، وهي المنع والاستغناء والتكذيب^(٣٧) فوجود عدد من المتقابلات في كل طرف يزيد من درجة الحبك النصية وهذا يجعل النص ذا بنية قوية ودلالة أكثر عمقًا، وكثيرًا ما نجد ذلك في النص المقدس. وتتجلى قيمة الحبك النصي في أنه يربط الدلالات في النص، أو كما يرى سعد مصلوح فإنه يهتم بالمفاهيم والعلاقات الرابطة بينها وهذا يؤدي إلى الاستمرارية الدلالية^(٣٨)، وأشار محمد عبدالمطلب إلى أهمية التقابلات الثنائية في إحداث العمق البنائي في النصوص، إضافة إلى أهميته على المستوى الشكلي أو الصياغي؛ فقد يكون "تتميمًا، أو تكميلًا، أو يكون تذييلًا وتحقيقًا، أو يكون إجمالًا وتفصيلًا"^(٣٩)، وهذا ينفي عنه

مناظرة على الاتجاه الآخر؛ مثل: القمة والقاع، الرأس وأخمص القدمين.

٣-التقابل التناظري، وذلك مثل التناظر بين الأزواج: التلة والوادي، المقعر والمُحدّب، النتوء والانبعاج.

٤-التقابل الانعكاسي، وتتميّز الألفاظ المتقابلة في النوع بوجود حركة وتغيّر في الاتجاهين المتقابلين، مثل الأفعال الحركية: بُعد ودنا، صعد وهبط، دخل وخرج.

٥-التقابل العكسي، تقوم هذه العلاقة بين ثنائيات تُعبّر عن ارتباط بين كيانين، أو تُعبّر عن اتجاه إحدى اللفظتين تحديداً، بالمقارنة مع الأخرى على امتداد بعض المحاور، ويمكن الربط العكسي- بين الأزواج الآتية: خادم ومخدوم، ودائن ومدين، وخلف وسلف، وأرسل واستقبل، سأل وأجاب، أخذ وأعطى وغيرها.

وقسّمه بعض اللغويين المحدثين إلى التضاد الحادّ والمتدرّج وتضاد العكس والتضاد الاتجاهي والامتدادي والدائري^(٤٣). وإنما جعلت أقسام التضاد أقساماً للتقابل لأنها جزء أساسي من التقابل إضافة لتحقيقها

أبو خضر إلى أن أهمّ العلاقات التي تربط بين الثنائيات الدلالية المتقابلة في اللغة وفق ما توصّل إليه العلماء من دراساتهم، العلاقات الآتية على اختلاف تسمياتها^(٤٤):

١-التباين؛ وهو أن تكون كل لفظة من اللفظتين المتقابلتين لها مقابل غير قابل للتعدد أو التنوع؛ مثل: حي وميت، أعزب ومتزوج.

٢-التضاد؛ وهي ألفاظ متقابلة تمتاز بأنها متدرّجة، ومتغيّرة، وقابلة للمبالغة، ونسبية، مثل: طويل وقصير، سريع وبطيء، سهل وصعب، وغيرها.

٣-العلاقات الاتجاهية، وينبثق عن هذه العلاقة مجموعة من العلاقات الفرعية:

١-التقابل الاتجاهي، يربط بين وحدتين معجميتين دالتين على اتجاهين متقابلين يشيران إلى مسارين ممكنين متعاكسي الاتجاه، مثل: شمال وجنوب، فوق وتحت، أمام وخلف.

٢-التقابل الامتدادي، وهي علاقة مبنية بين لفظتين تُمثّل إحداهما النهاية القصوى لاتجاه، في حين تُحيل اللفظة الأخرى على نهاية قُصوى

أولاً: بنى ثنائية التقابل:

وهي بنى يكون التقابل فيها من طرفين حسب، سواء أكان تقابلاً بين المفردات كالشمس والقمر أو بين الجمل كالأفعال المضارعة على سبيل المثال، ويمكن تسميتها بالبنية بسيطة التقابل ومقابلها بنية مركبة التقابل^(٤٥)، وقد ظهرت التقابلات في سور فاطر بين لفظتين وبين جملتين، على سبيل التخالف/التضاد أو التماثل:

١-التقابل بين لفظتين:

ويمكن تقسيم هذا النوع على شكل ثنائيات عامة قد تندرج تحتها ثنائيات متفرعة، على النحو الآتي:

١- ثنائية السماوات والأرض: يبرز

التقابل بين السماء والأرض في التقابل بين العلو/ الارتفاع والانخفاض/ الهبوط، إلى جانب خواص كل منهما فمن السماء تتساقط الأمطار وفي الأرض مستقرها ومستودعها، فيمكن استكنانه أبعاد التقابل منهما على نحو جلي، وقد تكررت بنية التقابل هذه في القرآن الكريم بشكل كبير؛ لما في السماوات والأرض من عظمة الخالق فـ "سمااء بلا عمد" دعت الإنسان إلى

الغرض من المواجهة وإن لم تكن دالة على التماثل الذي أدخلناه في مفهوم التقابل، وقد رأى بعضهم أن المقصود بالتضاد "مجرد التقابل في الجملة"^(٤٤).

وسأستفيد في الدراسة التحليلية من التقسيمات التي اختارها سعيد أبو خضر، غير أنني سأنتقل في التحليل منطلقاً أسلوبياً، بالنظر في بنية التقابل إن كانت ثنائية تعتمد على مفردتين متقابلتين، أو بنية متعددة تتكئ على أكثر من مفردتين متقابلتين في التركيب الواحد أو السياق الواحد.

المبحث الثاني: التقابل الدلالي في

سورة فاطر:

ظهر التقابل في سورة فاطر في صور مختلفة، ذهبْتُ إلى تقسيمها على النحو الآتي:

١- بنى ثنائية التقابل.

٢- بنى متعددة التقابل.

٣- التقابل الضمني.

وقد لا ترد هذه التقابلات منفصلة؛ إذ تتداخل بعض التقابلات مشكّلة الدلالات المختلفة ليتمّ الحبك النصي- على الوجه الأكمل، ويتجلى التقابل في السورة على النحو الآتي:

— ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾
[الآية: ٤٤].

يتبين من هذه الآيات المعنى
العميق الذي تشي به ثنائية
السموات والأرض؛ إذ ارتبطت في
الآيتين الأولى والرابعة بالإعجاز في
خلق السموات والأرض وما فيهما
من ابداع وفي هذا دعوة للتفكر
فيهما، وتبين الآية الثانية أن
السموات والأرض هما مصدر الرزق،
وأنه تعالى هو الرزاق الوحيد، وهنا
حث على ذكر أنعم الله وشكره
عليها، وفي الآية الثالثة ينبه الله تعالى
بعلمه الغيب فهو يعلم ما في
السموات والأرض من غيب وهما
أعظم ما خلق، أما الآية الأخيرة فقد
قرن الله بين السموات والأرض لبيان
قوته وقدرته فلا يعجزه شيء.

يتضح أن التقابل في ثنائية
السموات والأرض وقع بين الجمع
والمفرد، وهذا شكل من أشكال
التقابل؛ إذ لا يشترط أن يكون

التفكر في هذا الكون المذهل،
وتقابلها عظمة الأرض بمكنوناتها
المختلفة. ونجد هذه البنية أكثر
التقابلات تكراراً في سورة فاطر، وذلك
في الآيات:

— ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَى
أُجْنَحَةٍ مَتْنَى وَتِلْكَ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ
مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
[الآية: ١].

— ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نَعَمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ
يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الآية: ٣].

— ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
[الآية: ٣٨].

— ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا
مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
عَفُورًا﴾ [الآية: ٤١].

تُشكّل الأرض مُقابلاً للسماء وهي تُعدّ الجزء القريب من الإنسان، وهُنا نجد خطأً مُمتدّاً بين السماء والأرض وواصلًا بينهما، وكل منهما يقع في النهاية القصوى لهذا الخط أو المحور.

١. ٢- ثنائِيّة الوجود والعدم:
تُمثّل هذه الثنائِيّة التقابل بين الحياة والموت، فالحياة دالّة على الوجود والموت هو العدم، ويمتاز هذا النوع من التقابل بأن انتفاء أحد المُتقابلين هو استحضر للآخر، فيتعيّن على انتفاء الحياة استحضر للموت، وقد يسمّى بثنائِيّة العدم والملكيّة^(٤٦). وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [الآية: ٩].

التقابل المقصود هُنا هو ما وقع بين (البلد الميت والنشور)، ففي النشور تحقيق لأمر يتضادّ في معناه مع الموت، والتقابل في المعنى لا في اللفظ المباشر، أما النشور فهو "بعث الموتى من القبور للجزاء"^(٤٧)، فالنشور هو الحياة بعد الموت هو بذلك مُقابل للموت سواء أكان بمعنى إحياء الموتى يوم القيامة أم إحياء الأرض

المتقابلان متماثلين في خصائصهما، بل قد يرافق الاختلاف الدلالي اختلافاً في الجمع والإفراد والاشتقاقات الصرفية. وقد جمعت السماء في المواضع كلها إلا في الموضع الثاني ذُكرت بالإفراد؛ والمُتأمل في هذه البنية التقابلية يستشرف ما فيها من إعجاز بياني فتعدّد السماوات يزيد من عظمة هذا الصنيع وإبداعه، فالله خلقها ولا يعجزه شيء فيها ويعلم غيبها مع قصور العنصر البشري عن إدراك أسرار هذه السماوات، أما الموضع الثاني فقد جاءت بالإفراد؛ لأن الحديث كان عن نعمة الله تعالى ورزقه المُستمد من السماء وهذا الرزق لا يكون إلا من السماء الدنيا المُدرّكة بالحواس فجاءت على الإفراد. وهذه الثنائِيّة التقابلية كانت ذات دلالات مُتعدّدة باختلاف السياق الذي وردت فيه.

ويتبدّى للناظر في ثنائِيّة السماوات والأرض أنها تُمثّل نموذجاً للعلاقات الاتجاهية للتقابل، وهو النوع المتمثّل في التقابل الامتدادي؛ إذ تُمثّل السماوات الجزء الأعلى في الكرة الأرضية الذي يتجلّى للناظر في أعلى نقطة وأبعدها عنه، على حين

إنكار من الناس في مسألة الحياة بعد الموت.

وثمة موضع ثانٍ قابل فيه بين الحياة والموت وهو في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [الآية: ٢٢].

وهو تقابل مباشر قريب من إحاطة الإنسان، فلا ينكر أحد أن الحي يختلف عن الميت، فكل منهما له عالمه المختلف، فهذا التقابل يشير إلى معنى أعمق وهو أن الحي يقصد به حي القلب والضمير الذي عرف الحق فصدق وآمن فعاش بهناء، والآخر هو ميت القلب الذي غيب قلبه عن الحقيقة وصدّ عن الإيمان فطُبع على قلبه فهذه ليست حياة بل هو موت أصغر. جاء في الكشف: "الأحياء والأموات: مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا فيه، وأصروا على الكفر"^(٤٨)، فدلالة التقابل أعمق مما يوحي به الظاهر فهو ليس عنصراً ثانوياً بل وسيلة لتقريب المعنى باللجوء إلى طريقة أقرب إلى الأذهان عن حقيقة المؤمن والكافر.

الميتة في الدنيا، إذ إن ذلك كله يندرج تحت ثنائية الحياة والموت. وبناء صورة ذهنية للأرض الميتة ومن ثمّ بعث الحياة فيها يتناسب مع صورة الموتى المُبتعثين من قبورهم، وكل ذلك فيه تقابل، وفي هذه الآية قصد الله التقريب بين البعث في اليوم الآخر، وما يحدث للبلد الميت الأجذب حين يسوق الله إليه السحب المُحمّلة بالمطار، ويمكن القول إن في هذه الآية تقابلاً أولياً غايته تقريبية، إذ إن في مكنة التفكير البشري فهم الصورة الخاصة بالبلد الأجذب الذي تعود إليه الحياة بسقيا رحمة يرسلها رب العالمين إغاثة لهذه الأرض وإحياء لها، فتعود إليها روحها الطبيعية من جديد، وفيها تقابل آخر متضمن فيها، وهو يعدّ تقابلاً رئيساً، وليس فرعياً أو ثانوياً؛ وهو التقابل الواقع بين الموت والحياة، الموت الذي يصيب الإنسان في الدنيا، والحياة التي تُبعث في جسده من جديد في اليوم الآخر فيعود حياً، مستعداً للحساب الإلهي، وهذا هو التقابل المقصود من الآية لكن التقابل المباشر جاء في صورة تقريبية حتى لا يتعسر على العقل فهمها أو تخيلها، وحتى يواجه أي

فنفي الوجود إثبات للعدم، ونفي الحياة إثبات للموت.

٣- ثنائية النور والظلام، وقد تضمنت هذه الثنائية عدداً من التقابلات وهي كالآتي:

أ- التقابل بين الأعمى والبصير، في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾؛ فالأعمى يمثل الظلام والبصير هو النور، يحمل هذا التقابل دلالتين منوطتين بنيتين؛ فثمة بنية سطحية تحمل الدلالة الحقيقية وفيها المقابلة بين أعمى العين والمُبصِر وهذه الدلالة بعيدة عن المقصود، وبنية عميقة تحمل الدلالة المجازية المقصودة والمقابلة فيها بين أعمى القلب والبصيرة الذي هوى عن الحق والإيمان فعمه الظلام وبين صاحب البصيرة الذي يرى بنور الإيمان والهداية^(٤٩)، وهذان الصنفان من الناس لا يستويان. والله عز وجل قد أتى بهذا التقابل لوضوح الدلالة فيه وعمق المعنى الدال عليه. وقد وضع بعض الدارسين هذا التقابل تحت نوع العدم والمملكة^(٥٠)، وهو في نظري تحت ثنائية النور والظلام استناداً إلى

وينضوي تحت هذه الثنائية التقابل الدلالي بين السر والعلانية، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [الآية: ٢٩]. فإنفاق المال لوجهه تعالى يكون على هئتين: فهو إما بالسر أو بالعلن، وهاتان اللفظتان متضادتان فالسر ضدّ العلن، وهو قد يمثل العدم؛ لأن السر ليس بمكنة أحد الاطلاع عليه فكأنه ليس موجوداً إلا إذا أفصح عنه، أما (العلانية) فهي تمثل الوجود؛ فهو إنفاق معلن عنه بشكل صراح. وهو تقابل لا بدّ منه فكل المنفقين لهما عظيم الأجر ولن تبور تجارتهم؛ وذلك حتى لا يُظنّ أن الإنفاق يكون على هيئة واحدة لا غير، فله أوجه وكل متقبل إن كان طلباً لثواب الله، إضافة إلى أن مَبْتَغى السر هو إخلاص النية أما العلانية فلحثّ الناس على الصدقة ودفعهم للتسابق إليها.

يتبين من الاطلاع على المتقابلات في ثنائية الوجود والعدم أن فيها تقابلاً حاداً، أو تبايناً، إذ إن إلغاء أحد الطرفين هو إثبات للطرف الآخر،

المقابلات تكشف عن جانب كبير من الإعجاز البياني.

ج- التقابل بين الظل والحَرور، في آية: (وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُّور..)، فالظلّ منوط بالظلام أو غياب النور عن مكان ما، أما الحرور فهو شدة الحر في الليل أو في النهار^(٥٣)، وأورد الشوكاني أن الحرور هي "شدة حرارة الشمس"^(٥٤) وهذا وجه ارتباطها بالنور أي ضوء الشمس الحارقة، وقد ذكر الفراء أن الظل هو الجنة، والحرور هي النار^(٥٥). هذا المعنى هو ما تحمله البنية العميقة؛ فالنور هنا يحمل الدلالة السلبية وهي النار أو شدة حرارة الشمس، أما غياب النور فيدل هنا على الراحة أو الجنة. فقرب الله دلالة الجنة والنار إلى إدراك البشر بتعالقهما بالظل والشمس الحارقة.

يتبين من ثنائية النور والظلام أن التقابل بين كل من الظلمات والنور، والظل والحرور هو تقابل متدرج؛ إذ يمكن إدخال كلمات لتعزيز درجة النور والمبالغة فيها، فنقول أشد نورا، أو أكثر ظلاماً، فكل من طرفي التقابل قابل للتعدد والتنويع.

المعنى الذي تؤدّيه الآية وما تلاها من آيات تندرج تحت هذه الثنائية.

ويظهر هنا أن التقابل بين الأعمى والبصير في البنية السطحية لهذا التقابل هو تضادّ حادّ (تباين)، لأن نفي العمى يدلّ على الإبصار، أما البنية العميقة التي قد تحمل في طياتها ثنائية النور والظلام، ففيها تقابل نسبي متدرج^(٥٦)، لعدم القدرة على تقدير درجة كل من النور والظلام.

ب-التقابل بين الظلمات والنور، قال جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ..﴾ جاءت هذه البنية مباشرة التقابل، وهنا بنية تقابلية عميقة بين طريق الكفر والضلال، وطريق الحق والإيمان، وقد وقع التقابل بين الجمع والإفراد؛ لأن الباطل متعدّد السبل أما الحق فهو صراط مستقيم وطريق واضح لا يشوبه شك. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْشَرُوا بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^(٥٧)﴾، فالصراط المستقيم/ النور/ الحق طريق واحد يقابله السبل/ الظلمات/ الضلال، ومثل هذه

٤- ثنائية الترغيب والترهيب:
وردت هذه الثنائية في التقابل بين
البشير والناذير، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾
[الآية: ٢٤]. فالبشير ضد النذير
ويتبين هنا أن الشريعة الإسلامية
تقوم على ثقافة الترغيب
والترهيب دون تمثيل أحدهما على
حساب الآخر، وهذا يرسخ التوازن
في العقيدة لدى الفرد، فهي بنية
تقابلية مهمة، تشتمل في
مضمونها على ثواب للمحسن
وعقاب للمسيء، أما نوع التقابل
بين البشير والناذير فهو تقابل
متدرج.

٥- ثنائية التماثل: وذلك بين كلمتي
(وزارة) و(وزر أخرى) في قوله
تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَى﴾ [الآية: ١٨]، فثمة تماثل دلالي
سطحي، وتضاد داخلي عميق،
فالنفس الوزارة التي وقعت في
جنس من الذنوب، تقابل النفس
الأخرى التي اقترفت وزراً آخر،
فتأويل الآية: أن لا تزر وزارة وزر
وزارة أخرى، فتحقق التماثل

اللفظي بين الوزرتين، ولا يخلو
الطرفان من عنصر المواجهة
والتضاد، وهو بهذا يدخل في دائرة
التقابل، جاء في تفسير الشوكاني:
"لا تحمل نفس حمل نفس
أخرى"^(٥٦) وهذا يشبه المعنى الذي
ذهبت إليه فقابل (النفس
الوزارة) بمثلتها، وهما متشابهتان
ومتماثلتان في العمل والوزر، لكن
التضاد متمثل في الفاعل/ النفس
الوزارة وجنس المفعول به/ الوزر.

٢- التقابل بين جملتين

يتعين هذا التقابل إما في اللفظ
والمعنى أو في المعنى سواء من طرف
واحد أو من طرفين، وفق الآتي:

١- التقابل في اللفظ والمعنى:

وقد وقع ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ رُزِيَ لَهُ سَوْءَ عَمَلٍ فَرَّاهُ حَسَنًا فَإِنَّ
اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا
تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [الآية: ٨]؛ تضمنت
هذه الآية سياق يكتنف كل واحد
منهما تقابلاً، يتحقق الأول بين سوء
العمل والرؤية الحسنة له، وكأن
التقابل واقع بين (السوء- الحسن)

الأذهان والإدراك. ويعدّ التقابل بين (تحمل) و(تضع) تقابلاً انعكاسياً، فكل منهما يتحرك باتجاه معاكس للآخر، أما التقابل الآخر فيمكن عدّه تقابلاً متدرجاً لعدم وجود شيء ثابت في هذا الأمر.

٢-التقابل في المعنى في طرفي التقابل أو أحدهما، وذلك في المواضع الآتية:

وقع التقابل بين قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾ [الآية: ١٠]. وقد رجح ابن جرير أن يكون تفسير الجزء الأول من الآية: "من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فله العزة جميعاً، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان"^(٥٨)، وفي هذا المعنى يتعين التقابل مع الطرف الآخر الذين يَمْكُرُونَ السيئات، ذكر ابن كثير أنّ هؤلاء هم المراءون يوهمون بالطاعة وهم بغضاء إلى الله عز وجل^(٥٩). فأشخاص أرادوا العزة حقاً، مقابلهم من أوهموا بالطاعة ولم تصدق قلوبهم فمكروا.

وهذا نتيجة التزيين الذي وشى العمل السيء بهيئة حسنة، ويتضح التقابل في قول الطبري: "فحسب سيء ذلك حسناً، وظن أن قبحه جميل"^(٥٧)، ويتعين التقابل الثاني بين ثنائية (الضلال والهدى) فالفعل المضارع (يُضِلُّ) متقابل مع الفعل (يَهْدِي) وكل ذلك بقدرة الله جلّ وعلا. ويختلف نوع الثنائيات المتقابلة في الآية؛ إذ إن نوع التقابل بين (السوء) و(الحسن) هو تقابل متدرج وقابل للتعدد، أما التقابل بين (يَهْدِي) و(يُضِلُّ) فهو تقابل انعكاسي؛ ذلك لأن في الفعل الأول حركة وتغييراً في اتجاه معاكس لاتجاه في الفعل الثاني.

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية: ١١]؛ فوقع التقابل بين الفعلين (تحمل) و(تضع)، وفي الطرف الثاني من الآية تقابل بين (ما يعمر) و(لا ينقص من عمره) وهذه التقابلات لبيان علم الله؛ إذ إن استحضر الشيء وضده يكون أقرب إلى

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمْلِهَآ لَا يَحْمِلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [آية: ١٨]؛ وقع التقابل بين (وإن تدع مثقلة إلى حملها) و(لا يحمل منه شيء)؛ فتذهب الجملة الأولى إلى أن النفس المثقلة بالذنوب لو طلبت أن يحمل من ذنوبها لم تجد من يحمل عنها^(٦٠)، فيقابلها (لا يحمل)، كأن التقابل بين الإيجاب والسلب (يحمل / لا يحمل).

ووقع التقابل في آية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافُورٍ﴾ [آية: ٣٦]؛ بين الجملتين (لا يقضى عليهم) و(لا يخفف عنهم) وهو تقابل نسبي يمثل جزاء الكافرين وليس لهذا العذاب حد معلوم، ومعنوي من الطرفين إذ تذهب الأولى إلى معنى الموت والخلاص من هول العذاب، وتخرج الثانية إلى تخفيف العذاب فيتمكنون من العيش، فليس ثمة موت فراحة ولا عيش بتخفيف وتهوين العذاب جزاء لكفرهم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ أَوْكَمْ نَعْمَرُكُمْ مَا

يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الآية: ٣٧]؛ فهنا تقابل بين العمل الصالح والعمل السيئ، وهو يمثل تقابلاً بين السلب والإيجاب حسب البنية الظاهرة، ويبدو أن صاحب العمل السيئ يرافف بنفسه عن الإشارة إلى فعله المشين، لكنه قد يومئ بشكل غير مباشر إلى ما فعل فقال (غير الذي كنا نعمل)، ولعل ذلك شعور بالذنب واعتراف بالخطأ، وكان الاعتراف هنا متأخراً وقد فات ما فات، وهو تقابل بليغ سواء أخذ بين السلب والإيجاب أو بتأويل العنصر المنفي.

١. تقابل التماثل:

وقع التماثل في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الآية: ٤]، فتماثل الفعلان في معناهما واختلفا في البناء للمعلوم والمجهول وفي الدلالة؛ فالتكذيب الأول مختلف في طريقته وماهيته عن طريقة التكذيب الآخر، وفي هذا مواسة لرسول الله ﷺ.

ثانياً: تعدّد بنى التقابل:

وردت بعض المُقابلات في سورة فاطر باشتراك عدد من الأطراف المتقابلة في جملتين، أو بتقابل صورتين أو مشهدين كاملين، مما يُقرب المعنى من ذهن المتلقي:

١-التقابل بين جملتين: يستبين ذلك في مجموعة من الجمل، على النحو الآتي:

قال جل ثناؤه: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية: ٢]، نرى في هذه الآية جملة من التقابلات صنعت منها بنية متعدّدة التقابل؛ إذ إن (يفتح) تقابل (يمسك)، و(ممسك) يقابلها (مرسل)، وتقابل جملة (ما يفتح الله للناس من رحمة) بـ (فلا ممسك لها)، وجملة (ما يمسك) بـ (لا مرسل له)، إضافة إلى أن الجملة الثانية كاملة تُعدّ مقابلًا للجملة الأولى كاملة، وهذه الآية تبين مدى الحاجة إلى التقابل في حبك النص، إلى جانب التناغم الإيقاعي الناتج عن هذه التقابلات، فللمضارع مقابل من جنسه وكذلك اسم الفاعل، تُبين الآية

أن كلّ ما في هذه الحياة من نعم هو بأمر الله ولا يستطيع أحد وهب تلك النعمة أو منعها إلا بمشيئته، فأسهم التقابل في تأكيد ذلك على نحو بارز وبشيء من التفصيل، أما نوع التقابل فهو معاكس بين (يفتح) و(يمسك)، ومتدرج بين (ممسك) و(مرسل).

وورد هذا التقابل أيضاً في قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية: ٧] تعين التقابل بين فئتين من الناس وجزاء كل واحدة منهم، فالذين كفروا يُقابلهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وجزاء الفئة الأولى العذاب الشديد، أما الفئة الثانية المؤمنة فجزاؤها المغفرة والأجر الكبير، فهذه الموازنة المبنية على عنصر التقابل تبين عدم تساوي الناس عند الله تعالى والعدل المُطلق في جزاء كل فئة، فمن يقرأ الآية ويقابل بين الفئتين يتكوّن لديه خياران إما انتحاء الفعل الأول وتحمل نتيجته أو الثاني والفوز بما يقابله من جزاء.

وفي قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

ليست مقابلة للاستماع غير أن ذلك يتم في الدعاء والنداء فالمتوقع من الدعاء أو النداء أن يقابل باستجابة، وأنَّ تقابل ثالث بين (لا يسمعون- ولو سمعوا) بمقابلة السلب بالإيجاب، الأول فيه هو الواقع والوصف الحقيقي لهم، أما الثاني فداخل في دائرة المجاز على سبيل الوهم والافتراض فهم لم ولن يسمعون، مما يؤكِّد للمتلقِّي ضعف هؤلاء الآلهة وعدم قدرتهم على السماع والإجابة ولو كان في المجاز أو الخيال. وقد برزت فعالية التقابل على مستوى السبكِ المُعْجَمِي والحبك النصِّي-وجمالية الأسلوب.

وتتابع الآيات مبنية على التقابل الدلالي، وذلك في قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۚ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية: ١٥-١٦] ففي الآية الأولى تقابل بين الناس وحاجتهم إلى الله مع الله جلَّ وعلا واستغنائه عن البشر، ويتجلى الله عزَّ وجلَّ عن موازنته مع الناس غير أن في الآية تحقيقاً وتقريراً لحاجة الناس الدائمة إلى الله وفقرهم إليه، وتأتي الآية

مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿[الآية: ١٣]، وقع التقابل بين مَلِكِ الله -عزَّ وجل- ومَلِكِ الآلهة المُدَّعَاة، إذ تقدَّم لفظ الجلالة (الله) على المَلِكِ، وقابل ذلك بتقديم ما يدعى من دون الله وهو المقابل الأول ثم التقابل بالسلب والنفي في أنهم لا يملكون أتفه الأشياء وأقلها أهمية وهو الطرف الثاني للتقابل، وجاء التقابل لتسفيه ما يعبده المشركون وبيان مَلِكِ الله المُتَّصِف بالعمومية والمحيط بكل شيء.

ويأتي في الآية الآتية لها بيان ما في ألَهَتِهِمْ من مثالب في قوله: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [الآية: ١٤] وهنا وقع متقابلان في الطرف الأول ثم قوبلاً بمتقابلين آخرين من الطرف الثاني؛ الأول بين (إن تدعوهم- لا يسمعون) وتأويل عدم سمعهم بأنهم (لا يستجيبون) فمقابل الدعاء (الاستجابة) فهنا المقابلة في المعنى دون اللفظ، وكذلك في الطرف الثاني قابل استماع الدعاء بعدم الإجابة، والأصل أن الإجابة

ولما يمتاز به هذا النوع من التقابل من تعدّد في المتقابلات، فإنه قد يتداخل مع الفنون البلاغية المختلفة، كالتقسيم، وهو "أن تُقسم الكلام قسمة متساوية تحتوي على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه"^(٦١)، وقد ذكر أهل البلاغة أن من صحة التقسيم مجيئه مدمجاً في المقابلة^(٦٢)، ويرى بعض الدارسين أن تقابل أجزاء التقسيم يوقر علاقته دلالتين: الإجمال والتفصيل الممثل للتقسيم، والتقابل، وهذا يزيد درجة الحبك^(٦٣). وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع من سورة فاطر، الأول: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا

مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الآية: ١٢] اجتمع في هذه الآية عنصران: الأول هو تقسيم البحر إلى نوعين لكل واحد منهما خصائصه المميزة له، والثاني هو تقابل التضاد بين خصائص هذين النوعين؛ فقابل بين العذوبة والملوحة (عذب- ملح)، والتقابل الثاني بين (الفرات- الأجاج) وكلاهما بزنة (فُعَال) للمبالغة في الصفة، فالماء الفرات "الذي يكسر العطش"^(٦٤)، وضده الأجاج وهو الذي "يلذع الفم بمرارته

الآية لها مَبِينَةٌ غنى الله عن العباد على صورة تقابلين آخرين؛ الأول بين (يذهبكم- يأت)، والثانية بين الضمير المتصل (كُم) في الفعل (يذهبكم) يقابلها (الخلق الجديد) وهنا تتجلى قُدرة الله تعالى وغناه عن أي شيء، ونجد أن الآية لم تكن (ويأت بغيركم) إنما (بخلق جديد) لتبيين قُدرة الله على الخلق من جديد فلا يعجزه شيء.

ومن التقابل ما جاء في الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [الآية: ٢٢]، جاء التقابل بين قدرة الله سبحانه وتعالى وقُدرة الرسول ﷺ فوقع بين الفعل (يُسْمِعُ) واسم الفاعل (وما أنت بمسمع) فالتقابل بين الإيجاب والسلب؛ لذا فقد أتي مركزاً على قُدرة البشر المحدودة فالرسول ﷺ جاء نذيراً للناس أما من في القبور فليس له من قُدرة على إسماعهم، وهذا تأكيد على قُدرة الله تعالى التي تفوق أي شيء.

٢- تعدّد المتقابلات والفنون البلاغية:

أو ملوحته" (٦٥)، ما يزيد من شغف الظمآن للماء ولا يرويه أبداً، وجاء التقابل الثالث في طرف دون آخر فوصف الأول ب (السائغ)؛ وهو "المريء السهل الانحدار لعذوبته" (٦٦)، وضده غير السائغ وهو تقابل بدهي يلمح من المعنى وإن لم يذكر صراحاً. وقد ذهب الزمخشري إلى أن هذين البحرين مثل للمؤمن والكافر (٦٧)، ويتضح من هذه الآية المستوى العالي من الحبك النصي سببه اجتماع التقسيم مع التقابل الدلالي.

وتأتي الآية الثانية قريبة من هذه الشاكلة وهي في أنواع الجبال، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَعَرَايِبٌ سُودٌ﴾ [الآية: ٢٧]، يعدّ التقابل بين الألوان نسبياً، فليس للون الواحد مقابل حادّ أكيد بل تدخل في ذلك الاحتمالات، وتتسم الألوان بالخاصية المتغيرة (٦٨)؛ فللون الواحد درجات عديدة ولعلّ مقابلته بلون آخر يشوبها كثير من النسبية فيصعب استحضار المقابل، وقد ذهب بعض القدماء كالرمانى إلى أن البياض ضدّ السواد على الحقيقة، أما باقي الألوان فإنها تقترب من السواد إن قويت فإذا ضعفت اقتربت

من البياض" (٦٩)، وأرى أن السواد ضدّ البياض كما الليل ضدّ النهار وباقي الألوان تجمع بينها علاقة الخلاف وليس التضاد. والجّد: "ذات طرائق وخطوط مختلفة الألوان" (٧٠)، يكمن التقابل بين الجبال ذات الألوان المختلفة الأبيض والأحمر والأسود، وذلك دليل على قدرة الله جلّ وعلا وإبداع هذا الكون ودعوة إلى التفكّر فيه، ويعدّ الاهتمام بالتقابل في مجال الألوان "وسيلة لتحقيق قيم فنية تهدف للتأثير النفسي والمتعة الجمالية" (٧١)، وقد اشترك في هذه الآية التقابل مع التقسيم ممّا شكّل صورة جمالية لها أبعاد دلالية تتمثل في أن الجبال على عظمتها تقسم إلى أنواع بناء على الجدد التي تميزها، وهي ذات ألوان قد تتقابل فيما بينها، ومع ذلك فلا يمكن عدّ الاختلاف من لون إلى آخر -عدا الأبيض والأسود- تقابلاً.

ويجتمع التقابل مع التقسيم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الآية: ٣٢] فالناس أقسام

النهار، والنهار يقابله الليل، وفعل ولوج الليل في النهار يقابل فعل ولوج النهار في الليل، يقول ابن كثير: "وهذا أيضاً من قُدْرته التامة وسلطانه العظيم في تسخير الليل بظلامه، والنهار بضياءه، ويأخذ من طول هذا فيزيده في قصر- هذا فيعتلان، ثم يأخذ من هذا في هذا، فيطول هذا ويقصر هذا، ثم يتقارضان صيفاً وشتاءً"^(٧٣)، فقد شكّل عكس المتقابلات عمقاً دلالياً مكثفاً.

٣-التقابل بين مشهدين:

إن بعض التقابلات التي تمّ ذكرها وقعت جزءاً من تقابل طويل بين مشهدين، فالآيات من (١١-١٣) تحدّثت عن قدرة الله تعالى وعظيم ملكه وسلطانه فهو الذي خلق ويعلم ما في الأرحام، وخلق البحرين وما فيهما من منافع، والليل والنهار، وسخر الشمس والقمر، والمملك كلّ له تعالى، ويقابلها جزء من الآية (١٣) والآية (١٤) تناولت عدم قدرة ما يعبد من غير الله على فعل أي شيء، فهم لا يملكون أنفثه الأشياء وقاصرون عن سماع الدعاء وإجابته؛ فبتجميع التقابلات المنفصلة

ثلاثة متقابلة؛ (ظالم لنفسه- مقتصد- سابق بالخيرات) وهو تقابل نسبي متدرج تتعدّد فيه الاحتمالات التقابلية، ولا يتزامن وجود أحد هذه المتقابلات مع الآخر، فالظالم لا يكون سابقاً بالخيرات، ويتفاضل الناس عند الله تعالى بناء على ذلك، لذا يلفت كلّ من التقسيم والتقابل إلى هذه المفاضلة وفيه تنبيه من غفلة القلوب.

وقد يقع التقابل في بنية العكس أو التبديل، وهو تقديم المتأخر من الكلام وتأخير المتقدم^(٧٤)، وبكون اللفظان متقابلين يتم تقديم المقابل الثاني وتأخير الأول في الجملة ذاتها، فيحدث عندئذ تبدل في المواقع وتغاير في المعنى، وورد ذلك في سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الآية: ١٣]؛ إذ يتضح من البنية السطحية وجود تكرار لفظي بين المفردات وتغاير مكاني، غير أن تمحيص النظر فيها يكشف عن العمق التقابلي بين الطرف الأول والثاني، فالجملة الأولى (يولج الليل في النهار) بألفاظها وترتيبها، تقابل الجملة الثانية بألفاظها وترتيبها، فالليل يقابله

والمتعددة معاً نتج تقابل بين مشهدين طويلين.

وثمة مشهدان تقابليان آخران بين نعيم أهل الجنة وثوابهم وعذاب أهل النار وجزائهم، يقع المشهد الأول في الآيات من (٣٣) إلى (٣٥) في قوله عز وجل: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاورٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ ﴿٣٥﴾، أما مشهد العذاب ففي الآيات من (٣٦) إلى (٣٧) في قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ﴿٣٧﴾، نجد في هذين المشهدين تكثيفاً دلالياً تتابع فيه الكلمات لتحقيق عمق دلالي متكامل وموازنته أو مقابله بمشهد

آخر له العمق الدلالي ذاته، وطول المشهدين متقارب نوعاً ما، أما المشهد الأول فيكتنه أمرين: ١- وصف ما يتنعم به أهل الجنة من حلي ولباس من حرير. ٢- وصف الوضع السيكولوجي الذي يعيشونه، المتمثل بالحمد الدال على أعلى درجات الارتياح؛ وذلك بغياب الحزن والنصب والتعب من حياتهم. ويتضمن المشهد الثاني ثلاثة أمور: ١- وصف ما وقع فيه أهل النار من عذاب وسوء عاقبة فهم ليسوا بالأحياء ولا الأموات ويصطرخون من شدة العذاب. ٢- وضعهم السيكولوجي مرعب وهم يعيشون بندم على ما فعلوا. ٣- تقرير من الله لهم على كفرهم وقد تحققت لهم سبل الهداية.

يتعين التقابل في الأمرين الأول والثاني في المشهدين، أما الأمر الثالث فاقصر على المشهد الثاني كونه ضرورة للوم الكافرين على تقصيرهم، ففيه عنصر الحوار مع الذات الإلهية دون أهل الجنة في المشهد الأول، وهذه المناظرة المشهدية بين الفريقين صنعت حبكاً نصياً وتضمنت في فحواها دلالات عميقة، ففيها يتبين

عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿[الآية: ٨] فثمة مقابلة الإيجاب بالسلب في جملة (إنَّ الله عليم بما يصنعون) ويتأول منها (وأنت لست عليمًا بما يصنعون) فعدم علم الرسول ﷺ بصنيع البشر يوقع الحسرة في نفسه عليهم إن كانوا في ضلال وخيبة؛ لذا جاءت الآية تُخَفِّفُ عن الرسول بأنهم يستحقون الجزاء لعلم الله المطلق بصنيعهم وغياب هذا العلم عنه ﷺ.

وفي بعض التقابلات المباشرة - وسبق أن ذكرناها- يمكن استنباط مقابلات ضمنية منها تُضفي دلالة أعمق وتُعطي تكتيفًا ملحوظًا في الدلالة، وذلك في الآية: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [الآية: ١٤]، فإن كان التقابل المباشر دالًّا على ما في هذه الآلهة من ضعف فإن التقابل الضمني يمنح المعنى معنى آخر يركّز على قُدرة الله تعالى؛ حتى يفيق المشركون من غفلتهم، فجملة (لا يسمعوا دعاءكم) يقابلها ما تأويله (والله يسمع دعاءكم)، ويؤول المقابل لجملة (ولو سمعوا ما

جزاء كل فريق حسب عمله في الدنيا فمن يعمل صالحًا يلقَ راحة وطمأنينة ويحَفُّه النعيم، وفي المقابل من يكفر ويتعدّد حدوده يَلَاقَ بعذاب جسماني ونفسي مرعب.

ثالثًا: التقابل الضمني:

يعتمد هذا التقابل على الخاصية التأويلية؛ إذ يستنبط من النص ولا يذكر مباشرة، فينبني على قراءة واعية متأنية، ويمكن تأويل التقابل في بعض المواضع من سورة فاطر، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الآية: ٥] فجملة ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ تَضمُر بين ثناياها أَنَّ وعود ما سواه ليست بالحق، ومن تتمّة الآية يكتمل التأويل فيقابلها: الوعود الدنيوية كلّها زائفة وواهية. وأهمية التقابل هو حمله دلالات مهمة تفيد المصلحة الإنسانية فلا ينبغي الالتفات إلى أي وعود أو أمان لأنّ الله وعد ووعدته حقّ وصدق وأمان.

وجاء أيضاً في قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ

استجابوا لكم) ب (والله يستجيب لكم)، والجملة الثالثة في الآية: (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) لها مقابل ضمني مفاده (والله يحسن إليكم بإيمانكم)، فهذه ثلاثة مقابلات ضمنية اقتضاها المعنى، ففي الآيات السابقة لهذه الآية يتكلم الله عن عظمة ملكه سبحانه وعدم امتلاك الآلهة من قطمير، أما استجابة الله إلى الدعاء فلم تذكرها الآيات لوجودها ضمناً في فحوى هذه الآية.

ويمكن تأويل عدد من الآيات التي تحمل معنى ضمناً قد لا يعدّ ذا أهمية كبيرة غير أنّ دلالاته مهمة، كما جاء في قوله تعالى عن المؤمنين المنفقين في السر والعلانية: (يرجون تجارةً لن تبور) وتخرج الآية بمعنى أنّ تجارة الآخرة ناجحة ومضمونة، ويقابلها في ذلك أن تجارة الدنيا ليست مضمونة وهي معرضة للكساد والفساد والبور، وهنا دعوة إلى اغتنام هذه الفرصة المربحة قليلة التكلفة، فالمقابلة الضمنية هي بين تجارة الآخرة التي لن تبور أبداً، وتجارة الدنيا التي قد يعتريها البوار والهلاك في أي لحظة.

وقريب من هذا التأويل ما جاء في نعيم الجنة على لسان المؤمنين: (لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) وقد سبق القول في التقابل المباشر، أما ضمناً فكأنهم ينقمون الدنيا على ما فيها من لغوب وتعَب وعناء ومشقة، فالتقابل الضمني يوازن بين حياة المُنعَمين في الجنة وحياة أهل الدنيا؛ لذلك جاء السياق القرآني ينفي هذه المشقات من الجنة لوجودها في الدنيا وبغرض الموازنة، على حين لو لم تقصد الموازنة لجاءت بصورة تقريرية تصف نعيم الجنة حسب، وكذلك الأمر في الموضع السابق.

ويمكن استنباط من قوله تعالى: ﴿فَذَوْقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ما يقابل (الظالمين) وهم (المظلومون) وبين ثنائية (الظالم- المظلوم) تقابل اشتقاقي دلالي، وقد قرع الله الكافرين على عدم اتّباعهم الدين على الرغم من إمدادهم بالعمر الطويل وإنذارهم بالرسل عليهم السلام، فهم بذلك ظالمون لأنفسهم وليس لهم من نصير، يقابل ذلك ضمناً بأنهم لو كانوا مظلومين لنصرهم الله.

يعنى بالمتقابلين سواء تخالفا أم تماثلاً وهذا أدخل التضاد والتماثل ضمن حدود التقابل، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد إنما يتعدى إلى ما وراء النص فيدخل فيه التأويل والمقابلات الضمنية ما ذهب بالتقابل ليكون أهم العلاقات الدلالية.

وتمخض عن الدراسة التطبيقية في سورة فاطر أن التقابل الدلالي قد توغل في أعماقها، وعُدَّ المحور الرئيس الذي تستند إليه في تكوين دلالتها العامة؛ إذ تبين أنه يختزل المعنى في أغواره، فالتقابل سواء على مستوى الألفاظ أو التراكيب، ثنائي البنية أو متعددها اكنه عمقاً دلالياً وأشار إلى دلالات واسعة بألفاظ أو جمل مختزلة، فأكثر هذه التقابلات دلت على موازنة بين المؤمنين والكافرين أو نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، أو موازنة بين ملك الله تعالى وملك ما يعبد من دونه، وهي موازنات مظهرت بصورة التقابل الدلالي فكانت الصورة الظاهرة جمالية وحابكة نصية والصورة الباطنة تحمل معاني أكبر مما يظهر، وبدا التقابل أيضاً في صيغة ضرب المثل وتقريب الصورة من ذهن القارئ، وخرجت

وثمة تقابل ضماني في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَهُمُ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ﴾ [الآية: ٤٠]، تنفي هذه الآية أن يكون للآلهة أي ملك من الأرض أو من السماوات، ويقابلها ضمناً أن الله هو مالك الملك وفاطر السماوات والأرض ومُنزل الكتب على رسله.

فبالوقوف عند التقابل الضماني تتعمق الدلالة وتتسع دائرة المعنى، فيستبين ما في الآيات من موازنة ومناظرة، فقد تحمل الآية دلالتين: ظاهرة أو مباشرة يقف عليها القارئ وخفية أو ضمنية تُستشف بقليل من التأني في القراءة.

خاتمة:

يتبين من هذه الدراسة أن التقابل الدلالي عنصر محوري في النصوص اللغوية، لما يمتاز به من شمول واتساع وإسهام متناه في حبك النص، فهو لا يقتصر على المقابلة بين نوعين لغويين، إنما يشمل مقابلة بين مفردات أو تراكيب ما جعله يشتمل على علاقات الطباق والمقابلة، وهو

أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م، مادة (قبل)، ١٧٩٧/٥.

(٦) ابن سيده، علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، مادة (قبل)، ٤٢٩/٦.

(٧) الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، ط١، ٢٠٠١، ٨٠/١٤.

(٨) الجوهرى، الصحاح، مادة (وجه)، ٢٢٥٥/٦.

(٩) ابن جعفر، قدامة (٣٢٧هـ)، نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ١٤١.

(١٠) المرجع السابق، ١٤١.

(١١) العسكري، أبو هلال (٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٥٢م، ٣٣٧.

(١٢) ينظر: العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، ٣٣٧.

(١٣) القيرواني، ابن رشيق (٤٦٥هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، وزارة الثقافة، عمان، د.ط، ٢٠١٢م، ٢٢/٢.

(١٤) ابن الأثير، ضياء الدين (٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، د.ط، ١٩٣٩م، ٢٨٠/٢.

(١٥) ينظر: ابن جعفر، قدامة، نقد الشعر، ١٦٢.

مقابلات أخرى بدلالة الجزاء من جنس العمل إذ تُقابل النتيجة بعمل العبد، وقد وُجدَ التقابل في التماثلات الدلالية على غرار المُتضادات ولكن بصورة قليلة جداً، وفي المُقابلات الضمنية على شاكلة المُباشرة، أما أنواع التقابل التي وردت في السورة فكانت التقابل المتدرج، ويليهِ كل من التضاد الحاد أو (التباين) والتقابل الانعكاسي، وآخر هذه التقابلات هو التقابل الامتدادي.

الهوامش:

(١) ينظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود (٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، ٥٩٥/٣.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، مادة (فطر)، ٥٦/٥.

(٣) أفاض الدكتور أحمد الجنابي في الحديث عن المتقابلات في الكون وفي جسم الإنسان ونفسه، للاستزادة ينظر: الجنابي، أحمد نصيف، ظاهرة التقابل في علم الدلالة، مجلة آداب المستنصرية، ١٩٨٤م، ع ١٠، ١٧-١٩.

(٤) ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٧٩م، مادة (قبل)، ٥١/٥.

(٥) الجوهرى، إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق:

- (١٦) ينظر: ابن الأثير، ضياء الدين، ٢/٢٨٠، و٢/٢٩٧.
- (١٧) العلوي، يحيى بن حمزة (٧٠٥هـ)، الطراز، تحقيق: عبدالحميد هندأوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ٢/١٩٧.
- (١٨) ابن المعتز، أبو العباس عبدالله (٣٩٩هـ)، البديع، شح وتحقيق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، ٥٨.
- (١٩) ينظر: الساحلي، منى علي، التضاد في النقد الأدبي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، د.ط، ١٩٩٦م، ١٦٥، و٢٣١.
- (٢٠) بالمر، أف، آر، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، بغداد، د.ط، ١٩٨٥م، ص١٠٩.
- (٢١) ينظر: - لاينز، جون، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، وحليم فالح، وكاظم باقر، مطبعة جامعة البصرة، د.ط، ١٩٨٠م، ٩٩.
- يول، جورج، معرفة اللغة، ترجمة: محمود فراج عبدالحافظ، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، د.ط، ١٩٩٨م، ١٣١.
- (٢٢) بالمر، علم الدلالة، ١٠٩، وليونز، علم الدلالة، ٩٩، وكروز، د.آ، اللغة والمعنى ومعنى الكلمة: علم الدلالة، الموسوعة اللغوية، ترجمة: محيي الدين حميدي، وعبدالله الحميدان، الموسوعة اللغوية، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، د.ط، ١٤٢٠هـ، ١٥٩/١ و Cruse. D.A, (1986) Lexical Semantic, Cambridge University press, New York, p.204.
- (٢٣) بالمر، علم الدلالة، ١١١، لاينز، علم الدلالة، ٩٨، كروز، اللغة والمعنى ومعنى الكلمة، ١٥٨.
- (٢٤) لاينز، علم الدلالة، ٩٨.
- (٢٥) يول، معرفة اللغة، ١٣١.
- (٢٦) الجنابي، ظاهرة التقابل في علم الدلالة، ١٥.
- (٢٧) خليل، حلمي، الكلمة. دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٢، ١٩٩٦م، ص١٤٨.
- (٢٨) المصري، ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ)، بديع القرآن، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، نهضة مصر- للطباعة والنشر- والتوزيع، مصر- د.ط، ١٩٥٧م، ٣١-٣٢.
- (٢٩) لقد خرج بعض المحدثين إلى تعريف للتقابل الدلالي اعتمدوه في دراساتهم، فأتخذ الدكتور فايز القرعان تعريف كل من ابن الأثير ويحيى العلوي للمقابلة أساساً لمفهومه الخاص لتقابل والتماثل؛ إذ يقومان في الأصل على مواجهة التقابلات أو التخالفات أو التماثلات. ينظر: القرعان، فايز عارف، التقابل والتماثل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، جدارا للكتاب العالمي، عمان، عالم الكتب الحديث، اربد، ط١، ٢٠٠٦م، ٩٣.
- وقد توصل كذلك عماري عز الدين إلى أن التقابل لا يقوم أساساً على علاقة التضاد وحدها، وإنما قد تنضوي تحته مجموعة من العلاقات الأخرى كالتماثل والخلاف، ووجد أن التقابل مفهوم عام يندرج تحته كل من الطباق والمقابلة. ينظر: عز الدين، عماري، أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم، دراسة أسلوبية (أطروحة ماجستير)، جامعة الحاج لخضر باتنة، جمهورية الجزائر، ٢٠٠٩-٢٠١٠، ٦٠.
- (٣٠) الحلوة، نوال، التقابل الدلالي، دراسة نظرية تطبيقية على سورة النساء، مجلة علوم

(٤٣) ينظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م، ١٠٢-١٠٥.
والخولي، محمد علي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، ٢٠٠١م، ١١٦-١٢٥.

(٤٤) عبدالمطلب، محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، ٣٥٥.

(٤٥) هذا تقسم الباحث عماري عز الدين في دراسته الأسلوبية، لكنه جعل البنية البسيطة معنية بالألفاظ دون الجمل، أما البنية ثنائية التقابل عندي فهي تشمل الألفاظ والجمل بشرط عدم تعدد المقابلات في كل جملة. ينظر: عز الدين، عماري، أسلوب التقابل في الربع الأخير من القرآن الكريم، ٦٢.

(٤٦) ينظر: الحلوة، نوال، التقابل الدلالي في سورة النساء، ١٤٧.

(٤٧) مخلوف، حسنين محمد، كلمات القرآن تفسير وبيان، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، المملكة العربية السعودية، د.ط، ١٩٩٥م، ٢٤٨.

(٤٨) الزمخشري، جار الله أبو القاسم، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٦٠٨/٣.

(٤٩) قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى ذكره: وما يستوي الأعمى عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمداً ﷺ والبصير الذي قد أبصر فيه رشده، فاتبع محمداً وصدقته"، الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٥٦/١٩.

(٥٠) ينظر: القرعان، فايز، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ٢٥.

(٥١) يقابل هذا النوع من التقابل مصطلح التضاد عند سعيد أبو خضر ومن سبقه من المحدثين الغرب من اللغويين الذين جعلوه

اللغة، جامعة أم القرى، مج ٩، ع ٢، ٢٠٠٦م، ١٤١.

(٣١) عيد، رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط٢، د.ت، ٤٦٧.

(٣٢) المرجع السابق، ٤٦٧.

(٣٣) بازي، محمد، تقابلات النص وبلاغة الخطاب، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ١٠٧.

(٣٤) المرجع السابق، ١٠٧.

(٣٥) ينظر: عبد المجيد، جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٨م، ١٢٤.

(٣٦) ينظر: مصلوح، سعد، نحو آجرومية للنص الشعري، مجلة فصول للنقد الأدبي، مج ١٠، ع ٢٠١، يوليو- أغسطس، ١٩٩١م، ١٥٤.

(٣٧) عبدالمجيد، جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ١٥٢.

(٣٨) ينظر: مصلوح، سعد، نحو آجرومية للنص الشعري، ١٥٤.

(٣٩) عبدالمطلب، محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د.ط، د.ت، ٣٥٠.

(٤٠) ينظر: القرعان، فايز عارف، التقابل والتماثل في القرآن الكريم، ٢٥.

(٤١) ينظر: العلوي، يحيى، الطراز، ١٩٧/٢-٢٠١.

(٤٢) أبو خضر، سعيد جبر، التقابلات الدلالية في العربية والإنجليزية تحليل لغوي تقابلي، عالم الكتب الحديث، اربد/ الأردن، ط١، ٢٠٠٤م، ١٦-٢٧.

(٦١) العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين، ٣٤١.

(٦٢) المصري، ابن أبي الأصبع، بديع القرآن، ٦٦.

(٦٣) عبدالمجيد، جميل، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ١٦١.

(٦٤) الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف، ٦٠٥/٣.

(٦٥) مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، د.م، ٤، ٢٠٠٤م، مادة (أج)، ٦.

(٦٦) الزمخشري، أبو القاسم جار الله، ٦٠٥/٣.

(٦٧) ينظر: المرجع السابق، ٦٠٤/٣.

(٦٨) ينظر: نهر، هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠٠٧م، ٥٤٩.

(٦٩) ينظر: القيرواني، ابن رشيقي، العُمدَة، ١٨.

(٧٠) مخلوف، حسنين محمد، كلمات القرآن تفسير وبيان، ٢٥٠.

(٧١) الساحلي، منى، التضاد في النقد الأدبي، ٢١٥.

(٧٢) ينظر: القزويني، الخطيب، والمغربي، ابن يعقوب، والسبكي بهاء الدين، شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٤، ٣١٨.

(٧٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير

القرآن العظيم، ٤٧٨/٦.

تقابلاً أو تضاداً، غير أنني لن أستخدم مصطلحي التضاد أو التقابل للدلالة على التدرج، لما يحدثه هذا الأمر من خلط ولبس في التسميات، بل إنني أفضل تسميته بالتقابل المتدرج أو النسبي.

(٥٢) سورة الأنعام: ١٥٣، ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ)، أحكام أهل الذمة، تحقيق: يوسف البكري، شاكر العاروري، رمادي للنشر، الدمام، ط ١، ١٩٩٧م، ٨٣٧/٢.

(٥٣) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم جار الله، الكشاف، ٦٠٨/٣.

(٥٤) الشوكاني، محمد بن علي (١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ، ٣٩٦/٤.

(٥٥) ينظر، الفراء، أبو زكريا، يحيى (٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد النجاشي، محمد النجار، عبد الفتاح الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط ١، د.ت، ٣٦٩/٢.

(٥٦) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ٣٩٦/٤.

(٥٧) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ٣٣٣/١٩.

(٥٨) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ٣٣٧/١٩.

(٥٩) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٤٧٦/٦هـ ١٤١٩.

(٦٠) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ٣٥٣/١٩.

□ تصور مقترح لوقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني

د. معلوي بن عبدالله الشهراني*

تاريخ الوصول: ٢٠١٩/١/١٣ م

تاريخ القبول: ٢٠١٩/٣/٥ م

الملخص

تهدف الدراسة إلى وضع تصور مقترح لوقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني، وقد تم تطبيقها على عينة عشوائية، عددهم ٢١٣ مفردة من طلبة جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض كلية العلوم والاتصال - قسم الإعلام. وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، أما أدوات الدراسة فكانت الاستبانة. ومن نتائج الدراسة أن العوامل المؤدية إلى ارتكاب جرائم الإرهاب السيبراني: سهولة استخدام الإنترنت وقلة تكاليفه وجهل بعض الشباب استخدام المواقع الإلكترونية واستغلال عواطفهم لأفكار ضالة ومضللة، ومن المخاطر الأكثر انتشاراً عبر المواقع الإلكترونية: الانحراف الديني، مثل نشر- مقاطع للتنصير والترويج للإلحاد، والانحراف الأخلاقي، مثل التشجيع على التدخين والمساعدة على تجارة المخدرات وتهريبها وتصنيعها. ومن متطلبات وقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني: تشجيع الشباب على الاعتدال في فهم الإسلام وحسن الجوار واحترام الآخر إلكترونياً، وتمكين الشباب من ممارسة الحوار البناء وأساليب التواصل الإلكتروني الأمثل مع الآخرين.

ومن أهم التوصيات: تفعيل عمليات التبادل التربوي والاجتماعي بين الجامعات داخلياً وخارجياً في ما يخص الفكر الوسطي لتنشيط ثقافة إخصائي وحدات الأنشطة الطلابية، ومضاعفة الجهود داخل الجامعة وخارجها للإسهام الإيجابي في شغل وقت فراغ الشباب ودعوة الجامعات إلى إنشاء مراكز أبحاث وطنية تعتمد على الشبكات الاجتماعية تُعنى بدراسة مظاهر الغلو والتطرف والانحراف الإلكتروني لدى الشباب الجامعي.

الكلمات المفتاحية: تصور مقترح - الشباب الجامعي - مواقع التواصل الاجتماعي - مخاطر الجرائم - الإرهاب السيبراني.

* أستاذ مشارك، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

Abstract

The study aims to develop a proposed visualization for protecting university youth against the dangers of cyber terrorism crimes. It was applied to a random sample of (213) students from King Saud University and Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University in Riyadh, Media and Communications College, Media Department. The descriptive analytical method was used in conducting this study, using a questionnaire as the instrument of the study. The study findings revealed that the factors leading to committing cyber terrorism crimes are: the easiness of using the Internet and its low costs, the ignorance of some youth in browsing websites, and the exploitation of their emotions for the benefit of misleading and misguiding thoughts. It also indicated that among the most prevalent risks through websites are: religious deviation such as posting Christianization videos and promoting atheism in addition to moral deviation such as encouraging smoking and assisting in trading, smuggling and manufacturing of drugs. The researcher revealed some requirements for protecting university youth against the dangers of cyber terrorism crimes which include: encouraging the youth to be moderate in their comprehension of Islam, maintaining good neighborly relations, and respecting others electronically. Moreover, the youth should be empowered to practice constructive dialogue and optimal methods of electronic communication with others. The researcher concluded the study with few recommendations; the most salient are: activating educational and social exchange processes among universities internally and externally in relation to moderate thought in order to revitalize the culture of the specialists of students' activities units. Moreover, the researcher recommended redoubling the efforts inside and outside the university in order to contribute positively in occupying the leisure time of the youth. In addition, universities should be called to establish national research centers that depend on social networks and focus on studying the phenomena of extremism and electronic deviation among university youth.

Keywords: Cyber Terrorism, Dangers of Crimes, Proposed Visualization, University Youth, Social Media Sites.

مجلة ألمشك أنذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية

مثل موقعي « Facebook, Twitter»؛ أو من خلال ما ينشأ عليها يومياً من مجموعات، وينتشر- من معلومات تساعد في تلبية الاحتياجات المختلفة للأفراد للاتصال بالآخرين، والحصول على المعلومات، وتكوين الصداقات والعلاقات.. وما إلى ذلك، بعيداً عن الاتصال المباشر بالعالم الخارجي.

مشكلة الدراسة

إن التنظيمات الإرهابية عملت على استغلال وسائل التواصل الاجتماعي في التغلب على عقول الشباب من خلال نشر الأفكار الهدامة المؤدية إلى التطرف والإرهاب، وذلك باستغلال ما توفره الشبكة العنكبوتية من خصائص يصعب الكشف عن مرتاديهـا ومستخدميها، وبهذه الخصائص أصبحت إمكانية قيام هذه الجماعات الإرهابية بشن هجمات إلكترونية على الكثير من الدول، للوصول إلى البني التحتية بجميع أشكالها، وبهذا أصبح الإرهاب الإلكتروني من أخطر أنواع الإرهاب، لسهولة استخدامه، واختراقه عبر الحدود المكانية والزمانية.

ولقد اهتمت العديد من الدراسات السابقة بظاهرة جرائم الإرهاب الإلكتروني، من هذه الدراسات: دراسة «شحاتة، ٢٠١٥م»، التي هدفت إلى التعرف إلى جرائم الإرهاب الإلكتروني وبينت خطورته وخصائصه ووسائله وأسبابه وآثاره، وحكمة وكيفية معالجة الشريعة له، كما بينت الجهود الدولية في التصدي للإرهاب الإلكتروني. وقد أثبتت الدراسة أن جرائم الإرهاب الإلكتروني حرمتها الشريعة الإسلامية من باب تحريم الإرهاب بكل أشكاله وأنواعه، وأكدت أن أهم وسيلة لمحاربته هي نشر- الأفكار الصحيحة، وأن الإسلام سبق كل القوانين في محاربة التطرف والإرهاب. كما بينت الدراسة قيام المملكة العربية السعودية بجهود جبارة في مكافحة جرائم الإرهاب الإلكتروني. وقد أوصت الدراسة بضرورة حجب المواقع الضارة التي تدعو إلى الفساد والشر والعمل على نشر مخاطر جرائم الإرهاب الإلكتروني.

كما هدفت دراسة «حنبظاه، ٢٠١٥م»^(٣) إلى توضيح مفهوم الجريمة الإلكترونية وتأثيرها على الناحية

الاقتصادية وعلى أخلاقيات المجتمع. وقد أوصت الدراسة بضرورة حجب المواقع الضارة التي تدعو إلى الفساد والشر، ومنها المواقع التي تدعو إلى الإرهاب الإلكتروني والعدوان والاعتداء على الآخرين بغير حق، مع ضرورة إدخال مادة دراسية في الكليات، خاصة كليات الشريعة والأنظمة والمعهد العالي للقضاء في المملكة العربية السعودية، تُعنى بالجرائم المعلوماتية وعقوبتها، وأمن المعلومات، ودراسة جرائم الجوالات المزودة بكاميرا وبتقنية حديثة أياً ما كان نوعها دراسةً مستقلةً، حتى تكون لديهم المعرفة والقدرة على التعامل مع الجرائم الإلكترونية.

أما دراسة «بن نحيّا، ٢٠١٥م»^(٤)، فقد تناولت الأبعاد الأمنية للتغريدات المسيئة في «تويتر» وتأثيراتها على شباب دول مجلس التعاون الخليجي. وقد أوصت الدراسة بضرورة قيام دول مجلس التعاون الخليجي بإنشاء مركز إعلامي موحد، من مهامه: إبراز الحقائق وسرعة التفاعل في تفنيد الشائعات ودحضها على وسائل التواصل الاجتماعي، مع ضرورة سنّ

التشريعات والقوانين التي من شأنها مواكبة تطورات الجريمة التي قد تقع من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، مع إنشاء مركز حقوقي موحد يتولّى رفع الدعاوى على المخردين المسيئين في «تويتر» لدول مجلس التعاون الخليجي لملاحقتهم قضائياً في الداخل أو الخارج.

وهدفّت دراسة «الشمّراني، ٢٠١٤م» إلى التعرف إلى دور إساءة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في الإخلال بالأمن والترويج للإرهاب الإلكتروني والفكر المنحرف وسبل الوقاية والمواجهة. وقد أوصت بضرورة نشر الوعي، خاصة بين فئة الشباب (ذكوراً وإناثاً) والحذر من خطورة التواصل مع مجهولي الهوية والفكر والأخلاق عبر هذه المواقع، الذين يهدفون إلى جذبهم نحو أفكارهم أو إلى تنفيذ رغباتهم، مع ضرورة التركيز على البعد الأخلاقي والفكري لشبكات التواصل الاجتماعي وتنمية الانتماء الوطني والإحساس بأهمية الأمن والأمان في الوطن، خاصة لفئتي الشباب والمراهقين.

كما أكدت دراسة «مركز بيو

للأبحاث، ٢٠١٦م»^(٥) أن ٨٩% من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢٩ سنة يستخدمون شبكات التواصل الاجتماعي، وتسمح منصات مثل «فيسبوك» و«تويتر»، وحتى «يوتيوب»، لدعاية التنظيمات الإرهابية بالوصول إلى جميع أنحاء العالم في الوقت نفسه؛ حيث يرسل التنظيم على نحو متزايد عبر مواقع الإنترنت صوراً وملفات فيديو ذات جودة عالية وتتضمن تأثيرات بصرية، كما يتم تنفيذ ما يقرب من ٩٠% من الإرهاب المنظم على الإنترنت اليوم من خلال الإعلام الاجتماعي؛ حيث تجند المنظمات الإرهابية عن طريق هذه الشبكات الاجتماعية الأفراد، وتقوم بإرسال طلبات الصداقة وتحميل الفيديوهات وإطلاق الألعاب الإلكترونية وغيرها، والأمثلة كثيرة، كما تستخدم المنظمات الإرهابية الإعلام الاجتماعي أيضاً للحصول على معلومات حول الأعداء من خلال مراقبة أنشطة الجنود على الشبكات الاجتماعية (Arab media, 2016, p.98).^(٦)

ولقد تطورت الجرائم الإرهابية السيبرانية بدوافع مختلفة، محدثةً

أضراراً بالغة في الأرواح البشرية البريئة وتدمير البنية التحتية بجميع أنواعها للدول المستهدفة وتجنيد وتمويل الإرهابيين ونشر- الفيروسات، وتقديم محاضرات مجانية مباشرة في كيفية صنع المتفجرات والقنابل والغازات السامة... وعلى هذا الأساس فلا بدّ من التصدي لظاهرة الإرهاب السيبراني، عن طريق تغيير في ذهنيات وعقليات الشباب الجامعي، وفي البنية الثقافية ككل. ويحسب للمملكة العربية السعودية سبق في مواجهة جرائم الإرهاب السيبراني وإضعاف الهالة الإعلامية الإلكترونية للتنظيمات الإرهابية؛ حيث فتحت المملكة المجال لفريق عمل في عام ٢٠٠٣م للعمل في مواجهة ومكافحة الإرهاب فكرياً ومعلوماتياً عبر الإنترنت، وأسندت الإشراف على هذا الفريق إلى وزارة الشؤون الإسلامية، مع الإبقاء على استقلاليتهم وتطعيمهم بمختصين في مختلف الفنون المعنية بالمعالجة والمواجهة، وأطلق على المشروع اسم «حملة السكينة» التي انطلقت كحملة شعبية من مجموعة مهتمين بمواجهة الإرهابيين والرد على شبهاتهم لحماية

الشباب الجامعي. من هنا يلزم تأكيد أهمية وقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني وأهمية أمن الوطن والمواطن وإنقاذ الأبرياء من الشباب الذين غرر بهم للالتحاق بالتنظيمات الظلامية، في إطار تشخيص وفهم لسياق الأوضاع المجتمعية الراهنة، محللاً ومفسراً ومقدماً إجابات عن سؤال البحث الرئيس: ما التصوّر المُقترح لوقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني؟ تساؤلات الدراسة:

وينبثق من التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية التالية:

- ١- ما مفهوم الإرهاب السيبراني؟
- ٢- ما العوامل المؤدية إلى ارتكاب جرائم الإرهاب السيبراني؟
- ٣- ما مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني الأكثر انتشاراً عبر المواقع الإلكترونية؟
- ٤- ما آليات ضبط استخدام الشباب الجامعي للمواقع الإلكترونية للوقاية من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني؟

- ٥- ما متطلبات وقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني؟
 - ٦- ما التصوّر المُقترح الذي يسهم في وقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني؟
- أهداف الدراسة:**

- ١- التعرف إلى مفهوم الإرهاب السيبراني.
- ٢- التعرف إلى العوامل المؤدية إلى ارتكاب جرائم الإرهاب السيبراني.
- ٣- معرفة مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني الأكثر انتشاراً عبر المواقع الإلكترونية.
- ٤- التعرف إلى آليات ضبط استخدام الشباب للمواقع الإلكترونية للوقاية من مخاطر الإرهاب السيبراني.
١. التعرف إلى متطلبات وقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني.
٢. وضع تصوّر مُقترح يسهم في وقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني.

أهمية الدراسة:

١- الأهمية النظرية:

أ- تزايد نسبة جرائم الإرهاب السيبراني (جرائم تصنيع المتفجرات عبر المواقع الإلكترونية - جرائم اختراق الشبكات وأجهزة الحاسب - جرائم التحريف والتزوير - جرائم السرقة والاختلاس والنصب الإلكتروني - الجرائم الأخلاقية - بث مواد وأفكار ذات اتجاهات هدامة ومعادية للدين - التجسس الإلكتروني).

ب- زيادة ظاهرة التطرف والانحراف الفكري الضال عبر شبكات التواصل الاجتماعي والإرهاب الإلكتروني، مع تزايد الحراك المعرفي والتواصل التقني بين الدول، وتنامي الأفكار والمضامين السلبية عبر المواقع الإلكترونية، وتجنيد وتعبئة بعض الشباب العربي من قبل التنظيمات الإرهابية.

ج- تكمن أهمية الدراسة الراهنة في كونها تطرح موضوعاً في غاية الأهمية، هو تصوّر مقترح لوقاية الشباب الجامعي من جرائم الإرهاب السيبراني؛ حيث درجت عادة الدراسات السابقة في هذا المجال على الاهتمام بوقايتهم في مجالات الأمن

الفكري والانحراف والتطرف والإرهاب التقليدي، ونادراً ما اهتمت بجرائم الإرهاب السيبراني لحدوثها، وبذلك تأتي هذه الدراسة لتقديم تصوّر يمكن تطبيقه على أرض الواقع بالجامعات السعودية من أجل الارتقاء بالأداء نحو وقاية الشباب الجامعي من جرائم الإرهاب السيبراني.

٢- الأهمية التطبيقية:

أ- تنمية الوعي الأمني للشباب الجامعي السعودي؛ لوقايتهم من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني. ويؤكد «الشاعر» أهمية تزويد الشباب بالثقافة الأمنية في ضوء غياب المناعة الفكرية، وسهولة استقطاب هؤلاء الشباب من الجماعات الخارجة عن القانون^(٧).

ب- إن لهذه الدراسة أهميتها، لما قد تُسفر عنه من نتائج يأمل الباحث أن يستفيد منها الشباب الجامعيون أنفسهم، وأولياء أمورهم، والقائمون على التعليم الجامعي، من مسؤولين وإداريين في الجامعة وأعضاء هيئة التدريس فيها، والقائمون على التخطيط والمنهاج الدراسية، والقائمون على الوزارات المعنية بأمور

حدود الدراسة:

- ١- الحدود الموضوعية: اقتصرَت الدراسة على وقاية الشباب الجامعي من جرائم الإرهاب السيبراني.
- ٢- الحدود البشرية: تتكوّن الحدود البشرية من طُلّاب الجامعة منتسبي كليات جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية العلوم والاتصال - قسم الإعلام.
- ٣- الحدود المكانية: تتكوّن الحدود البشرية من وحدات الأنشطة الطلابية من بعض كليات جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية العلوم والاتصال - قسم الإعلام.
- ٤- الحدود الزمانية: فترة الترم الصيفي لطلاب مرحلة البكالوريوس، ١٤٣٩هـ.

مفاهيم الدراسة:

- ١- مفهوم الوقاية: أ- الوقاية في اللغة «مأخوذة من الفعل وقى، بمعنى الحماية والحفاظ، يقال: وقاه الله أي حماه وحفظه من كل سوء»^(٨).
- ب- أما تعريف الوقاية في الاصطلاح فقد عرفها «أبو حسان

الشباب في عمل برامج لاستغلال طاقات هؤلاء الشباب في ما ينفعهم ويقيهم من جرائم الإرهاب السيبراني. ج- إن مجتمعنا السعودي في أمس الحاجة إلى مثل هذه البحوث والدراسات التطبيقية؛ حيث إنها تُعتبر الدراسة التطبيقية الأولى (حسب علم الباحث) في مجال وقاية الشباب الجامعي من جرائم الإرهاب السيبراني؛ نظراً لتزايدها في السنوات الأخيرة مع انتشار شبكات التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية التي تُسهم في تزايد ظاهرة الإرهاب السيبراني، والدراسة الحالية تضع تصوّراً استراتيجياً يمكن أن تسترشد به الجامعات السعودية نحو وقاية الشباب الجامعي من جرائم الإرهاب السيبراني.

د- استرشاد الجهات ذات العلاقة بالتخطيط للتعليم العالي وعمادات البحث العلمي ومراكز البحوث العلمية والمؤسسات الأمنية التربوية في المملكة العربية السعودية لتلافي أوجه القصور لديها بخصوص وقاية للشباب الجامعي من جرائم الإرهاب السيبراني والاستفادة من نتائج الدراسة الحالية وتوصياتها.

بأنها «كل عمل أو إجراء يؤدي إلى التقليل أو الحد من الشروط والظروف التي تؤدي بالأفراد إلى اتباع سلوكيات منحرفة»^(٩).

ويمكن تحديد التعريف الإجرائي للوقاية بما يلي:

جملة من المبادئ والقيم الثقافية الأمنية التي يمكن تطبيقها في الجامعات السعودية والتي تسهم في تحصين الشباب الجامعي من جرائم الإرهاب السيبراني.

٢- مفهوم الشباب الجامعي (من الطلاب):

يشير أبو المعاطي^(١٠) إلى أن مرحلة الشباب هي مرحلة من مراحل عمر الإنسان تُحدد بمقياس زمني في ضوء خصائص متماثلة يمثلها المعيار البيولوجي المميز لتلك المرحلة، أو بمقياس سوسيولوجي تعتمد عليه طبيعة الأوضاع التي يمر بها المجتمع، أو بمقياس سيكولوجي وسلوكي، باعتباره مرحلة تشكّل مجموعة من الاتجاهات السلوكية ذات الطابع الخاص. أما عن الشباب الجامعيين فهناك من ينظر إليهم على أنهم أتموا فترة تعليمهم الثانوي والتحقوا بالكلّيات والمعاهد العليا، وهم لا

ينفصلون بأي حال من الأحوال عن عامة الشباب.

ويمكن تعريف الشباب الجامعي إجرائياً في الدراسة الحالية بأنه:

● كل طالب سعودي الجنسية أكمل تعليمه الثانوي والتحق بكلية من كليات جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم الإنسانية) بعد اجتياز شروط القبول فيها.

● تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٢٣ سنة، ويمكن أن يزيد العمر على ذلك وفقاً لظروف كل طالب.

٣- مفهوم جرائم الإرهاب السيبراني

تُعرف الجريمة بأنها «أي سلوك سيئ متعمد يتسبب في إلحاق الضرر بالضحية أو يعرضه للضرر، أو ينتج عنه حصول أو محاولة حصول المجرم على فائدة لا يستحقها»^(١١)، وبهذا يمكننا تعريف جريمة تقنية المعلومات بأنها أي سلوك سيئ متعمد يستهدف الإضرار بتقنية المعلومات أو يستخدم تقنية المعلومات لإلحاق الضرر، أو ينتج منه حصول أو محاولة حصول المجرم على فائدة لا يستحقها.

الاختراقات، وجرائم إنشاء أو ارتياد المواقع المعادية، وجرائم القرصنة.
النظريات المفسرة للدراسة:

١- نظرية ثراء وسائل الإعلام

توضح هذه النظرية أن فعالية الاتصال تعتمد على القدر الذي تُستخدم به الوسيلة، وتُركّز النظرية بشكل أكبر على الأشكال التفاعلية للاتصال في اتجاهين بين القائم بالاتصال والجمهور والمستقبل للرسالة. وطبقاً لنظرية ثراء وسائل الإعلام، فإن الوسائل الإعلامية التي توفر رجوع صدى تكون أكثر ثراءً؛ فكلما قلَّ الغموضُ كان الاتصالُ الفعّالُ أكثرَ حدوثاً. وتنظر النظرية إلى وسائل إعلامية، مثل الصحف والإذاعة والتلفزيون، على أنها نقيرة؛ لأنها لا تسمح برجع صدى سريع ومباشر، كما تفترض النظرية أن وسائل الإعلام لديها القدرة على حل الغموض الذي يواجه الجمهور وتقديم تفسيرات متنوعة وتسهيل عملية الفهم على الجمهور المستقبل للرسالة^(١٤). واستفاد الباحث من تطبيق هذه النظرية في مجال الدراسة لتفسير مدى ثراء الاتصال التفاعلي عبر الإنترنت بتزايد ظاهرة

وبهذا فإن المجرم هو الشخص أو الجهة التي تقوم بارتكاب الجريمة، والضحية هو الشخص أو الجهة التي استهدفت بالجريمة، والتاريخ الحديث مليء بالجرائم الإلكترونية التي لا يتم التعرف فيها، في كثير من الأحيان، إلى المجرم، بينما قد لا يعلن الضحية عن نفسه^(١٢)

جرائم الإرهاب السيبراني نوعان:

الأول: الجرائم الموجهة ضد أنظمة تقنية المعلومات والاتصالات الأخرى بقصد إتلافها أو تدميرها أو تعطيلها.
الثاني: الجرائم التي يكون فيها الحاسب الآلي وسيلة ارتكاب جرائم الاحتيال وسرقة الهويات وبطاقات الائتمان والأرصدة والتزوير والاختلاس والابتزاز والسلوك الانحرافي والاستغلال الجنسي للأطفال^(١٣)

ويقصد بجرائم الإرهاب السيبراني

في الدراسة الحالية:

جميع الأفعال المخالفة للشريعة الإسلامية وأنظمة الدول العربية، المرتكبة بواسطة الحاسب الآلي، من خلال الإنترنت. ويشمل ذلك: الجرائم الجنسية والممارسات غير الأخلاقية، وجرائم تصنيع المتفجرات والإرهاب الإلكتروني، والجرائم المالية، وجرائم

جرائم الإرهاب السيبراني وقدرتها على ممارسة الاعتداءات الإلكترونية.

٢- نظرية الشأن العام

وهي النظرية التي وضعها^(١٥)؛ حيث عرف الشأن العام بأنه مساحة للحياة الاجتماعية التي تضم عدداً من الأفراد تجمعهم خصائص واهتمامات مشتركة، ويمنح الشأن العام لكل الأفراد فرصة القدرة على المشاركة والوصول إليه ما داموا قد شعروا أنهم جزء منه؛ حيث يرى «Habemes» أن الشأن العام هو شبكة اتصالية من الشبكات القائمة في المجتمعات المدنية، ترتبط ارتباطاً عميقاً بالحياة العامة أو الخبرات اليومية للأفراد، ويتحقق مفهوم الشأن العام عندما يتوجه الأفراد نحو ممارسة حقهم في المجتمع والاتصال والاشتراك في مناقشة قضاياهم العامة؛ فهذه النظرية تحاول أن تشرح الأسس الاجتماعية للديمقراطية من خلال النظر إلى المنظمات محددة الهوية والقائمة على أسس اجتماعية وثقافية مشتركة داخل المجتمع المدني^(١٦). وقد قام الباحث بتوظيف هذه النظرية في الدراسة الراهنة نظراً للسمات التفاعلية للإعلام، الذي يُمكّن

من إحداث التفاعل الاجتماعي، من خلال توظيف المواقع التفاعلية الإلكترونية لبث المعلومات والنماذج السلوكية لوقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني. الإجراءات المنهجية للدراسة:

١- منهج الدراسة

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على جمع البيانات وتبويبها وتحليلها والربط بين مدلولاتها؛ من أجل تفسيرها والوصول إلى استنتاجات عامة تُسهم في تحسين الواقع وتطويره. وقد تم استخلاص البيانات والمعلومات بالرجوع إلى الأدبيات ونتائج الدراسات والبحوث النظرية والميدانية (الإقليمية والدولية) وإصدارات الجامعات، وكذلك نتائج المؤتمرات والندوات المحلية والدولية ذات الصلة بموضوع الدراسة. ونظراً إلى أن هذه الدراسة تهدف إلى وضع تصوّر مقترح لوقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني؛ لذا فإنها تعتمد على استخدام المنهج الوصفي بأشكاله وأساليبه المختلفة.

٢- عينة الدراسة:

تم تطبيق الدراسة على عينة عشوائية، وعددهم ٢١٣ مفردة، من طلبة جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض كلية العلوم والاتصال - قسم الإعلام (الترم الصيفي).

٣- أدوات الدراسة:

يستخدم الباحث في الدراسة الحالية (الاستبانة) كأداة أساسية لوضع تصوّر مقترح لوقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني.

٤- الشروط السيكمترية

للاستبانة:

• الصدق الظاهري لأداة

الدراسة: حيث قام الباحث، بعد بناء أداة الدراسة في صورتها الأولية، بتوزيعها على عدد من المحكّمين المتخصصين في التربية والمناهج والبحث العلمي وعلم النفس وعلم الاجتماع الجنائي والعلوم الأمنية والإنسانية... وبناء على الملاحظات والتعديلات التي يبدّيها المحكّمون قام الباحث بإجراء التعديلات التي يتفق عليها أغلب المحكّمين؛ حيث تم تعديل بعض الأساليب وإضافة

البعض الآخر وحذف البعض وتعديل المحاور الرئيسية.

• الصدق البنائي لأداة الدراسة:

تم التأكد من صدق الاستبانة باستخدام صدق التجانس الداخلي بحساب معاملات الارتباط بين درجات العبارات الكلية في الاستبانة بعد حذف درجة العبارة من الدرجة الكلية؛ حتى لا تؤثر في معامل الاتساق الناتج الذي جاء مرتفعاً ودالاً عند مستوى «٠.٠١»، ما يؤكد تماسك العبارات.

• ثبات أداة الدراسة: تم

استخدام معامل ثبات ألفا كرونباخ؛ حيث إن الثبات يعطي اتساقاً في النتائج عندما تُطبق الأداة مرات عدّة. وقد جاءت النتيجة ٠,٩١. ويتضح هنا أن قيم معامل ألفا كرونباخ مرتفعة، وهو ما يؤكد تمتّع الاستبانة بمؤشرات ثبات مرتفعة، وصلاحيّتها للاستخدام في الدراسة الحالية.

٥- أساليب المعالجة الإحصائية:

• تم استخدام معامل ارتباط

بيرسون «ر» (Pearson Correlation)، للتأكد من الصدق البنائي.

تحليل النتائج وتفسيرها:
الجدول رقم «١»
يوضح خصائص عينة الدراسة
(ن=٢١٣)

تم استخدام المتوسط

المجلد السادس، العدد (٢) محرم ١٤٤١هـ / أيلول ٢٠١٩م

النوع	الفئة	العدد	النسبة
نوع تطبيقات المواقع الإلكترونية التي تستخدمها عينة الدراسة	—	فيسبوك	٣
	—	تويتر	٩٢
	—	البريد الإلكتروني	٨
	—	جوجل	٩
	—	المنتديات	صفر
	—	المدونات	١
	—	سناپ شات	٧٩
	—	تليغرام	٣
	—	إنستجرام	١٨
مدة استخدام الشباب الجامعي للمواقع الإلكترونية يوميا	—	أقل من ساعتين	١٢
	—	من ٢ إلى ٤ ساعات	٤١
	—	من ٥ إلى ٧ ساعات	٧٨
	—	أكثر من ٧ ساعات	٨٢
فترة استخدام عينة الدراسة لتطبيقات المواقع الإلكترونية	—	فترة الصباح	٢٧
	—	فترة الظهر	٧
	—	فترة العصر	١٥
	—	فترة المساء	١٠٣
	—	فترة منتصف الليل	٦١
وسيلة استخدام عينة	—	من الكمبيوتر الشخصي بالمنزل	١٢

النوع	الفئة	العدد	النسبة
الدراسة لتطبيقات المواقع الإلكترونية	من الهاتف الجوال	٢٠١	٩٥%
	بمقاهي الإنترنت	صفر	صفر
	من كمبيوتر الأصدقاء بمنزلهم	صفر	صفر
	مختبرات الجامعة/ الكلية	صفر	صفر

الجدول رقم «٢»:

يوضح مفهوم الإرهاب السيبراني
(ن=٢١٣)

م	العبارة	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	القوة النسبية	الترتيب
		موافق	إلى حد ما	غير موافق				
١	ما يقوم به الإرهابيون من خلال المواقع الإلكترونية لبث الأفكار المتطرفة ونشرها	٦٢	٤٧	١٠٤	٣٨٤	١,٨	٦٠	٢
٢	استخدام التقنيات الرقمية لإخضاع الآخرين	٤٥	٧٣	٩٥	٣٧٦	١,٧	٥٩	٣
٣	هجوم محضّر - ذو دوافع سياسية موجّهة ضد نظم معلومات الكمبيوتر	٦٦	٥	٩٧	٣٩٥	١,٨	٦٢	١
٤	هجوم إلكتروني ضد الأهداف	٦٣	٥٩	٩١	٣٩٨	١,٨	٦٢	١

م	العبارة	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	القوة النسبية	الترتيب
		موافق	إلى حد ما	غير موافق				
	المدنية عن طريق عملاء سريين							
٥	تدمير الخدمات إلكترونيًا لبثّ الخوف بهدف إرباك وزرع الشك لدى الأفراد	٥٨	٥٣	١٠٢	٣٨٢	١٠٧	٦٠	٢
٦	التأثير التقني على الحكومات لخدمة أجندة سياسية أو اجتماعية	٦٧	٤٠	١٠٦	٣٨٧	١٠٨	٦٠	٢
٧	استخدام برامج فيروسية في تعطيل البنية التحتية والطاقة والمواصلات وعمليات الحكومة	٥٨	٣٨	١١٧	٣٦٧	١٠٧	٥٧	٤
٨	عمل إجرامي يتم باستخدام أجهزة الحاسب الآلي ينتج عنه عنف وتدمير	٦٣	٤٨	١٠٢	٣٨٧	١٠٨	٦٠	٢
٩	مهاجمة نظم المعلومات على خلفية دوافع سياسية أو	٦٥	٤١	١٠٧	٣٨٤	١٠٨	٦٠	٢

م	العبارة	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	القوة النسبية	الترتيب
		موافق	إلى حد ما	غير موافق				
	عرقية أو دينية أو مناطقية							
١٠	نشر الطرق الإلكترونية على المستقطبين لكيفية اختراق المواقع الإلكترونية وتدميرها	٥٤	٤٦	١١٣	٣٦٧	١٠٧	٥٧	٤
	المجموع	٦٠١	٤٩٥	١٠٣٤	٢١٣٠			
	المتوسط	٦٠١	٤٩٥	١٠٣٤	٢١٣	١		
	النسبة	٢٨،٣	٢٣،٢	٤٨،٥	—	—		
	الدرجة النسبية لقياس البعد	٥٩،٧%						

الجدول رقم «٢» يوضح أن مستوى مفهوم الإرهاب السيبراني متوسط؛ حيث بلغت الدرجة النسبية لقياس المفهوم ٥٩،٧٪، بمتوسط وزني قدره ٢١٣ ومتوسط مرجح قدره ١٠٠. ومما يؤكد ذلك أن نسبة من أجابوا عن عبارات هذا البعد بموافق ٢٨،٣٪، وبموافق إلى حد ما ٢٣،٢٪، وغير موافق ٤٨،٥٪. وقد كانت أكثر

المفاهيم معرفةً هي التي وردت في العبارات أرقام ٣، ٤، ١، ٥، وهي التي تتعلّق بما يلي:

١- هجوم محض - ذو دوافع سياسية موجهة ضد نظم معلومات الكمبيوتر، وهجوم إلكتروني ضد الأهداف المدنية عن طريق عملاء سريين بمتوسط مرجح ١،٨

٢- ما يقوم به الإرهابيون من خلال المواقع الإلكترونية لبث الأفكار المتطرفة، وتدمير الخدمات إلكترونياً لإرباك وزرع الشك لدى الأفراد، والتأثير التقني على الحكومات

لخدمة أجندة سياسية أو اجتماعية
بمتوسط مرجح ١,٨.

الجدول رقم «٣»

يوضح العوامل المؤدية لارتكاب
جرائم الإرهاب السيبراني (ن=٢١٣)

م	العبارة	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	القوة النسبية	الترتيب
		موافق	إلى حد ما	غير موافق				
١	جهل بعض الشباب استخدام المواقع الإلكترونية واستغلال عواطفهم لأفكار ضالة ومضللة	٨٧	٥٩	٦٧	٤٤٦	٢,٠٠	٧٠%	٢
٢	الغلو والخروج عن منهج الاعتدال في الدين	٧٤	٥٣	٨٦	٤١٤	١,٩	٦٥%	٥
٣	الدعم المادي وتسهيل المهام المتعلقة بالإرهاب السيبراني	٧٩	٥٤	٨٠	٤٢٥	١,٩	٦٦%	٤
٤	وقت الفراغ وآثاره السلبية على الشباب من خلال المواقع المضلة	٩٦	٤٣	٧٤	٤٤٨	٢,١	٧٠%	٢
٥	سهولة الدخول على المواقع العالمية التي تدعو إلى نشر الأفكار المتطرفة	٧٨	٥٩	٧٦	٤٣٨	٢,٠٠	٦٧%	٣
٦	السرية التي تحيط بمن يستخدم الإنترنت بعيداً عن أي تهديدات قانونية وأمنية	٧٩	٦١	٧٣	٤٣٢	٢,٠٠	٦٧%	٣
٧	سهولة ويسر اختراق المواقع الإلكترونية	٥٩	٧٧	٧٧	٤٠٨	١,٩	٦٤%	٦
٨	سهولة استخدام الإنترنت وقلة تكاليفه	٩٢	٧٣	٤٨	٤٧٠	٢,٢	٧٣%	١
٩	صعوبة اكتشاف وإثبات الجريمة السيبرانية الإلكترونية جنائياً	٦٣	٧٥	٧٥	٣٣٩	١,٥	٥٣%	٧
١٠	ضعف الرقابة على الشباب المستخدم للمواقع الإلكترونية	٩٨	٣٥	٨٠	٣٣٤	١,٥	٥١%	٨
المجموع		٧٦٥	٥٨٩	٧٣٦	٤٢٠٩			
المتوسط		٧٦,٥	٥٨,٩	٧٣,٦	٢٠٩	١,٩		
النسبة		٣٦,٩	٢٨,٦	٣٤,٥	—	—		
الدرجة النسبية لقياس البعد		٦٤,٦%						

٢- جهل بعض الشباب استخدام المواقع الإلكترونية واستغلال عواطفهم لأفكار ضالة ومضللة وقت الفراغ وآثاره السلبية على الشباب من خلال المواقع المضلة بوزن مرجح مقداره ٢,١.

٣- سهولة الدخول على المواقع العالمية التي تدعو إلى نشر- الأفكار المتطرفة، والسرية التي تحيط بمن يستخدم الإنترنت بعيداً عن أي تهديدات قانونية وأمنية، بوزن مرجح مقداره ٢,٠٠.

الجدول رقم «٤»

يوضح وسائل ارتكاب جرائم الإرهاب السيبراني (ن=٢١٣)

الجدول رقم «٣» يوضح العوامل المؤدية إلى ارتكاب جرائم الإرهاب السيبراني، فقد اتضح أن مستوى هذه العوامل متوسط؛ حيث بلغت الدرجة النسبية لقياس البعد ٦,٤٦٪، بمتوسط وزني ٢٠٩ ومتوسط مرجح قدره ١,٩، ومما يؤكد ذلك أن نسبة من أجابوا عن عبارات هذا البعد بموافق ٣٦,٩٪، وموافق إلى حد ما ٢٨,٦٪، وغير موافق ٣٤,٥٪، وأكثر هذه العوامل التي وردت في العبارات أرقام ٨، ١، ٤، ٥، ٦، وهي التي تتعلق بما يلي:

١- سهولة استخدام الإنترنت وقلة تكاليف، بوزن مرجح مقداره ٢,٢.

م	العبارات	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	القوة النسبية	الترتيب
		موافق	إلى حد ما	غير موافق				
١	يلجأ الشباب إثبات قدراتهم التقنية باستخدام مهارة القرصنة	١٠٦	٧٦	٣١	٥٠١	٢,٣	٧٨	١
٢	استخدام بعض	٦٣	٩٨	٥٢	٤٣٧	٢,٠٠	٦٨	٤

م	العبارة	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	القوة النسبية	الترتيب
		موافق	إلى حد ما	غير موافق				
	الشباب فيروسات الكمبيوتر لتعطيل شبكات الخدمات							
٣	استخدام برنامج تدمير البيانات/ الديدان	٦١	١٠٩	٤٣	٣٣٥	١,٥	٥٢	٩
٤	يستخدم بعض الشباب شفرات أو برامج صغيرة/ أحصنة طروادة	٥٤	٩٥	٦٤	٤١٦	١,٩	٦٥	٦
٥	الاختناق المروري الإلكتروني وخنق قنوات الاتصالات	٤٣	٩٥	٧٥	٣٩٤	١,٨	٦١	٨
٦	اختراق المواقع الإلكترونية باختراق مواقع مضادة لإتلاف المحتويات	٨٣	٨٧	٤٣	٤٦٦	٢,١	٧٣	٣
٧	انتشار الفيروسات لتدمير الملفات والبرامج	١٠٤	٥٨	٥١	٤٢١	١,٩	٦٦	٥

م	العبارة	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	القوة النسبية	الترتيب
		موافق	إلى حد ما	غير موافق				
٨	الحرب النفسية من خلال النص والصوت والصورة	٩٧	٧٣	٤٣	٤٨٠	٢,٢	٧٥	٢
٩	التجسس الإلكتروني وتوظيفه في مجال الإرهاب السيبراني	١٠٦	٥٥	٥٢	٤٨٠	٢,٢	%٧٥	٢
١٠	زراعة القنابل المنطقية داخل البرامج استعداداً لشن الحروب الإلكترونية	٥٩	٩٦	٣٨	٤٠٧	١,٩	%٦٣	٧
المجموع		٧١٥	٨٤٢	٤٩٢				
المتوسط		٧١,٥	٨٤,٢	٤٩,٢	٨٤٢,١	٢,٠٠		
النسبة		٣٤,٥	٣٩,٥	٢٦				
الدرجة النسبية لقياس البعد		%٦٧,٦						

ومما يؤكد ذلك أن نسبة من أجابوا عن عبارات هذا البعد بموافق ٣٤,٥%، وموافق إلى حد ما ٣٩,٥%، وغير موافق ٢٦%، وقد كانت أكثر وسائل ارتكاب جرائم الإرهاب

الجدول رقم «٤» يوضح أن مستوى وسائل ارتكاب الإرهاب السيبراني متوسطة وبنسبة ٦٧,٦% وبمتوسط وزني ٨٤٢,١ ومتوسط مرجح قدره ٢,٠٠.

٣- اختراق المواقع الإلكترونية
باختراق مواقع مضادة لإتلاف
المحتويات، بمتوسط مرجح مقداره
٢,١,

٤- استخدام بعض الشباب
فيروسات الكمبيوتر لتعطيل شبكات
الخدمات، وبمتوسط مرجح مقداره
٢,٠٠.

الجدول رقم «٥»: يوضح المخاطر
الأكثر انتشاراً عبر المواقع الإلكترونية
(ن=٢١٣)

السيبراني هي التي وردت في العبارات
أرقام ١، ٨، ٩، ٦، وهي التي تتعلق
بما يلي:

١- يلجأ بعض الشباب إلى إثبات
قدراتهم التقنية باستخدام مهارة
القرصنة، بمتوسط مرجح مقداره ٢,٣،
٢- الحرب النفسية من خلال
النص والصوت والصورة والتجسس
الإلكتروني وتوظيفه في مجال الإرهاب
السيبراني، بمتوسط مرجح مقداره ٢,٢،

م	المخاطر	نوع المخاطر	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	النسبة	الترتيب
			موافق	إلى حد ما	غير موافق				
١	الانحراف الديني	نشر مقاطع للتنصير	١١١	٤٣	٥٩	٤٧٨	٢,٢	٧٥%	١
		الترويج للإلحاد	٨٧	٤٤	٨٢	٤٣١	٢,٠٠	٦٧%	٣
		الدعوة إلى الردة	٨٥	٦٩	٥٩	٤٥٢	٢,١	٧١%	٢
المجموع			٢٨٣	١٥٦	٢٠٠	١٣٦١	٢,١	٧١%	
٢	الانحراف الأخلاقي	التشجيع على التدخين	٨١	٤٣	٨٩	٤١٨	١,٩	٦٥%	٤
		المساعدة لتجارة وتهريب وتصنيع المخدرات	٧٧	٣٨	٩٨	٤٠٥	١,٩	٦٣%	٥
		الدعوة إلى الجنس ونشره	٩٦	٣٨	٧٩	٤٤٣	٢,٠٠	٦٩%	٣
		نشر- الشذوذ بين المستخدمين	١١٢	٤١	٦٠	٤٧٨	٢,٢	٧٥%	٢

م	المخاطر	نوع المخاطر	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرحح	النسبة	الترتيب
			موافق	إلى حد ما	غير موافق				
		الترويج للإباحية	١١٦	٤٨	٤٨	٤٩٤	٢,٣	٧٧%	١
		المجموع	٤٨٢	٢٠٩	٣٧٤	٢٢٣٨	٢,١	٧٠%	
٣	الانحراف الأسري	الدعوة لرفض تعدد الزوجات	٧٢	٩٧	٤٤	٤٥٤	٢,١	٧١%	١
		حث المستخدمين على رفض كثرة الإنجاب	٤٦	٧٢	٩٥	٣٧٧	١,٧	٥٩%	٢
		الترويج لتأخير سن زواج الفتيات	٥٦	٥٢	١٠٥	٣٧٧	١,٧	٥٩%	٢
		المجموع	١٧٤	٢٢١	٢٤٤	١٢٠٨	١,٨	٦٣%	
٤	الانحراف الاقتصادي	المساعدة على الإسراف في الحفلات والولائم	٩٨	٥٨	٣٧	٤٤٧	٢,٠٠	٧٠%	١
		الدعوة إلى احتقار الأعمال المهنية	٥٣	٤٦	١١٤	٣٦٥	١,٧	٥٧%	٣
		الإسهام في التجارة غير المشروعة	٩٧	٣٨	٧٨	٤٤٥	٢,٠٠	٦٩%	٢
		المجموع	٢٤٨	١٤٢	٢٢٩	١٢٥٧	١,٩	٦٥%	
٥	الانحراف التربوي	الترويج للسخرية من أساتذة الجامعة	١٠٦	٢٧	٨١	٤٥٣	٢,١	٧١%	١
		المساعدة على الغش في الاختبارات	٩١	٤٣	٧٩	٤٣٨	٢,٠٠	٦٨%	٢
		التشجيع على الاستهتار بقيمة العلم	٨٢	٥٠	٨١	٤٢٧	٢,٠٠	٦٧%	٣
		الإقلال من شأن العلماء والتعليم	٩٧	٥١	٦٥	٤٥٨	٢,١	٧١%	١
		المجموع	٣٧٦	١٧١	٣٠٦	١٧٧٦	٢,٠٠	٦٩%	

م	المخاطر	نوع المخاطر	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرحح	النسبة	الترتيب
			موافق	إلى حد ما	غير موافق				
٦	الانحراف السياسي	الدعوة إلى تكفير المجتمع	٨٧	٤٤	٨٢	٤٣١	٢,٠٠	٦٧%	١
		الدعوة إلى القيام بمظاهرات ضد النظام	٨٨	٢٨	٩٧	٤١٧	١,٩	٦٥	٢
		الترويج لتجنيد الشباب في الجماعات الإرهابية	٧٣	٥٣	٨٧	٤١٢	١,٩	٦٤	٣
		المجموع	٢٤٨	١٢٥	٢٦٦	١٢٦٠	١,٩	٦٥%	

في ضوء آراء عينة الدراسة حول المخاطر الأكثر انتشاراً عبر المواقع الإلكترونية، يتضح ما يلي:

١- بالنسبة للانحراف الديني، جاءت هذه المخاطر بنسبة ٧١% من آراء عينة الدراسة، وقد تحدد أهمها في نشر مقاطع للتنصير، والدعوة إلى الردة ثم الترويج للإلحاد.

٢- بالنسبة للانحراف الأخلاقي، جاءت هذه المخاطر بنسبة ٧٠%، ومن أهمها: الترويج للإباحية، ونشر- الشذوذ بين المستخدمين، والدعوة إلى الجنس ونشره، والتشجيع على التدخين.

٣- أما الانحراف الأسري فجاءت أهم هذه المخاطر بنسبة ٦٣%، ومنها: الدعوة إلى رفض تعدد الزوجات، وحث المستخدمين على رفض كثرة الإنجاب، والترويج لتأخير سن زواج الفتيات.

٤- الانحراف الاقتصادي جاء بنسبة ٦٥%، ومن أهم هذه المخاطر: المساعدة على الإسراف في الحفلات والولائم، والإسهام في التجارة غير المشروعة، والدعوة إلى احتقار الأعمال المهنية.

٥- الانحراف التربوي جاء بنسبة ٦٩%، ومن أهم هذه المخاطر: الترويج للسخرية من أساتذة

إلى القيام بمظاهرات ضد النظام،
والترويج لتجنيد الشباب في
الجماعات الإرهابية.

الجدول رقم «٦»: يوضح أهم
المخاطر الأكثر انتشاراً عبر المواقع
الإلكترونية

الجامعة، والإقلال من شأن العلماء
والتعليم، ثم المساعدة على الغش في
الاختبارات، والتشجيع على الاستهتار
بقيمة العلم.

٦- الانحراف السياسي جاء بنسبة
٦٥٪، ومن أهم هذه المخاطر:
الدعوة إلى تكفير المجتمع، والدعوة

م	نوع المخاطر	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	النسبة	الترتيب
		موافق	إلى حد ما	غير موافق				
١	الانحراف الديني	٢٨٣	١٥٦	٢٠٠	١٣٦١	٢,١	٧١%	الأول
٢	الانحراف الأخلاقي	٤٨٢	٢٠٩	٣٧٤	٢٢٣٨	٢,١	٧٠%	الثاني
٣	الانحراف الأسري	١٧٤	٢٢١	٢٤٤	١٢٠٨	١,٨	٦٣%	الخامس
٤	الانحراف الاقتصادي	٢٤٨	١٤٢	٢٢٩	١٢٥٧	١,٩	٦٥%	الرابع
٥	الانحراف التربوي	٣٧٦	١٧١	٣٠٦	١٧٧٦	٢,١	٦٩%	الثالث
٦	الانحراف السياسي	٢٤٨	١٢٥	٢٦٦	١٢٦٠	١,٩	٦٥%	الرابع

٥- الانحراف الاقتصادي بنسبة ٦٥.٦% - الانحراف الأسري بنسبة ٦٣.٠%.

الجدول رقم «٧»: آليات ضبط استخدام الشباب للمواقع الإلكترونية للوقاية من مخاطر الإرهابي السيرياني

في ضوء بيانات الجدول السابق، يتبين أن من أهم المخاطر الأكثر انتشاراً عبر المواقع الإلكترونية:

- ١- الانحراف الديني بنسبة ٧١.٠%.
- ٢- الانحراف الأخلاقي بنسبة ٧٠.٠%.
- ٣- الانحراف التربوي بنسبة ٦٩.٠%.
- ٤- الانحراف السياسي بنسبة ٦٥.٠%.

م	نوع الضبط	آلية الضبط	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	النسبة	الترتيب
			موافق	إلى حد ما	غير موافق				
١	الضبط الديني	مكافحة الغلو والتطرف والإرهاب السيرياني إلكترونياً	٩٦	٥٨	٥٩	٤٦٣	٢,١	٧٢%	٥
		حجب المواقع الضارة التي تدعو إلى الفساد والشر	١٢٣	٥٧	٣٣	٥١٦	٢,٤	٨١%	٢
		إنشاء مواقع إلكترونية ترد على الانحرافات العقدية	١٠٨	٦٢	٤٣	٤٩١	٢,٣	٧٧%	٤
		وضع ضوابط دينية لجميع المواقع الدعوية	١١٤	٥٦	٤٣	٤٩٧	٢,٣	٧٨%	٣
		التوعية بأضرار	١٢١	٧٦	١٦	٥٣١	٢,٤	٨٣%	١

م	نوع الضبط	آلية الضبط	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	النسبة	الترتيب
			موافق	إلى حد ما	غير موافق				
		الانحراف في الدنيا والآخرة							
		المجموع	٥٦٢	٣٠٩	١٩٤	٢٤٩٨	٢,٣	%٧٦	
٢	الضبط التقني	وضع البرمجيات التي تحد من وصول المطلوبين إلى الشبكات	١١٢	٦٢	٣٩	٤٩٩	٢,٣	%٧٨	٢
		نشر البرمجيات الرقابية التي تحدد الأماكن والأشخاص	٩٨	٧١	٤٤	٤٨٠	٢,٢	%٧٥	٤
		نشر البرمجيات الرقابية التي تحقق الأمن الإلكتروني	١٠٧	٩٨	٣٨	٤٩٥	٢,٣	%٧٧	٣
		وضع البرمجيات التي تمنع نشر- الألفاظ المسيئة	١٢٧	٥٧	٢٩	٥٢٤	٢,٤	%٨٢	١
		وضع البرمجيات التي تحمل المضمون الأخلاقي	١٠٣	٥٩	٥١	٤٧٨	٢,٢	%٧٥	٤
		المجموع	٥٤٧	٣١٧	٢٠١	٢٤٧٦	٢,٣	%٧٧	

م	نوع الضبط	آلية الضبط	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	النسبة	الترتيب
			موافق	إلى حد ما	غير موافق				
٣	الضبط القانوني والأمني	سن القوانين التي تناسب التعامل مع الشبكات	١١٤	٥٢	٤٧	٤٩٣	٢,٣	%٧٧	٣
		تطبيق قوانين ضبط الجريمة المنظمة التي تتشابه مع جرائم الشبكات	٩٤	٦٥	٥٤	٤٦٦	٢,١	%٧٣	٤
		تشديد الرقابة الأمنية على المواقع الإلكترونية	١١٧	٥٣	٤٣	٥٠٠	٢,٣	%٧٨	٢
		التوعية الأمنية المستمرة بمخاطر المواقع المتطرفة	١٢٧	٤٦	٤٠	٥١٣	٢,٤	%٨٠	١
	المجموع			٤٥٢	٢١٦٠	١٨٤	١٩٧٢	٢,٣	%٧٧
٤	الضبط الاجتماعي	إرشاد المستخدمين حول الآداب المطلوب مراعاتها	١٠٨	٥٣	٥٢	٤٨٢	٢,٢	%٧٥	٣
		توجيه الشباب الجامعي للاستخدام الآمن	٩٣	٧٤	٤٦	٤٧٣	٢,٢	%٧٤	٤

م	نوع الضبط	آلية الضبط	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	النسبة	الترتيب
			موافق	إلى حد ما	غير موافق				
		للمواقع الإلكترونية							
		توعية الشباب الجامعي بالآثار الأمنية السلبية	١١٤	٤٨	٥١	٤٨٩	٢,٢	%٧٦	٢
		توعية الأسرة للتعاون في ضبط الأبناء استخدام المواقع الإلكترونية	١٠	٧٣	٣٧	٤٩٢	٢,٣	%٧٧	١
		توعية الشباب بالحفاظ على الضرورات الخمس	١٠٧	٦٩	٣٧	٤٩٦	٢,٣	%٧٧	١
		المجموع	٥٢٥	٣١٧	٢٢٣	٢٤٣٢	٢,٢	%٧٦	

الجدول رقم «٧» يوضح آليات ضبط استخدام الشباب الجامعي للمواقع الإلكترونية للوقاية من مخاطر الإرهاب السيبراني، وجاءت كما يلي:

١- الضبط الديني، وجاء بنسبة ٧٦%، ومن أهم هذه الآليات: التوعية بأضرار الانحراف في الدنيا والآخرة، وحجب المواقع الضارة التي

تدعو إلى الفساد والشر، ووضع ضوابط دينية لجميع المواقع الدعوية، وإنشاء مواقع إلكترونية ترد على الانحرافات العقديّة.

٢- الضبط التقني جاء بنسبة ٧٧%، ومن أهم هذه الآليات: وضع البرمجيات التي تمنع نشر الألفاظ المسيئة، ووضع البرمجيات التي تحدّ من وصول المطلوبين إلى الشبكات،

ونشر البرمجيات التي تحقق الأمن الإلكتروني، ونشر البرمجيات الرقابية التي تحدد الأماكن والأشخاص.

٣- الضبط القانوني والأمني جاء بنسبة ٧٧%، ومن أهم هذه الآليات: التوعية الأمنية المستمرة بمخاطر المواقع المتطرفة، وتشديد الرقابة الأمنية على المواقع الإلكترونية، وسنّ القوانين التي تناسب التعامل مع الشبكات، وتطبيق قوانين ضبط الجريمة المنظمة التي تتشابه مع جرائم الشبكات.

٤- الضبط الاجتماعي جاء بنسبة ٧٦%، ومن أهم آليات الضبط الاجتماعي: توعية الأسرة للتعاون في ضبط الأبناء استخدام المواقع الإلكترونية، وتوعية الشباب بالحفاظ على الضرورات الخمس، وتوعية الشباب الجامعي بالآثار الأمنية السلبية، وتوجيه الشباب الجامعي للاستخدام الآمن للمواقع الإلكترونية.

الجدول رقم «٨»:

م	أهم آليات ضبط استخدام المواقع الإلكترونية	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرجح	النسبة	الترتيب
		موافق	موافق إلى حد ما	غير موافق				
١	الضبط الديني	٥٦٢	٣٠٩	١٩٤	٢٤٩٨	٢,٣	٧٦%	٢
٢	الضبط التقني	٥٤٧	٣١٧	٢٠١	٢٤٧٦	٢,٣	٧٧%	١
٣	الضبط القانوني والأمني	٤٥٢	٢١٦	١٨٤	١٩٧٢	٢,٣	٧٧%	١
٤	الضبط الاجتماعي	٥٢٥	٣١٧	٢٢٣	٢٤٣٢	٢,٢	٧٦%	٢

يوضح أهم آليات ضبط استخدام الشباب للمواقع الإلكترونية للوقاية من مخاطر الإرهاب السيبراني

الجدول رقم «٨» يوضح أهم آليات ضبط استخدام الشباب الجامعي للمواقع الإلكترونية للوقاية من مخاطر الإرهاب السيبراني،

الجدول رقم «٩»: يوضح متطلبات وقاية الشباب الجامعي من مخاطر الإرهاب السيبراني

وجاءت أهم هذه الآليات وفي المرتبة الأولى وبنسبة ٧٧%: الضبط التقني والضبط القانوني والأمني، وفي المرتبة الثانية وبنسبة ٧٦%: الضبط الديني والضبط الاجتماعي.

م	العبارة	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرحح	النسبة	الترتيب
		موافق	إلى حد ما	غير موافق				
١	تحذير الشباب من اعتناق الاتجاهات الفكرية المتطرفة عبر المواقع الإلكترونية	١١٢	٦٣	٣٨	٥٠٠	٢,٣	٧٨%	٢
٢	توجيه الشباب ووقايتهم من مخاطر مواقع الإنترنت الإباحية والمتطرفة	١١٠	٦٢	٤١	٤٩٥	٢,٣	٧٧%	٣
٣	تشجيع الشباب على الاعتدال في فهم الإسلام وحسن الجوار واحترام الآخر إلكترونياً	١١٧	٧٣	٢٣	٥٢٠	٢,٤	٨١%	١
٤	تنقية المناهج من النظريات والأفكار المعادية للإسلام وإظهار وسطية الدين الإسلامي عبر المواقع الإلكترونية	١٠٨	٥٩	٤٦	٤٨٨	٢,٢	٧٦%	٤
٥	تصحيح مفاهيم الشباب في قضايا التكفير والهجرة والجهاد والولاء والبراء إلكترونياً	١٠٩	٦٨	٣٦	٩٩	٢,٣	٧٨%	٢
٦	تدريب الشباب على كيفية ممارسة عمليات التفكير الناقد والإبداعي	٩٥	٦٩	٤٩	٤٧٢	٢,٢	٧٤%	٦
٧	إصلاح الخطاب الإعلامي	١١٢	٥٨	٤٣	٤٩٥	٢,٣	٧٧%	٣

م	العبارة	الاستجابات			مجموع الأوزان	الوزن المرحح	النسبة	الترتيب
		موافق	إلى حد ما	غير موافق				
	الذي يسيء للإسلام عبر المواقع الإلكترونية							
٨	تمكين الشباب من ممارسة الحوار البناء وأساليب التواصل الإلكتروني الأمثل مع الآخرين	١٢٥	٥٣	٣٥	٥١٦	٢,٤	٨١%	١
٩	ترسيخ الاعتدال والوسطية في المجتمع ونبذ الغلو والتطرف ومكافحته إلكترونياً	١٠٣	٦٢	٤٨	٤٨١	٢,٢	٧٥%	٥
١٠	تنبيه أولياء الأمور إلى خطورة النقد الاجتماعي غير المسؤول أمام أبنائهم	١٠٩	٥٧	٤٧	٤٨٨	٢,٢	٧٦%	٤
	المجموع	١١٠٠	٦٣٤	٤٠٦	٤٩٥٤			
	المتوسط	١١٠	٦٣,٤	٤٠,٦	٤٩٥,٤	٢,٢		
	النسبة	٥١,٨	٢٩,٢	١٩	—	—		
	الدرجة النسبية لقياس البعد			٧٧,٣				

الجدول رقم «٩» يوضح متطلبات وقاية الشباب الجامعي من مخاطر الإرهاب السيبراني؛ حيث اتضح أن مستوى هذه المتطلبات للدرجة النسبية لقياس المتطلبات ٧٧,٣%، بمتوسط وزني قدره ٤٩٥,٤ ومتوسط مرجح قدره ٢,٢، ومما يؤكد ذلك أن نسبة من أجابوا عن عبارات هذا البعد بموافق ٥١,٨%، وموافق إلى حد ما ٢٩,٢%، وغير موافق ١٩%، وقد كانت أكثر المتطلبات أهمية هي التي

وردت في العبارات أرقام ٣، ٨، ١، ٢، ٧، وهي التي تتعلق بما يلي:

١- تشجيع الشباب على الاعتدال في فهم الإسلام وحسن الجوار واحترام الآخر إلكترونياً، وتمكين الشباب من ممارسة الحوار البناء وأساليب التواصل الإلكتروني الأمثل مع الآخرين، بمتوسط مرجح ٢,٤،

٢- تحذير الشباب من اعتناق الاتجاهات الفكرية المتطرفة عبر

المواقع الإلكترونية، وتصحيح مفاهيم الشباب في قضايا التكفير والهجرة والجهاد والولاء والبراء إلكترونياً،
بمتوسط مرجح ٢,٣

٣- تشجيع الشباب على الاعتدال في فهم الإسلام وحسن الجوار واحترام الآخر إلكترونياً، وإصلاح الخطاب الإعلامي الذي يسيء للإسلام عبر المواقع الإلكترونية بمتوسط مرجح ٢,٣.

التصوّر المقترح لوقاية الشباب الجامعي من مخاطر الإرهاب السيبراني:

أولاً: المبررات التي يقوم عليها التصوّر المقترح لوقاية الشباب الجامعي من مخاطر الإرهاب السيبراني

١- تفعيل دور البرامج والأنشطة الطلابية بالجامعات نحو بناء استراتيجية مستقبلية تُسهم في تعزيز القيم الأخلاقية المبنية من ضوابط الشريعة الإسلامية للحد من مخاطر الإرهاب السيبراني.

٢- التزايد الملحوظ والمرتفع بشكل ينذر بالخطر للجرائم المرتكبة عبر المواقع الإلكترونية والفضاء السيبراني،

ما يؤثر سلباً على البنية الاجتماعية للأسرة والمجتمع، ومن ثمّ يتطلب ذلك دوراً فعالاً لوحداث الأنشطة الطلابية بالجامعات لوقاية الشباب الجامعي من مخاطر الإرهاب السيبراني.

٣- تنامي ظاهرة الفكر الضال المنحرف والتطرف والغلو بين بعض الشباب الجامعي الذي يحرص على استخدام الفضاء السيبراني عبر المواقع الإلكترونية، خصوصاً المواقع المشبوهة التي تُشرف عليها التنظيمات الإرهابية وتقوم ببث سموم العنف والفكر المتطرف لتشتيت جهود الشباب وتحطيمهم.

٤- ارتفاع الظواهر السلبية المستحدثة عبر المواقع الإلكترونية، ومنها ما يسمى «المخدرات الرقمية»، التي تهدد مستقبل الشباب الجامعي، وهذا يتطلب من وحدات الأنشطة الطلابية الإسهام في تعزيز وبناء الإمكانات التربوية والأخلاقية والسلوكية للشباب للحد من مخاطر هذه الظاهرة.

٥- قيام عصابات الإجرام المنظمّة العابرة للقارات بتعبئة الشباب

الجامعي وتجنيدهم عبر الفضاء السيبراني واستقطابهم للتخطيط والإعداد والتنفيذ للأعمال الإرهابية التقليدية أو الإلكترونية.

ثانياً: الأسس التي يقوم عليها التصوّر المُقترح لوقاية الشباب الجامعي من مخاطر الإرهاب السيبراني

١- بيئة المجتمع السعودي التي تلتزم بمرجعية الكتاب والسنة وفق منهج السلف الصالح في العقيدة والشرعية الإسلامية التي تحرص على وقاية أبناء الوطن، ومنهم الشباب الجامعي، من مخاطر الإرهاب السيبراني بالحفاظ على الضرورات الخمس (الدين، النفس، المال، العقل، النسل).

٢- تعزيز واحترام القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية والتربوية والسلوكية من قبل أبناء الوطن في أثناء تجديد آفاق المعرفة الإلكترونية السيبرانية واستخدامهم منصات الشبكات في ضوء ضوابط الشريعة الإسلامية.

٣- وضع ضوابط وحدود عامة تنطلق من العقيدة الإسلامية في أثناء

تواصل الشباب الجامعي إلكترونياً بعيداً عن الحرية التي تسيء إلى الآخرين، مع ضرورة الحوار البناء واحترام حرية الآخرين.

٤- تعزيز الأنشطة والبرامج الفردية والجماعية والمجتمعية المؤسسية التي تهدف إلى عدم استغلال الشباب الجامعي الفضاء السيبراني في تمرير التجارب والسلوكيات السلبية التي تعتمد لدى البعض على الجهل والشهوات والطموحات الفردية، والتي تُسهم في هدم عزيمة الشباب.

٥- العمل البناء ل وحدات الأنشطة الطلابية بهدف حل مشكلات الشباب من خلال الإعداد الأخلاقي والسلوكي والتربوي لوقايتهم من الانحراف نحو المخططات التدميرية التي تهدم أدوارهم المستقبلية في المجتمع.

ثالثاً: أهداف التصوّر المُقترح لوقاية الشباب من مخاطر الإرهاب السيبراني

١- تعزيز الانتماء الوطني والمواطنة للشباب لإمكانية توظيفهما لتحقيق الأمن الاجتماعي في ضوء الشريعة الإسلامية والعوامل الاجتماعية عبر

شبكات التواصل الاجتماعي للحد من جرائم الإرهاب السيبراني.

٢- تنمية الثقافة التربوية والاجتماعية لدى الشباب في ما يتصل بدورهم في المحافظة على أمن الوطن والمواطن وأثره في تطوير المجتمع من خلال شبكات التواصل الاجتماعي للحد من جرائم الإرهاب السيبراني.

٣- تحقيق الأمن الوقائي من خلال التوعية بأساليب المجرمين في ارتكاب الجرائم الإلكترونية المستحدثة والتبصير بأساليب مواجهة السلوك الإجرامي عبر الشبكات الاجتماعية.

٤- تعميق الأمن بمفهومه الشامل للشباب وإكسابهم مهارات التفكير التربوي والاجتماعي والأمني والأفكار الصحيحة.

٥- حماية الشباب من الوقوع في جرائم الارهاب السيبراني ومواجهة الشائعات والإبلاغ عن مروجيها من خلال غرس المهارات الإيجابية المنطلقة من الشريعة الإسلامية للتفاعل مع معطيات العصر الحديث.

٦- تعزيز الوعي الأمني بين الشباب في ما يتعلق بقضايا الغلو

والتكفير والتطرف وجرائم الإرهاب السيبراني.

رابعاً: الاستراتيجيات التي يعتمد عليها التصور المقترح لوقاية الشباب من مخاطر الإرهاب السيبراني

١- استراتيجية الإقناع: وتتمثل في إقناع الشباب الجامعي بضرورة الابتعاد عن السلوكيات السلبية التي تؤثر على قيمه وأخلاقه؛ حيث إن الشباب في كثير من الأحيان مستعد لتغيير قيمه واتجاهاته متى اقتنع أنها تتعارض مع مصالحه، وتنمية الثقافة الإسلامية وتعزيز الوعي التربوي الاجتماعي فيما يتصل بدوره في المحافظة على القيم الأخلاقية وأهمية ذلك في سيادة المناخ القيمي وأثره في تطوير المجتمع.

٢- استراتيجية التوضيح: وتتمثل في إعطاء الشباب صورة واضحة عن الشبكات وآثارها الإيجابية والسلبية وكيفية الاستفادة منها بالشكل الأفضل دون التعرض للمواقع الإلكترونية ذات الهدف الانحرافي الذي يؤثر تربوياً واجتماعياً على شخصيته، وبالتالي على القيم الأخلاقية للشباب، وتحقيق الجانب

الوقائي من خلال التوعية بأساليب المجرمين في ارتكاب الجرائم الإلكترونية.

٣- استراتيجيّة التعديل السلوكي:

وتتيح لإخصائي وحدات الشباب الأساليب الوقائية التي تساعد على تعديل السلوك الخاطئ للشباب وتعزيز القيم الأخلاقية السوية لديهم للحد من جرائم الإرهاب السيبراني.

خامساً: الآليات التي تُستخدم لتنفيذ التصوّر المُقترح لوقاية الشباب من مخاطر الإرهاب السيبراني:

١- المناقشة الجماعية عبر غرف الدردشة، وهي من أساليب وقاية الشباب من الآثار السلبية لجرائم الإرهاب السيبراني، ومساعدة الشباب على تعديل أفكارهم الخاطئة عن طريق الحوار الفكري الإلكتروني.

٢- الندوة عبر المنتديات الإلكترونية: التي تهدف إلى تعديل وتصحيح الأفكار الخاطئة لدى الشباب الجامعي، بل لدى جميع الشباب المتواصل أو المتردد على الشبكات الاجتماعية للحد من جرائم الإرهاب السيبراني.

٣- الأنشطة المعرفية الإلكترونية: التي تساعد على تصحيح الأفكار والمعارف الخاطئة لدى الشباب الجامعي المتواصل عبر الشبكات الاجتماعية، وتوسيع المدارك الثقافية لديهم للحد من جرائم الإرهاب السيبراني.

٤- نشر الفكر الوسطي عبر شبكات التواصل الاجتماعي من خلال رسائل فعّالة تهاجم مواقع الجماعات الإرهابية ومواجهة الفكر الضال الذي ينشر عبر الشبكات الاجتماعية للحد من جرائم الإرهاب السيبراني.

سادساً: الأدوار (الوقائية - العلاجية - الإنشائية) التي تُستخدم في التصوّر المُقترح

١- الدور الوقائي للحد من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني:

- تأكيد خطورة انتشار الجرائم الإلكترونية عبر الشبكات، وخطورته على الشباب والأسرة والمجتمع.

- إجراء البحوث والدراسات في هذا المجال الحيوي الجديد لوحداث الأنشطة الطلابية بالجامعات للوقوف على حجم هذه الظاهرة وانتشارها

بين الشباب للتعرف إلى حجمها وأسبابها ووضع الحلول المناسبة.

-مساعدة الشباب على إدراك ذواتهم وأن استخدام خبراتهم سيقُلل من خطورة انتشار هذه الظاهرة.

-قيام وحدات الأنشطة الطلابية بتهيئة الشباب للمشاركة في مجال الوقاية من انتشار هذه الظاهرة.

-أن تحرص وحدات الأنشطة الطلابية بالجامعات على وقاية الشباب من الآثار التربوية والاجتماعية السلبية للشبكات من خلال إنشاء مواقع إلكترونية لتوعية المترددين بالجرائم الإلكترونية المستحدثة.

٢- الدور العلاجي للحد من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني:

-قيام وحدات الأنشطة الطلابية بالجامعات بمشاركة الأسرة بوضع خطة علاجية للشباب المدمن المتواصل عبر الشبكات الاجتماعية، وذلك بتبصيره بخطورة التواصل على عقيدته، الأمر الذي لا يتفق مع قيم مجتمعاتنا.

-دراسة حالات الشباب، بالتعاون مع أسر الشباب، للتواصل عبر الشبكات الاجتماعية والتردد المستمر على مقاهي الإنترنت للهروب من الأسرة والتعرف إلى الأسباب التي تدفعهم إلى ذلك.

-تعديل اتجاهات الشباب نحو التواصل عبر الشبكات الاجتماعية، وبالأخص المواقع الترفيهية والإباحية على الشبكات الاجتماعية، واستثمار أوقات فراغهم بما يعود عليهم وعلى أسرهم ومجتمعهم بالنفع.

-الاستعانة بالخبراء في المجال لتوعية الشباب بالشبكات الاجتماعية التي لديها مواقع منافية لتقاليد وقيم مجتمعتنا، والتي يتم بثها للشباب من الدول الغربية لتدمير القوى والطاقات البشرية لمجتمعاتنا.

-قيام وحدات الأنشطة الطلابية بالجامعات بالتعاون والإسهام مع الجامعات الإسلامية من خلال الندوات والمحاضرات واللقاءات مع الشباب لتعريفهم بفوائد ومخاطر التواصل عبر الشبكات الاجتماعية.

٣- الدور الإنشائي للحد من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني:

-التنسيق والتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني للقيام بحملات توعية للمجتمع تحذّر من الآثار السلبية المترتبة على تواصل الشباب عبر الشبكات واكتسابهم القيم التي تتعارض مع ضوابط الشريعة.

-إعداد برامج وأنشطة تربوية واجتماعية تعتمد على الشبكات لشغل أوقات فراغ الشباب بما يقلّل من معدلات تواصلهم مع أقرانهم عبر الشبكات أو ترددهم على مقاهي الإنترنت واستخدامهم هذه المواقع.

-اكتساب المترددين على شبكات التواصل الاجتماعي الخبرات التي تؤهلهم لعدم تقليد الآخرين في كل ما يتم تداوله من خلال ما يشاهدونه وما يرونه عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

-تنمية اتجاهات إيجابية للشباب تعزّز لديهم التمسك بالقيم الدينية والعادات والتقاليد.

سابعاً: محتوى التصوّر المُقترح للحد من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني

١- المحتوى الديني للحد من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني:

-ترسيخ القيم الإسلامية لدى الشباب لما فيه من مصلحة للأجيال القادمة، والحفاظ على تماسك المجتمع ضد المخاطر التي تواجهه من خلال الشبكات الموجهة لأمنه وقيمته، والتي تستهدف النيل من عقيدتنا الراسخة^(١٧).

-تنمية الوعي الديني لدى الشباب من خلال إمامته بالقضايا والأبعاد الدينية والأحكام الدينية الإسلامية التي تحكم سلوكيات المسلم وتصرفاته، والموجهة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

-توعية الشباب بالقضايا الدينية المعاصرة عبر الشبكات، مثل التطرف الأيديولوجي.

-الاهتمام بتعليم الشباب اللغة العربية، لما تتعرض له من حركات تهमيش نشطة.

٢- المحتوى الأخلاقي للحد من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني^(١٨):

-التربية الأخلاقية للشباب، على أساس أن ممارسة المبادئ الأخلاقية تجعل الشباب آمناً مطمئناً ويفعل الخير دائماً في حياته، من خلال تكوين

القواعد الأخلاقية والالتزام في أثناء التواصل عبر الشبكات.

-تنمية القيم الأخلاقية لدى الشباب، من منطلق أنها تهدف إلى التعرف إلى النسق القيمي السائد لدى الشباب، وتحديد وحدات معيارية يتوصل إليها الشباب ويلتزمون بها لتمييز السلوك المرغوب فيه.

-تعزيز السلوك الخُلقي لدى الشباب، من منطلق أن القيم الأخلاقية تُسهم في تشكيل السلوك السوي للشباب.

٣- المحتوى التربوي والاجتماعي للحد من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني:

-تعزيز المسؤولية الاجتماعية للشباب؛ بحيث تتمثل القيم وتترسخ في المجتمع وتصبح المسؤولية الاجتماعية راسخة في شخصية هؤلاء الشباب، لتجسم العلاقات البارزة الآمنة بين الشباب.

-تنمية الوعي بالظواهر الاجتماعية التي قد تصبح مشاكل اجتماعية، لا سمح الله، في المجتمع،

ومساعدة أفراد المجتمع بجميع فئاته على تخطي هذه المشكلات.

-الدعوة إلى الحوار لمعرفة الخلافات والاختلافات، لعمل الحلول المناسبة لجميع شرائح المجتمع، ومؤسسات المجتمع، ومنها المؤسسات التعليمية.

٤- المحتوى الإعلامي للحد من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني:

-تنمية الوعي لدى الشباب بأخلاقيات العمل الإعلامي، وغرس الحس الإعلامي الذي يجعلهم يميزون بين الانحرافات السلوكية والفكرية وغيرها.

-قيام وحدات الأنشطة الطلابية بالجامعات بدور التعاون التقني والإعلامي على المستوى العربي، من خلال تبادل المعلومات عن المشكلات المختلفة الموجهة إلى الشباب عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

-تأكيد محتوى الرسالة الإعلامية التي تصب في جميع الثقافات الخاصة بالمجتمع لحماية أفكار الشباب من تشرب بعض السلوكيات الصادرة عن شبكات التواصل الاجتماعي.

ثامناً: متطلبات تنفيذ محتوى التصوّر المُقترح

١- إقامة ندوات ومؤتمرات وورش عمل حول كيفية الاستفادة من شبكات التواصل الاجتماعي.

٢- العمل على تنمية الوازع الديني لدى الشباب الجامعي لتفعيل دور المرشدين الطلابيين في توجيه الشباب الجامعي في الاستخدام الأمثل للإنترنت.

٣- التوجيه المهني الأمثل لملاحظة سلوكيات الشباب الجامعي وربطها بالأنشطة الطلابية.

٤- متابعة الطلاب حول استخدام المواقع وتوفير الاحتياجات التي ترشدهم إلى البعد عن المواقع المشبوهة.

٥- الاهتمام بالأنشطة الطلابية، وذلك وربطها بالأعمال التطوعية لإرشاد الشباب الجامعي، بعمل المحاضرات التطوعية للاستفادة منها في النشاطات اللاصفية.

٦- تزويد الشباب الجامعي بالمواقع ذات التأثير الإيجابي على

شخصياتهم (رياضية، اجتماعية، ثقافية).

تاسعاً: الإجراءات التنفيذية اللازمة لنجاح التصوّر المُقترح للحد من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني

١- استقطاب الخبراء المتخصصين في جميع المجالات لتطوير برامج التربية الأمنية للشباب، بما يحقق التكامل والحد من مخاطر إساءة استخدام الشبكات، والبعد عن جرائم الإرهاب السيبراني.

٢- تكوين فرق ولجان مشتركة بين الوحدات الطلابية بالجامعات، ووزارة التعليم، ووزارة الداخلية، والمؤسسات الدعوية والشبابية والأدبية، لتخطيط الأنشطة والبرامج لتنفيذ برامج التصوّر المُقترح.

٣- عمل اتفاقيات تعاون بين القطاعات التعليمية والقطاعات الإعلامية المختلفة، والتكنولوجيا والتقنية الحديثة، لدعم محتوى التصوّر المُقترح لوحدات الأنشطة الطلابية للحد من مخاطر إساءة استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، والبعد عن جرائم الإرهاب السيبراني.

٤- تطوير الإعلام الجديد وتطويره لدعم محتوى التصوّر المُقترح؛ بحيث يمكن استغلاله لإقامة المعارض الاجتماعية والأمنية لنشر الوقاية من الجرائم السيبرانية.

نتائج الدراسة:

١- من أهم العوامل المؤدية لارتكاب جرائم الإرهاب السيبراني:

-سهولة استخدام الإنترنت وقلة تكاليفه.

-جهل بعض الشباب استخدام المواقع الإلكترونية واستغلال عواطفهم لأفكار ضالة ومضللة.

-وقت الفراغ وآثاره السلبية على الشباب من خلال المواقع المضلة.

٢- أهم المخاطر الأكثر انتشاراً عبر المواقع الإلكترونية:

-الانحراف الديني، مثل نشر- مقاطع للتنصير والترويج للإلحاد.

-الانحراف الأخلاقي، مثل التشجيع على التدخين والمساعدة في تجارة المخدرات وتهريبها وتصنيعها.

-الانحراف الأسري، مثل الدعوة إلى رفض تعدد الزوجات والترويج لتأخير سن زواج الفتيات.

-الانحراف الاقتصادي، مثل المساعدة على الإسراف في الحفلات والولائم والإسهام في التجارة غير المشروعة.

-الانحراف التربوي، مثل الترويج للسخرية من أساتذة الجامعة والتشجيع على الاستهتار بقيمة العلم.

-الانحراف السياسي، مثل الدعوة إلى تكفير المجتمع والدعوة إلى القيام بمظاهرات ضد النظام.

٣- أهم آليات ضبط استخدام الشباب الجامعي للمواقع الإلكترونية للوقاية من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني:

-الضبط الديني، مثل التوعية بأضرار الانحراف في الدنيا والآخرة.

-الضبط التقني، مثل وضع البرمجيات التي تمنع نشر- الألفاظ المسيئة.

-الضبط القانوني والأمني، مثل التوعية الأمنية المستمرة بمخاطر المواقع المتطرفة.

-الضبط الاجتماعي، مثل توعية الشباب بالحفاظ على الضرورات الخمس.

٤- من أهم متطلبات وقاية الشباب الجامعي من مخاطر جرائم الإرهاب السيبراني:

-تشجيع الشباب على الاعتدال في فهم الإسلام وحسن الجوار واحترام الآخر إلكترونياً.

-تمكين الشباب من ممارسة الحوار البناء وأساليب التواصل الإلكتروني الأمثل مع الآخرين.

-تحذير الشباب من اعتناق الاتجاهات الفكرية المتطرفة عبر المواقع الإلكترونية.

التوصيات:

١- ضرورة توعية الشباب بالاستخدام الأمثل للمواقع الإلكترونية لعدم استغلال عواطفهم لأفكار ضالة ومضللة، مع ضرورة الاهتمام في وقت فراغهم بأمر إيجابية مفيدة.

٢- ضرورة توعية الشباب بمخاطر الانحراف عبر المواقع الإلكترونية، مثل الانحراف الديني ونشر مقاطع

للتنصير والترويج للإلحاد، والانحراف الأخلاقي، مثل التشجيع على التدخين والمساعدة على تجارة المخدرات وتهريبها وتصنيعها، والانحراف الأسري.

٣- الحرص على وضع آليات لضبط استخدام الشباب الجامعي للمواقع الإلكترونية للوقاية من جرائم الإرهاب السيبراني، والضبط الديني، مثل التوعية بأضرار الانحراف في الدنيا والآخرة، والضبط التقني، مثل وضع البرمجيات التي تمنع نشر الألفاظ المسيئة، والضبط القانوني والأمني، مثل التوعية الأمنية المستمرة بمخاطر المواقع المتطرفة، والضبط الاجتماعي، مثل توعية الشباب بالحفاظ على الضرورات الخمس.

٤- ضرورة تشجيع الشباب على الاعتدال في فهم الإسلام وحسن الجوار واحترام الآخر إلكترونياً، وتمكينهم من ممارسة الحوار البناء وأساليب التواصل الإلكتروني مع الآخرين، وتحذيرهم من اعتناق الاتجاهات الفكرية المتطرفة عبر المواقع الإلكترونية.

الهوامش:

(١) العرادي، محمد (٢٠٠١م)، الجرائم المعلوماتية، القاهرة: الدار الجامعية الحديثة. ص ٢٠.

(٢) الحارثي، فهد العرابي (٢٠٠٦م)، استخدامات الإنترنت في المجتمع السعودي، الرياض: دار الراشد. ص ١١٧.

(٣) حنبظاظه، علاء سليمان (٢٠١٥م)، الجريمة الإلكترونية وتأثيرها على النواحي الاقتصادية، بيروت: دار الشروق.

(٤) بن نحيان، أحمد (٢٠١٥م)، الأبعاد الأمنية للتغريدات المسيئة في «تويتر» وتأثيراتها على شباب دول مجلس التعاون الخليجية، بيروت: دار الفكر العربي.

(٥) مركز بيو للأبحاث (٢٠١٦م)، منظمة المقاييس الدولية، جنيف.

(6) Arab media, (2016) More Information than you Ever Wanted: Does Facebook Bring out the Green -Eyed Monster of jealousy? Cybersychology & Behavior. Vol. (12). No. 4.

٥- ضرورة مضاعفة الجهود داخل الجامعة وخارجها للإسهام الإيجابي في شغل وقت الفراغ بالجديد والمفيد في حياة أبناء المجتمع، لا سيما من فئة الشباب؛ لأنهم يتعرضون لكثير من الحملات المقصودة على اختلاف أنواعها.

٦- دعوة الجامعات إلى إنشاء مراكز أبحاث وطنية بمشاركة وحدات الأنشطة الطلابية بالجامعات، تعتمد على الشبكات الاجتماعية وتُعنى بدراسة مظاهر الغلو والتطرف والانحراف الإلكتروني.

٧- قيام الجامعات (وحدات الأنشطة الطلابية) بإجراء مزيد من الدراسات عن مواقع وشبكات التواصل الاجتماعي وآثارها التربوية والاجتماعية المختلفة حتى تكون النتائج قابلة للتعميم، مع توفير البنية التحتية بوحدات الأنشطة الطلابية بما يدعم استخدامهم للشبكات الاجتماعية وتدريبهم على كيفية الاستخدام علمياً وأكاديمياً.

(14) Alan R. Dennis, (1995) **Saudi Females on Facebook: An Ethnographic Study**, International Journal of Emerging Technologies & Society. Vol (9). p.207.

(15) Habemes (1991). **More Informtion than you Ever Wanted: Does Facebook Bring out the Green – Eyed Monster of jealousy.?** Cybersy chology & Behavior. Vol. (12). No. 4. p.404.

(16) Habemes (1991). **More Information than you Ever Wanted: Does Facebook Bring out the Green – Eyed Monster of jealousy.?** Cybersy chology & Behavior. Vol. (12). No. 4. p.404.

(١٧) البداينة، ذياب موسى (١٩٩٩م)، **التطبيقات الاجتماعية للإنترنت، ورقة قُدمت إلى الدورة التدريبية حول الإنترنت من منظور أمني، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ص ١٠٣.**

(١٨) السلوم، ٢٠٠٣م، ص ٣١.

(٧) الشاعر، ٢٠١٣م، ص ٥٤

(٨) الرازي، أبو بكر (٢٠٠٤م)، **معجم الرازي، بيروت: دار الشروق للنشر. ص ٣٥٣.**

(٩) أبو حسان، صادق محمود (١٩٨٧م)، **الآثار السلبية لشبكات التواصل الاجتماعي، فلسطين: الجامعة الإسلامية. ص ٥٤.**

(١٠) أبو المعاطي، مجدي (٢٠٠٩م)، **التواصل الاجتماعي باستخدام Facebook، القاهرة، شركة علوم الحاسب. ص ٢٨**

(١١) داود، ٢٠١١م، ص ١٨

(12) Al-Saggaf, yeslam. (2011). **Saudi Females on Facebook: An Ethnographic Study**, International Journal of Emerging Technologies & Society. Vol (9).

(١٣) البداينة، ذياب موسى (١٩٩٩م)، **التطبيقات الاجتماعية للإنترنت، ورقة قُدمت إلى الدورة التدريبية حول الإنترنت من منظور أمني، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. ص ٦٤.**

تأثير اللغويين المعاصرين بفكر عبد القاهر الجرجاني (ت ١٠٧٨هـ - ٤٧١م)



د. ابراهيم أحمد سلام الشيخ عيد*

تاريخ الوصول: ٢٧/٣/٢٠١٨م

تاريخ القبول: ٢١/١٠/٢٠١٨م

الملخص

يتناول البحث الموسوم بـ "تأثير اللغويين المعاصرين بفكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ - ١٠٧٨م)" الذي يعدّ إماماً من أئمة البلاغة والنحو الذي شهد له بمنهجه الفريد، وفكره المستنير بالدراسة والتحليل؛ لبيان فضله على النحو ومعانيه؛ حيث بنى نظريته في البلاغة والبيان، ويميل إلى البصريين في أقوالهم، واشتهر بكتابه: "دلائل الإعجاز" "علم المعاني"، وأسرار البلاغة "علم البيان"، وله كتب قيمة في النحو. وقد اقتصر الباحث في هذه الدراسة على بعض اللغويين المعاصرين، الذين كان لهم صدى في تأثيرهم بالجرجاني، وهم - على قلة عددهم في هذه الدراسة - يمثلون أغلب المعاصرين.

*أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأقصى - غزة/ فلسطين.

Abstract

This paper discusses and analyzes the book entitled *Contemporary Linguists influenced by thoughts of Abdul-Qahir Al Jurjani (741 Hejira – 1078 A.D.)*, which is considered as one of the premier Imams of rhetoric and syntax, who is well-known with his unique methodology and luminous thoughts. This paper aims to demonstrate Abdul-Qahir Al Jurjani's favor on grammar and its meanings, where he established a theory in rhetoric. He also leans towards Al-Basra people in their speech and becomes famous for his two books: *The Proofs of Miracles* "Semantics", and *Secrets of Rhetoric*, "Rhetoric". And he has invaluable books in linguistics. In this study, the researcher was satisfied with some contemporary linguists who had been affected by Al-Jurjani. They are few in number in the study, but they represent most of the contemporary linguists.

المقدمة:

دراسات سابقة:

- ١- أبو موسى، محمد، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

- ٢- البدرأوي، زهران، عبد القاهر الجرجاني لغوياً، (رسالة ماجستير)، القاهرة، ١٩٧٤هـ.
- ٣- خليفة، عبود، علاقة الدرس النحوي بالدرس البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، (رسالة ماجستير)، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، تلمسان، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٤- كُلاب، أحمد عاطف، منهج الإمام عبد القاهر الجرجاني في عرضه المسائل النحوية- دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، غزة، الجامعة الإسلامية، ٢٠١٣م.

المبحث الأول: منزلة عبد القاهر العلمية، مذهب النحوي، ومؤلفاته، والمسائل النحوية:

منزلته العلمية: برع الجرجاني في فنون شتى؛ حيث يعد من علماء النحو والصرف والبلاغة والنقد والأدب، وذاع صيته، وكان ذا مكانة رفيعة في كل هذه الفنون، وذلك ثمرة لثقافته الواسعة وإطلاعه المتواصل؛ " كان من أكابر النحويين؛ فانتهدت إليه رئاسة النحو في زمانه، ويحكي عنه كثيراً؛ لأنه لم يلق شيخاً مشهوراً في علم العربية غيره، ولم يخرج عن جرجان في طلب العلم، وإنما طراً عليه أبو الحسين فقرأ عليه، وأخذ عنه علي بن أبي زيد الفصيح، فتصدر في جرجان، وصنف تصانيف كثيرة جيدة، وشدت إليه الرحال، وقصده طلاب العلم يقرؤون عليه ويقرؤون كتبه" (١).

مذهبه النحوي: إن معظم الكتب التي تُرجمت لعبد القاهر الجرجاني، لم تصرح بمذهبه النحوي، ولكن هناك من الدلائل ما يدلنا على ميله للمنهج البصري، كما يأتي: إشارات إلى البصريين بقوله: (أصحابنا) في مواضع عدة (٢)، ويسترشد بأراء سيبويه وغيره من نحاة البصرة، مثل: يونس بن حبيب، والأخفش الأوسط، وابن السراج، وغيرهم، على الرغم أن عبد القاهر تتلمذ على يد نحاة بغداد ومؤلفاتهم إلا أنه قرأ كتب النحو البصري، وتفحصها، وأخذ زبدتها، وكانت جذوراً لفلسفته في تراثه النحوي (٣).

مؤلفاته: (١) المغني: يعد من أهم مؤلفات عبد القاهر النحوية؛ لأنه شرح مبسوط لكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، شرحه في زهاء ثلاثين مجلداً، وهو من كتبه المفقودة.

(٢) المقتصد: أحد مؤلفات عبد القاهر النحوية، وقد جعله شرحاً ملخصاً لكتابه (المغني) في ثلاثة مجلدات؛ وهو مطبوع.

(٣) التكملة: كتاب أراد به عبد القاهر أن يضيف مسائل لم

يذكرها صاحب الإيضاح، ولعله أوردَها مختصرةً؛ وهو من كتبه المفقودة.

(٤) الإيجاز: شرح مختصر - لكتاب الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي؛ وهو مطبوع.

(٥) الجمل في النحو: كان القصد من هذا الكتاب تعليم المبتدئين النحو، وهو اختصار لكتابه: العوامل المائة، جمع فيه العوامل النحوية، ورتبها حسب تقسيم الكلام؛ فجعل عوامل الأسماء، وعوامل الأفعال، وعوامل الحروف، وهو كتاب صغير في حجمه؛ لكنه ضم الأصول ليسهل حفظها، وعدد صفحاته أربع وسبعون (٧٤) صفحة، وهو مطبوع.

(٦) شرح الجمل في النحو، أو كتاب التلخيص: وهو شرح لكتاب الجمل السابق، وهو مطبوع.

(٧) العوامل المائة في النحو: هو كتاب صغير متداول ومشهور، وقد لقي حظاً كبيراً من العناية؛ حيث نُظم وشرح مراراً، وهو مطبوع.

(٨) التذكرة: كتاب يحوي مسائل منثورة غير معروفة، وهو من كتبه المفقودة.

(٩) التتمة: وهو مطبوع.

(١٠) دلائل الإعجاز: في علم المعاني؛ وهو كتاب مطبوع ومشهور ومتداول، وممزوج به النحو بعلم البلاغة؛ لكونه اشتمل على مجموعة من المسائل النحوية التي عالجها عبد القاهر بإسهاب، وهو مطبوع.

(١١) أسرار البلاغة: في علم البيان^(٤) وهو مطبوع.

المسائل النحوية: تعليق الكلام، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفروق في الخبر، والفروق في الحال، والوصل والفصل، وإن ومواقعها.

- تعليق الكلام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما^(٥).

- التقديم والتأخير: نبه عبد القاهر إلى أهمية التقديم والتأخير قائلاً: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان^(٦)."

- الحذف والذكر: يكشفُ

عبد القاهر عن القيمة الجمالية للحذف، وينبه على أهميتها، وأنها بمثابة الفصل في تحديد المعنى؛ فيقول: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن" (٧).

- الفروق في الخبر: قسم

عبد القاهر الخبر قسمين: (أ) الخبر الذي هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة بدونه، نحو: (زيد منطلق). (ب) الحال، كقولك: جاءني زيد راكباً؛ وذلك لأن الحال خبر في الحقيقة، من حيث إنك تثبت بها المعنى لدى الحال كما تثبت به خبر المبتدأ للمبتدأ وبالفعل للفاعل (٨).

- الفروق في الحال: حصر

عبد القاهر الجملة الحالية في الأنماط الآتية: (١) مجيء جملة الحال من المبتدأ والخبر؛ والغالب أنها تأتي مع الواو؛ كقولك: جاءني زيد وعمرو أمامه، وأتاني وسيفه على كتفه. (٢)

مجيء جملة الحال جملة فعلية، وهي نوعان: (أ) جملة الحال جملة فعلية فعلها مضارع، مثبتة منفية، وغير منفية، وتأتي عارية من الواو؛ نحو: جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه. (ب) أن تكون جملة الحال جملة فعلية فعلها ماضٍ، ويأتي مصاحباً الواو وغير الواو، ولا يقع الحال ههنا إلا مع (قد) -مظهرة أو مقدرة-، نحو: أتاني وقد جهده السير (٩).

- الفصل والوصل: اهتم

عبد القاهر اهتماماً غير مسبق بالفصل والوصل؛ فكشف عنه اللثام، ورفع عنه الحجاب، وبحثه بحثاً منظماً يقوم على التحليل والتعليل مبيناً معناه الحقيقي، جاعلاً إتيان الفصل والوصل

علماً على البلاغة، وأمانة على جودة الكلام وسراً من أسرارها (١٠).

- إن ومواقعها: من عادة

عبد القاهر أنه لا يعرض للمسألة النحوية بمجرد المرور عليها؛ بل يبرز الأمور التي غفل عنها النحاة ويوضحها، ويشير إلى الدقائق التي عجز عن إدراكها المتخصصون، ثم

يتعرض ذلك لأصول المسألة وفروعها في شرح وتحليل وافٍ، يقول في صدر حديثه حول وجوه استعمال (إن): "واعلم أن مما أغمض الطريق إلى معرفة ما نحن بصده، أن ههنا فروقاً خفية تجهلها العامة وكثير من الخاصة، ليس أنهم يجهلونها في موضع، ويعرفونها في آخر؛ بل لا يدرون أنها هي ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل" (١١).

المبحث الثاني- النظم والنحو عند عبد القاهر:

يقول أبو هلال العسكري في تعريف النظم: "حسن الرصف بأنه وضع الألفاظ في مواضعها" (١٢).

النظم عند عبد القاهر: ينقسم إلى حروف منظومة وكلم منظومة؛ فنظم الحروف: هو تواليها في النطق فقط وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتضى رسماً من العقل، اقتضى- أن يتحرى في نظمها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال: (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، وأما نظم الكلم: فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها

حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق، وكذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة، والبناء والوشي والتحبير، وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كل حيث وضع علته تقتضي- كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح (١٣)، ويتضح معنى النظم جلياً في الأبيات الآتية التي يذكرها حيث يقول:

فما لنظم كلام أنت ناظمه

معنى سوى حكم إعراب تزجيه

وقد علمنا بأن النظم ليس سوى

حكم من النحو تمضي في توخي (١٤)

معنى ذلك أن النظم ليس سوى حكم من أحكام النحو، فلو رام إنسان أن يلتمس للنظم معنى غير ذلك لآب خاسراً، واجداً من الظلم أن يتطلب شيئاً آخر في معنى النظم.

سبيل النظم: ترتيب المعاني في نفسها وبنائها بعضها على بعض،

المفردة لا يمكن أن تدل على معنى محدد، وإنما تدل على معنى مجرد؛ فهي تحتمل مئات المعاني، ومن ثم فلا معنى لها^(١٧).

النظم والنحو: حرص عبد القاهر على أن يكون النظم نظم معان وليس نظم ألفاظ، يقول: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعلق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما"^(١٨).

ويرى عبد القاهر "أنه لا يتصور أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً، وأنت تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك؛ فإذا تم ذلك أتبعته الألفاظ، وقفوت بها آثارها، وأنت إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتاج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ؛ بل تجدها ترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في

وترتيب الفروع على الأصول، وإتباع المعنى المعنى، وإلحاق النظر النظر، وإذا كنت تعلم أنهم استعاروا النسج والوشي والنقش والصياغة لنفس ما استعاروا له النظم، وكان لا يشك في أن ذلك كله تشبيه وتمثيل يرجع إلى أمور وأوصاف تتعلق بالمعاني دون الألفاظ، فمن حقك أن تعلم أن سبيل النظم ذلك السبيل"^(١٥).

الغرض من النظم: ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق؛ بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل^(١٦).

فكرة النظم عند عبد القاهر مستندة أساساً على التفريق بين استعمال اللغة بقصد الإشارة، وبين استعمالها للتعبير عن الانفعال، أو بعبارة أخرى التفريق بين الألفاظ التي تكتفي بمجرد الإشارة إلى الصورة الباردة للشيء، والألفاظ التي تعبر عن حقيقة الشيء؛ فالألفاظ المفردة عنده هي مجرد علامات اصطلاحية للإشارة إلى شيء ما، وليست للدلالة عن حقيقة هذا الشيء، ومادام اللفظ المفرد مجرد إشارة؛ فإن اللفظة

النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليه في النطق^(١٩).

معنى ذلك الحرف وعلى هذا القياس^(٢٠).

وأن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتُجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل، ولا يخفى على أحد من الناس، وإذا كان كذلك فينا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء، وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبها ما معناه وما محصوله، وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها من غير أن نعلم إلى اسم، فتجعله فاعلاً لفعل، أو مفعولاً، أو نعلم إلى اسمين، فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثاني صفةً للأول، أو تأكيداً له، أو بدلاً منه، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفةً أو حالاً أو تمييزاً، أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيّاً أو استفهاماً أو تمنيّاً، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطاً في الآخر، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمنت

وإنَّ النحو هو محصول النظم، حيث يقول عبد القاهر: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامه الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجَت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك، فلا تُخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه. في الخبر: زيد منطلق- زيد ينطلق، ينطلق زيد- زيد هو المنطلق، منطلق زيد- المنطلق زيد، زيد المنطلق- زيد هو المنطلق. في الشرط والجزاء: إن تخرج أخرج- إن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج- وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج. في الحال: جاءني زيدُ مسرعاً- جاءني وهو يسرع، جاءني يسرع- جاءني وقد أسرع، جاءني وهو مسرع، جاءني قد أسرع.

وينظر في الجمل التي تُسرد فيعرف موضع الفصل من موضع الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء، وموضع

الفاء من موضع ثم، وموضع أو من موضع أم، وموضع لكن من موضع بل، ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار؛ فيضع كلاً من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له^(٢١)، وأن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، "واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن، كالأجزاء من الصبغ تتلاحق وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين"^(٢٢).

يقول عبد القاهر: "إن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذ هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها معدنه وموضعه ومكانه، وأنه لا مستنبط له سواها، وألا وجه لطلبه فيما عداها غار نفسه بالكاذب من الطمع، ومسلم لها بالخدع"^(٢٣).

الفرق بين النظم والنحو: عندما نحتكم إلى نصوص عبد القاهر حول النظم الذي عدّه دعاة إحياء النحو

رسماً لطريق جديد في النحو نجد تفرقه واضحة بين النحو والنظم.

فمعاني النحو ثابتة لا تحتاج إلى جهد ومعاناة، أما النظم فيكون في حسن التخيّر والنظر في وجوه كل باب، فينظر في صور الخبر، والأساليب من شرط وتوكيد وتخصيص، فيجيء بذلك حيث ينبغي له، ويحتاج ذلك قسطاً كبيراً من التذوق والحس الأدبي والسليقة السليمة، وتلك مهمة فوق مهمة البحث في الصواب والخطأ، وهنا ارتبطت البلاغة بالنحو ارتباطاً وثيقاً، حيث تبدأ مهمتها من حيث تنتهي مهمة النحو^(٢٤).

وضّع عبد القاهر كتابه دلائل الإعجاز يعين على الوصول إلى معاني الكلام، وأنّ البناء اللغوي الذي شغل به كتابه يقصد به ما وراء هذا من فقه دقيق للمعاني، وأن عبد القاهر يعلمنا منهج العلم كلّهُ أو منهج المعرفة، وأنّ أصل هذا المنهج هو تحليل اللغة؛ لغة الفكر والأدب والعلوم وكلّ ذلك^(٢٥).

المبحث الثالث - آراء عبد القاهر الجرجاني في ميزان اللغويين المعاصرين:

تواصلت جهود النحاة المخلصين منذ القدم لتيسير النحو، وتقديمه للمتعلمين سائغاً، ولعبد القاهر الجرجاني مختصر سمي "الجمال".

وكثير من النحاة حتى الآن يقف عند ثورة ابن مضاء القرطبي، فمنذ قدمه محمد إبراهيم البنا للقارئ العربي، والمشتغلون بالنحو يعالجون هذه الثورة، رغم أن ابن مضاء كان مسبوفاً من غيره "كان على ابن مضاء أن يذكر المتقدمين الذين أثاروا ما أثاروا، مثل: ابن حزم وعبد القاهر وابن سنان الخفاجي، وكتب هؤلاء معروفة في الأندلس على عهده^(٢٦)".

(١) د. مهدي المخزومي
(ت ١٤١٥هـ):

اتصل د. مهدي بالتراث القديم، وحاول تقسيم الجملة تقسيماً يختلف عن القدماء؛ حيث ذهب أن الفتحة لا تدل على معنى، وأن الضمة علم الإسناد، وأن الكسرة علم الإضافة^(٢٧)؛ مسترشداً بآراء عبد القاهر الجرجاني.

(٢) د. تمام حسان (ت ١٤٣٢هـ):

عدّ د. تمام حسان عبد القاهر الجرجاني أذكي محاولة لتفسير

العلاقات السياقية، وعدّد المصطلحات التي استعملها^(٢٨): (أ) النظم. (ب) البناء. (ج) الترتيب. (د) التعليق.

ورأى أن (أ) النظم عند عبد القاهر نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم، لا بناء الكلمات في صورة جملة، إنَّ عبد القاهر قال - فضلاً عما نقله د. تمام حسان: "هذا وأمر النظم في أنه ليس شيئاً غير توحي معاني النحو فيها بين الكلم، وأنك ترتب المعاني أولاً في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك، وأنا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني لم يتصور أن يجب فيها نظم وترتيب، في غاية القوة والظهور؛ فالنظم تفعيد العلاقة بين المعاني النحوية بواسطة القرائن اللفظية والمعنوية والحالية"^(٢٩).

فالمعاني المقصودة ليست معاني النحو فقط؛ فالمعنى يقوم في النفس ثم يأتي دور النظم، وهو توحي معاني النحو، ثم يظهر في صورة الجملة، ولا تقوم معاني النحو أولاً، ثم المعنى المعجمي؛ بل هما متساندان، ولا يمكن القول بأن "اللغة وسيلة التعبير عن المعنى، ومن الممكن؛ بل المرغوب فيه وصف هذه الوسيلة ودراستها

دون الاعتماد على الوظيفة التي تقوم بها، والدلالة جزء من وظيفة اللغة^(٣٠).

(ب) البناء: أما البناء فيرى د. تمام حسان "أن اختيار المباني التي يقدمها الصرف للتعبير عن المعاني النحوية، وبوضع فكرة النظم بإزاء فكرة (البناء) يكون قد عبر عن الارتباط بين المعنى والمبنى"^(٣١)، وهذا واضح من النقل السابق عن عبد القاهر الجرجاني.

(ج) الترتيب: فإن حديث د. تمام حسان "وأما الترتيب فإنه وضع العلامات المنطوقة أو المكتوبة في سياقها الاستعمالي حسب رتب خاصة، تظهر بها فوائد التقديم والتأخير"^(٣٢)، وهذا يدل على أن الرتب المحفوظة وغير المحفوظة كانت مدار بحث عند عبد القاهر الجرجاني.

(د) التعليق: أشاد عدد من المحدثين بجهود عبد القاهر الجرجاني في التعليق، وأثر ذلك في نظم الكلام، حيث ذكر د. بدوي طبانة بأن: "المعاني التي تنشأ من تعلق الاسم بالاسم، أو تعلق الاسم بالفعل، وتعلق الحرف بهما، هي معاني النحو

وأحكامه، فالتعلق والإسناد يفهمان من النحو، وعنهما تكون المعاني التي يريد المتكلم إبرازها، ويستطيع السامع إدراكها، ولا ترى شيئاً من ذلك يعدو أن يكون حكماً من أحكام النحو ومعنى من معانيه"^(٣٣).

وهذا ما أكده د. محمد عبد المطلب، بقوله: "فمعاني النحو هي التي يتعلق بها الفكر، وهي تمثل العلاقات بين معاني الكلمات في النفس، وهذه العلاقات النحوية هي التي رتب معاني الكلم على أساسها في النفس، ورتبت الكلم على نسق معانيها، ولا يتصور أن يكون للفظه تعلق بلفظة أخرى من غير أن يعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك"^(٣٤).

وقد صرح د. عبد الفتاح لاشين: بأن "عبد القاهر نقل النحو إلى جو يزخر بالحيوية، وجعل موضوعاته ميداناً يجول فيها بذهنه الصافي، ويطلع الناس على ألوان من التعبيرات التي تمر بهم، ولكنهم لم يقفوا على روعتها، ولم يتذوقوها؛ فقد قفز الجرجاني بهذا العلم من الاهتمام بأواخر الكلمات فقط، والبحث عن العلة،

(٣) د. محمد حماسة عبداللطيف
(ت ١٤٣٦هـ):

أشاد د. محمد حماسة
عبداللطيف، بقوله: "لقد كان
عبد القاهر الجرجاني نحوياً خالصاً،
له بالنصوص

بصر، وبالأساليب فقهً وبتفسيرها
ولوع، وقد هداه بصره بالنصوص،
وفقهه بالأساليب، وولوعه بالتفسير،
إلى نظريته المعروفة بنظرية النظم،
وهي تقوم على معاني النحو".^(٣٩)

مصطلح الجملة ذكر سيبويه
(ت ١٨٠هـ) كلمة (الجملة) ولم يقصد
بها المصطلح الذي عليه لدى النحاة،
وإنما كان يستخدم لفظ (كلام) على
ما يريد به النظام اللغوي^(٤٠)، وقد
ظهر هذا المصطلح، وكان المقصود به
ذلك عند المبرد (ت ٢٨٥هـ) في كتابه
"المقتضب"^(٤١)، إلا أن هذا المصطلح لم
يتغلب على مصطلح (الكلام)؛ إذ ظل
هذا المصطلح شائعاً مع مصطلح
الجملة، وقد سوى بعض النحاة بين
المصطلحين، ولهم شرطان لهذه
التسوية؛ الأول: الائتلاف عند
عبد القاهر الجرجاني، أو التركيب كما
يرى الزمخشري (٥٣٨هـ)، أو

وعلة العلة، إلى علم رحب فسيح
ينبض حياة وحركة"^(٣٥).

أما التعليق فهو - كما يرى د. تمام
حسان - أخطر شيء تكلم فيه
عبد القاهر على الإطلاق، ويرى أنه لا
يكفي في شرح فكرة التعليق عند
عبد القاهر القول بأن: الكلمات يأخذ
بعضها بحجز بعض، ولا أن نرجع
الفضل والمزية إلى معاني النحو أو
أحكامه، في عموم يشبه عموم عبارته،
فكلمات عبد القاهر كانت عامة^(٣٦).

لكن عبد القاهر قال: "واعلم أنك
إذا رجعت إلى نفسك، علمت علماً، لا
يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم
ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض،
ويبنى بعضها على بعض، ويجعل
هذه بسبب من تلك"^(٣٧)، وهذا يدل
على أن عبد القاهر كان يقصد
بالتعليق أول ما يقصد انتظام
الكلمات في نظم معين وفق الأفكار
المرتبة في النفس؛ أي: أنه يقصد
النظم، ولا يقصد ما قصده د. تمام
حسان حيث قال: "ولعل من المؤسف
حقاً أن نضطر اضطراراً إلى أن نفهم
من مصطلح عبد القاهر ما لم ينص
هو على معناه نصاً صريحاً"^(٣٨).

الاستقلال وعدم الاحتياج إلى شيء آخر - كما يرى ابن جني (٣٩٢هـ).

الآخر: الفائدة، يشترط فيهما الفائدة كما يرى السابقون، أو حسن السكوت، كما رأى سيبويه والمبرد^(٤٢).

(٤) د.فاضل السامرائي:

دلالة الجملة: ظاهرة وباطنة، أما الظاهرة فيعني د.فاضل بها ما يعطيه ظاهر اللفظ، نحو: (سافر محمد ونام خالد)، وأما الدلالة الباطنية فيعني بها ما يؤدي عن طريق المجاز والكنيات والملاحن والإشارات^(٤٣)، وهذا ما يدل عليه كلام عبد القاهر الجرجاني إذ جعل الكلام على ضربين: ضرب متصل للغرض منه بدلالة اللفظ، وضرب آخر لا تصل للغرض بدلالة اللفظ وحده، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل^(٤٤).

سار د. فاضل السامرائي على ترتيب أبواب النحو، وحاول أن يدمج علم المعاني في علم النحو، ولكنه لم يستخدم ما استخدمه عبد القاهر من استنباط القواعد من شواهد أدبية يشرح المعنى فيها، وإنما عدّ

الأغراض والفوائد عند استعمال تركيب دون تركيب.

(٥) د.محمد صلاح بكر:

دراسته للمعنى والنحو السياق، فقد رأى "أن قيمة اللغة بما تؤديه للمجتمع، وإن لم تؤد ما يطلب منها فهي عاجزة، ويرى أن الإسناد أحد العمليات الرئيسة في التركيب؛ لأنه وضع للصيغ في صورة مخصوصة، ويرى أن التركيب النحوي هو ما يسميه عبد القاهر الجرجاني بالتعليق؛ أي: تعليق الصيغ بعضها ببعض، أو أنه إنشاء علاقات سياقية بين الضمائم في التركيب، والتركيب مجموعة متناسقة من الضمائم تتصل ببعضها اتصالاً وثيقاً بواسطة مجموعة من القرائن، ويرى أن المقام هو كل ما له علاقة ببيان وظائف التركيب"^(٤٥)، شبه عبد القاهر النص بالبناء، فكل كلمة منه لبننة؛ فإن البناء لا يستغني عن لبننة من لبناته، وكذا التركيب اللغوي.

"وقد اشتهر الجرجاني بقضية النظم؛ لذلك عندما تعرض لموضوعات النحو، أخذ عن سابقه؛ كسيبويه وأبي علي الفارسي، وعليه

فلم يَضيف إلى علم النحو جديداً من وجهة نظر بعض النحويين^(٤٦).

أما محمد عرفة ومحمد الخضر- حسين فكان لهما شأن آخر تجاه الجرجاني؛ حيث يرى محمد عرفة أن "جمهور النحاة لم يزدوا في أبحاثهم النحوية حرفاً، ولم يهتدوا منه بشيء، وآخرون منهم أخذوا الأمثلة التي ضربها عبد القاهر بياناً لرأيه، وتأيداً لمذهبه، وجعلوها أصول علم من علوم البلاغة، وسموه (علم المعاني)، وفصلوه عن النحو فصلاً أزهق روح الفكرة، وذهب بنورها، وقد كان عبد القاهر يبدي ويعيد في أنها معاني النحو^(٤٧)، ويرى - كذلك - أن الجرجاني كان يعتقد في النحو الذي ألف فيه سيئويه الكتاب، ووصل إليه أنه متسع الرقعة متباعد الأطراف، ومستوف خصائص اللغة العربية، وأنه بين مواضع التقديم والتأخير، وفروق ما بين التنكير والتعريف، والحذف والذكر... إلخ، ولم يقصر في شيء من ذلك؛ بينما الذي يعاينه ويجاهد في إثباته ما هي البلاغة؟ وما مرجعها؟ ترجع إلى اللفظ أو إلى المعنى، وأخذ يثبت أنها ترجع إلى المعنى...، ثم أبان أن النظم للألفاظ

من حيث علاقة بعضها ببعض في التركيب؛ كأن يكون هذا فاعلاً لهذا الفعل وهذا مفعولاً له... إذن، ليس النظم إلا أن تضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو؛ لأن علم النحو هو الذي تكفل ببيان علاقة الألفاظ بعضها ببعض في التراكيب، وبيان الخصائص التي تكون للتراكيب المختلفة^(٤٨).

أما محمد الخضر حسين فيرى أن الجرجاني قد رسم في كتابه "دلائل الإعجاز" طريقاً جديداً للبحث النحوي، تجاوز أواخر الكلام، وعلامات الإعراب، وبين أن غرض الجرجاني في ناحية غير الناحية التي نظر إليها عند تفهم كلامه؛ حيث قال الجرجاني: "واعلم أنه ليس النظم إلا أن تضع الكلام الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله... وتحفظ الرسوم التي رسمت، فلا تخل بشيء منها...، والقوانين التي أشار إليها هي أحكام المبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول، والحال والتمييز، والمضاف والمضاف إليه، والتوابع والشرط والجزاء، وغيرها، وأحكام هذه الأبواب ترجع إلى الإعراب والتقديم والتأخير،

والحذف والذكر وغير ذلك مما يبحث عنه في علم النحو^(٤٩).

العامل والعلامات الإعرابية: يرى النحاة أنَّ العلامات الإعرابية التي على أواخر الكلمات، إنما هي بسبب العامل، فهو سبب "ما رفع أو جر، أو نصب، أو جزم"^(٥٠).

العلاقة بين اللغة والفكر: أدرك عبد القاهر طبيعة العلاقة القائمة بين الفكر واللغة، وأنَّ هذه العلاقة طبيعة بين الألفاظ ودلالاتها، وبأنها قائمة كوجود الحياة في الأجسام الحية^(٥١).

يردُّ ذلك ما قاله (دي سوسير) في حديثه عن طبيعة العلاقة اللغوية: "إنَّ العلاقة اللغوية لا تخلو من الاسم والشيء، ولكن بين فكرة وصورة سمعية، فالوحدة جامعة بين الاسم والفكرة، والعلاقة قائمة بين الكلمة والفكرة التي هي في الذهن، ولا يمكن أن يكونَ من الكلمة والشيء وحدة واحدة"^(٥٢).

"اللغة هي الوسيلة التي يعبرُ الإنسانُ بها عن أفكاره وما يدور بداخله، وهي -أيضاً- وسيلةٌ للتفاهم

والتواصل بين الأفراد؛ فاللغة تعبرُ عن الفكر، وبما أنَّ الفكرَ في تغير مستمر نتيجة العوامل والتغيرات الخارجية والتطورات العلمية، فلا بدَّ للغة أن تُسايِر هذا الفكرَ بكلِّ تغيّراته وتطوراته؛ لهذا فعلاقة اللغة بالفكر هي علاقة وطيدة، يقول العالم دولاكروا: "إنَّ الفكر يصنع اللغة في نفس الوقت الذي يصنع فيه من طرف اللغة"^(٥٣)، قال إدوارد ساير: "إنَّ النمو وتطور اللغة يعتمد -إلى حدٍّ كبير- على نمو الفكر وتطوره"^(٥٤).

تلاقي عبد القاهر مع اللغويين المحدثين: يلتقي عبد القاهر بمنهجه الفريد المستنير مع المفكرين الغربيين، ولوحاته اللغوية الرائعة رغم اتساع بساط الزمن بينه وبينهم في حديثه عن العلاقة بين الفكر واللغة من أن لا كيان للغة إلا في أذهان الأفراد، ولا وجود للأفكار دون كلمات، ولا حياة للكلمات دون أفكار، وبأن اللغة أساس الفكر، وهي طريق الإنسان إلى إدراك الحياة ومعرفة الحقيقة؛ بل إنها عنصر -من العناصر المهمة في حياة الإنسانية جمعاء، تلازم الفرد في حياته، وتمتدّ

بين الإمام العالم ودي سوسير، وقد نادى بهذا الاتجاه اللغوي كل من: د. محمد مندور، وإبراهيم سلامة، وإبراهيم أنيس في "الفكر اللغوي المعاصر"، يقول: "د. محمد مندور: "منهج عبد القاهر يستند إلى نظرية في اللغة، أرى فيها -ويرى معي كل من يعن النظر- أنها تماشي ما وصل إليه علم اللسان الحديث من آراء، ونقطة البدء نجدُها في آخر "دلائل الإعجاز"؛ حيث يقرر المؤلف ما يقرره علماء اليوم من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ؛ بل مجموعة من العلاقات (Systeme des reapports)، على هذا الأساس العام بنى عبد القاهر كل تفكيره اللغوي الفني^(٥٧).

الخاتمة:

بعد الانتهاء من دراسة البحث الموسوم بـ: "تأثر اللغويين المعاصرين بفكر عبد القاهر الجرجاني"، خلص الباحث إلى النتائج الآتية:

- كان النظم قبل عبد القاهر مرتبطاً بظهور مشكلة اللفظ والمعنى التي ظهرت على أيدي النحويين واللغويين في القرن الأول الهجري،

إلى الأعماق من كيانه، وتبلغ إلى أخفى رغباته وخطراته.

واللغة متلبسة بالفكر لا يستطيع أحدهما أن يتحرر من الآخر، فلا يستطيع الإنسان أن يفكر دون لغة، كما أن اللغة ليست علاقةً للتفكير وحدها؛ بل إنهما متداخلان يضم أحدهما الآخر، فإذا كان المعنى يؤخذ من العبارة؛ فإن العبارة ليست إلا وجوداً خارجياً للمعنى، ويستوي في ذلك الطفل والبالغ، وقد أشار إلى ذلك د. إبراهيم أنيس (ت ١٣٩٧هـ) في كتاب من أسرار اللغة: "ترتبط اللغة ارتباطاً وثيقاً بالفكر الإنساني؛ وذلك لأن اللغات في العالم كله ليست في الحقيقة إلا وسيلة التعبير عن الفكر الإنساني، وعما يدور في الأذهان البشرية"^(٥٨).

وقد سبق عبد القاهر هذه الأفكار بقوله: "وإذ قد عرفت هذه الجملة؛ فينبغي أن تنظر إلى هذه المعاني واحداً واحداً، وتعرف محصولها وحقائقها"^(٥٩).

وقد سبق الكلام عن رائد علم اللغة الحديث (دي سوسير) وكيف وافق عبد القاهر رغم الزمن السحيق

وكانت النظرة الكلية هي السائدة على الأدب وغيره، وكان بفضل قضية الإعجاز.

- النظم عند عبد القاهر يدور في تعريف النظم وسبيله، وفكرة النظم وأساسها، والفروق في الخبر والشرط والجزاء، وأن تأليف الكلام عنده ضرورة من ضروريات النظم.

- أمّا النظم بعد عبد القاهر، فيشتمل على مدى تأثير من جاء بعده من القدماء، مثل: الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)؛ حيث جعل كتابه "الكشاف" تطبيقاً أميناً لكتابي عبد القاهر، والرازي (ت ٦٠٦هـ) لخص كتابي عبد القاهر تلخيصاً أميناً، والزملكاني (ت ٦٥١هـ) تأثر بكتاب دلائل الإعجاز، وجعل الإعجاز راجعاً في نواحي النحو وأحكامه في النظم، أما الخطيب القزويني فبالرغم أنه لخص كتاب السكاكي فهو متأثر بعبد القاهر، وكان عندما يردّ على السكاكي يردّ عليه من أمثلة عبد القاهر، ومن المحدثين: د. مهدي المخزومي (ت ١٤١٥هـ)، ود. تمام حسان (ت ١٤٣٢هـ)، ود. محمد حماسة عبد اللطيف (ت ١٤٣٦هـ)،

ود. فاضل السامرائي، ود. بدوي طبانه، ود. حمد صلاح بكر.

- إن عبد القاهر الجرجاني - من خلال نظرية النظم - اهتم بجانبي الصحة الداخلية (البنية أو الصرف والعلاقات والتراكيب)، والصحة الخارجية (المقام أو الحال)، ولا يخفى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، تحدد دلالة ألفاظها من خلال السياق وملابساته.

- تلاقى عبد القاهر الجرجاني مع علماء اللغة المحدثين بفكره الفذ داخل مجال البحث اللغوي في قضية العلاقات القائمة بين الفكر واللغة من أن لا كياناً للغة إلا في أذهان الأفراد، ولا وجوداً للأفكار بدون كلمات، ولا حياةً للكلمات بدون أفكار، وأن اللغة هي أساس الفكر، وأنها طريق الإنسان إلى إدراك الحياة ومعرفة الحقيقة.

الهوامش:

(١) بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري: النجوم الزاهرة في ملوك مصر - والقاهرة، مصر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، (د.ت)، ١٠٨/٥، والأنباري، أبو

- البركات، كمال الدين، عبدالرحمن بن محمد: **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الأردن- الزرقاء، مكتبة المنار، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ٢٥١.
- (٢) الجرجاني، عبدالقاهر: **المقتصد في شرح الإيضاح للإمام عبدالقاهر الجرجاني النحوي**، تحقيق: د. الشرييني شريدة، العراق، دار الحديث، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، ينظر، **المقتصد في شرح الإيضاح**، ١٦/١- ١٧٤-٢١٦-٢٦١-٣٢٨-٣٦٠-٣٨٧، ٦٧-٨٥-٩٨-١٨٩-٢٦٣-٣٠٣-٣٢٩-٣٣١.
- (٣) كُلاب، أحمد عاطف، **منهج الإمام عبدالقاهر الجرجاني في عرضه المسائل النحوية- دراسة تحليلية**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة، ٢٠١٣م، ص ١١.
- (٤) **المصدر نفسه**، ص ١٣- ١٤ - ١٦ - ٤٥.
- (٥) الجرجاني، عبدالقاهر: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا، بيروت- لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، انظر، تفصيل هذا في المدخل صفحات/ ب ق ر.
- (٦) **المصدر نفسه**، ص ٨٣.
- (٧) **المصدر نفسه**، ص ١١٢.
- (٨) **المصدر نفسه**، ص ١٣٢- ١٣٣.
- (٩) **المصدر نفسه**، ص ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩- ١٦١- ١٦٢.
- (١٠) **المصدر نفسه**، ص ١٧٠- ١٧١.
- (١١) **المصدر نفسه**، ص ٢٤٢.
- (١٢) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل: **الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، ص ١٦١.
- (١٣) الجرجاني، عبدالقاهر: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص ٤٠.
- (١٤) **المصدر نفسه** في المدخل، صفحة/ث، معنى تزجيته: تسوقه، توخيه: تحري الشيء أو تعمد طلبه.
- (١٥) **المصدر نفسه**، ص ٤٣.
- (١٦) **المصدر نفسه**، ص ٤٠- ٤١.
- (١٧) العشماوي، محمد زكي: **دراسات في النقد الأدبي المعاصر**، مصر، دار الشروق، (د.ت)، ص ٣٠٣.
- (١٨) الجرجاني، عبدالقاهر: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، المدخل، صفحة/ ص.
- (١٩) **المصدر نفسه**، ص ٤٤.
- (٢٠) **المصدر نفسه**، ص ٤٤ - ٤٥.

وينظر حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٨٨.
(٣٠) ليونز، جون: نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق: د. حلمي خليل، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م، ص ٧٢.
(٣١) حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٨٧.
(٣٢) المصدر نفسه، ص ١٨٨.
(٣٣) طبانة، بدوي: البيان العربي (دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى)، جدة، دار المنارة، الطبعة السابعة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص ١٩٨.
(٣٤) عبدالمطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، لبنان، مكتبة لبنان، (د.ت)، ص ٥٣.
(٣٥) لاشين، عبدالفتاح: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، دار المريخ، السعودية، (د.ت)، ص ٨٢.
(٣٦) حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٨٨.
(٣٧) الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٤٤.
(٣٨) حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٨٨.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٦٤-٦٥.
(٢٢) المصدر نفسه، ص ٧٠.
(٢٣) المصدر نفسه، ص ٤٠٤.
(٢٤) عمار، أحمد سيد: نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم: دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ١٦٧.
(٢٥) أبو موسى، محمد: مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني: القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ٥٢-٥٣.
(٢٦) القرطبي، ابن مضاء: الرد على النحاة: دراسة وتحقيق: د. محمد إبراهيم البناء، القاهرة، دار الاعتصام، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص ٤٦.
(٢٧) المخزومي، مهدي: في النحو العربي- نقد وتوجيه، بيروت، لبنان، دار الرائد العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ٧٠-٧٦-٨١.
(٢٨) حسان، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص ١٨٦-١٨٩.
(٢٩) الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٢٨٢.

النجار، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، (د.ت)، ٢٠٣٨٨/.

(٤٣) السامرائي، فاضل: معاني النحو: بغداد، جامعة بغداد، ١٩٨٧م، ١/١٩.

(٤٤) عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٥٢-٥٣.

(٤٥) بكر، محمد صلاح: النحو الوصفي في ضوء القرآن الكريم، القاهرة، دار غريب، ١٩٧٩م، ١/٧٠-٧١.

(٤٦) ينظر، حسين، محمد الخضر: دراسات في العربية وتاريخها، دمشق، المكتب الإسلامي ودار الفتح، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص ٢٠٠-٢٠٤، وعرفة، محمد أحمد: النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، القاهرة، مطبعة السعادة، (د.ت)، ص ٢٥-٦٠.

(٤٧) عرفة، محمد أحمد، النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، ص ٢٥.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٢٥-٦٨.

(٤٩) حسين، محمد الخضر: دراسات في العربية وتاريخها، ١٩٨-٢٠٤.

(٥٠) الجرجاني، عبد القاهر، الجمل في النحو، حققه وقدم له: علي حيدر، دمشق، مكتبة لسان العرب، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ١٢.

(٣٩) عبد اللطيف، محمد حماسة: النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، مصر، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، ص ٢٧.

(٤٠) سيبويه، أبو بشر- عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ١/٣٢، ١٢٢، وعبد اللطيف، محمد حماسة: بناء الجملة العربية، القاهرة، دار الشروق، ١٩٦٦م، ص ١٩.

(٤١) المبرد أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت، عالم الكتب، (د.ت)، ١٠-٨/١، ٦٩-٦٨/٢.

(٤٢) ينظر، سيبويه: الكتاب، ٨٨/٢-١٢٨، والمبرد: المقتضب، ٨/١، وحماسة: بناء الجملة العربية: ص ٢٠، وعبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٤٦٦، والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ٢٦/١، وابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص: تحقيق: محمد علي

(٥١) مراد، وليد محمد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ١٥٥.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٥٣) حماد، أحمد عبد الرحمن: العلاقة بين اللغة والفكر دراسة للعلاقة اللزومية بين الفكر واللغة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م، ص ٧.

(٥٤) فريحة، أنيس: نظريات في اللغة، بيروت، دار الكتاب، ١٩٧٣م، ص ١٦.

(٥٥) أنيس، إبراهيم: من أسرار اللغة، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م، ص ١٥١-١٥٢.

(٥٦) عبد القاهر، الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص ٣٣٠.

(٥٧) مندور، محمد، الميزان الجديد، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر- والتوزيع، طبعة ٢٠٠٤م، ص ١٤٨.

□ ظواهر أسلوبية في شعر سعيد يعقوب

□ ديوان "عبير الشهداء" أنموذجاً

□

د. أحمد غالب الخرشة*

د. عمر أحمد الربيعات**

تاريخ الوصول: ٢٠١٧ / ١٢ / ٦ م

تاريخ القبول: ٢٠١٨ / ٢ / ١٩ م

المُلخَص

يهدفُ هذا البحثُ إلى دراسة شعر سعيد يعقوب دراسةً أسلوبيةً من خلال ديوانه "عبير الشهداء"، منطلقاً من ثلاث ظواهر كان لها حضورٌ واضحٌ في هذا الديوان، وهي: التَّنَاصُ، والتَّكرارُ، والانزياح التَّركيبيُّ، وقد خلص إلى أنَّ الشَّاعر استطاع أن يوظف هذه الظواهر في شعره بطريقة أسهمت في تكوين سياقات جديدة أثرت نصه الشعري وأبرزت طاقاته الإبداعية، حيث ظهرت قدرته على توظيف التَّنَاص الديني والتاريخي مما أسهم في إثراء تجربته الشعرية دلاليّاً وفنياً، وتبين لنا شيوع ظاهرة التكرار واستثمار الشَّاعر لها في توثيق عرى نصوصه، وتماسك تراكيبه، أمّا الانزياح التَّركيبي فقد أسهم في نقل نصوص الشَّاعر من بنيتها السطحية إلى بنى عميقة تحمل دلالات وإحياءات جديدة ساعدت على تعميق رؤيا الشَّاعر، وتأكيد معانيه.

*أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

**أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

Abstract

This paper aims at studying the Sa'eed Jacob poetry stylistically through his Divan entitled "Abeerosh Shuhada" (Martyrs' Attar). The study discussed three phenomena that have had clear presence in this Collection, namely: intertextuality, repetition, and structural shifting. The study concluded that the poet was able to employ these phenomena in his poetry, which contributed to the formation of new contexts influencing the poetic text and highlighting his creative potentials. The poet's ability to employ religious and historical intertextuality appeared, leading to enrich his poetic experience semantically and artistically. Further, the study shows the prevalence of repetition phenomenon and how the poet made use of it in documenting the texts and cohering to its structures. However, the structural shifting has contributed to transfer the poet's texts from the surface structure to deep structure carrying new connotations and implications that helped to deepen the vision of the poet and confirm its meanings.

المقدمة:

إنَّ الناظر في الدِّراسات الحديثة يجدها تولي الشعر العربي أهميةً كبيرةً من حيث جعله ميداناً للبحث والدِّراسة، منطلقاً في ذلك مما وفَّره النقد الحديث من مناهج مختلفة تهدف جميعها إلى كشف أغوار النصِّ الشعري وتجاوز ظاهره إلى عمقه الذي يحوي خصائصه المُميزة، ومن هنا وقع اختيارنا في هذا البحث على ديوان "عبر الشُّهداء" للشاعر سعيد

يعقوب لدراسته دراسةً أسلوبيةً؛ بغية الوقوف على ما جاء فيه من نصوصٍ شعريَّةٍ لاستجلاء معالمها وخبائها الفنية، والكشف من خلالها عن أسلوب الشاعر الذي أعطاه طابعاً خاصاً ميز صوته الشعري، وجعل له خصائص أكسبته تفرداً بين أقرانه.

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول إنتاجَ شاعرٍ لم يحظَ -في حدود اطلاعنا- بأية دراسة أسلوبية أو فنية تفهيه

حقّه الأدبي، وزاد من رغبتنا في دراسة هذا الموضوع ما تضمنته تجربة سعيد يعقوب عامةً وديوان "عبر الشهداء" خاصةً من ظواهر أسلوبية أثرت قصائده بإمكانات وطاقت تعبيرية وجمالية تستهوي الباحث وتحنّه على دراستها وتحليلها.

وقد شغل هذا البحث ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول ضربين من أضرب التناسّ التي وظّفهما سعيد يعقوب في ديوانه، هما: التناسّ الديني، والتناسّ التاريخي، في حين تناول المبحث الثاني ظاهرة التكرار في هذا الديوان، فوقف عند تكرار الحرف، وتكرار الكلمة، وتكرار العبارة، أمّا المبحث الثالث فقد تناول الانزياح التركيبي (التقديم والتأخير، والالتفات) في الديوان موضع الدراسة.

وبعد، فلا ندعي في هذا البحث أننا وقفنا على القضايا أو الظواهر التي تتعلّق بشعر سعيد يعقوب كافة، وحسبنا أننا حاولنا استكناه شعره، وسبر أغواره، أملين أن يكون هذا البحث لبنّة أساسية في دراسة نتاحه الشعري بصورة كاملة.

تهيد- الدراسة الأسلوبية: غرضها وقيمتها:

تعدّ الأسلوبية من المناهج النقدية الحديثة التي تسعى إلى دراسة النصّ الأدبي معتمدةً على التفسير والتحليل، فقد استطاعت بفضل إمكاناتها الفنية واعتمادها على الدراسات اللغوية الحديثة

التعامل مع القضايا التي تتداخل وتتشابك داخل النصّ الأدبي مثل القضايا الدلالية والتركيبية والصوتية؛ لأنها تسعى في النهاية إلى تحليل النصّ الأدبي واكتشاف جوانب الجمال فيه، وتحديد المعنى من خلال العلامات اللغوية وطريقة استخدامهما في النصّ، إذ تبدو أهمية التحليل الأسلوبي في أنّه "يكشف المدلولات الجمالية للنصّ، وذلك عن طريق النفاذ في مضمونه وتجزئة عناصره، والتحليل بهذا يمكن أن يمهّد الطريق للناقد ويمهّد بمعايير موضوعية يستطيع على أساسها ممارسة عمله النقدي وترشيد أحكامه، ومن ثمّ قيامها على أسس منضبطة"^(١)، ومن هنا تبرز أهمية الدراسات الأسلوبية في تجاوزها مجرد الجوانب الشكلية والتحليل السطحي-الذي يكتفي بالشرح- إلى البحث عن خصوصيات التعبير الأدبي، ونظراً لأهمية التحليل الأسلوبي في اكتشاف طاقات النصّ والوقوف على جمالياته، آثرنا في هذا البحث دراسة أبرز الظواهر الأسلوبية في ديوان (عبر الشهداء) للشاعر سعيد يعقوب^(٢)، وهذه الظواهر هي:

المبحث الأول: التناسّ:

يعدّ مصطلح التناسّ من المصطلحات النقدية الغربية التي تلقّاها الدارسون والنقاد العرب في العصر الحديث بالدرس والتحليل مؤكّدين أهميتها في إنتاج النصّ الأدبي، ومن هؤلاء

وفي هذا المبحث سنعمد إلى دراسة أبرز أشكال التناص التي وظفها سعيد يعقوب في ديوانه "عبير الشهداء":

أ- التناص الديني:

تحتل النصوص الدينية مساحة واسعة في الديوان ميدان الدراسة، ولعل ذلك يعود إلى ما تتسم به هذه النصوص من قوة في التراكيب وعمق في الدلالة وبلاغة في الألفاظ والمعاني والأساليب، والمتأمل في هذا الديوان يجده يفتح على النص القرآني وفق نمطين من أنماط التناص، هما:

١- التناص المباشر (التركيب):

يتناول هذا النمط من التناص القرآني التراكيب القرآنية التي وظفها سعيد يعقوب بشكل مباشر في نصوصه الشعرية، واتكأ عليها اتكاء واضحاً، وكان لها دور في إنتاج الدلالة ولفت انتباه المتلقي^(١)، ومثال ذلك قوله:

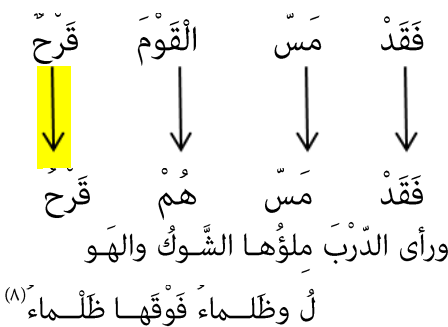
وَلَا تَهْنُؤُوا فَالْتَصِرْ لَابَدًا قَادِمٌ

وَإِنْ مَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّهُمْ قَرْحٌ^(٢)

نلاحظ أن هذا البيت جاء متواشجاً ومتماهياً مع النسيج القرآني، إذ نراه يتناس في قوله: (ولا تهنؤوا) مع الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَهْنُؤُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:

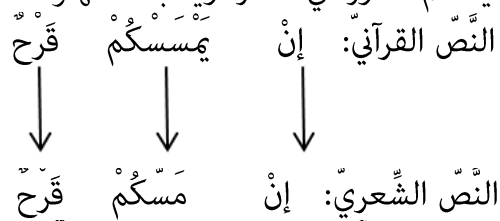
النقاد عبدالله الغدامي الذي يرى أن العمل الأدبي "يدخل في شجرة نسب عريقة ممتدة تماماً مثل الكائن البشري، فهو لا يأتي من فراغ، كما أنه لا يفضي إلى فراغ، إنه نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي، وهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه"^(٣)، ويلتقي الغدامي هنا مع عبد الملك مرتاض الذي يرى أن "كل نص جديد نجد فيه بالضرورة نصوصاً أخرى، ولكن تحت أشكال مختلفة معظمها غير مرئي ولا مباشر...."^(٤)، وليس الهدف هنا عرض آراء هؤلاء النقاد ومواقفهم من هذه الظاهرة لكثرتها وتنوعها، وإنما نكتفي من بين هذه الآراء بما قاله أحمد الزعبي الذي عرف التناص تعريفاً يلخص ما قاله الآخرون، حيث يقول: "التناس، في أبسط صوره، يعني أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمن أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل"^(٥)، فالتناس إذن يقوم على استيعاب النصوص السابقة واحتوائها، واستثمار المبدع له يكشف عن مخزونه الثقافي العميق، وحمولاته المعرفية الواسعة، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإنه يثري الدلالة ويسهم في تشكيل لغة شعرية تؤثر في المتلقي.

ينفتح على ذاكرة قرآنية مشحونة بتسليية الله تعالى لنبيه وللمسلمين وبث السكينة والطمأنينة في نفوسهم، لهذا تناص مع قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، والدارس يلحظ أن يعقوب تناص مع هذه الآية الكريمة بشكل مباشر واقتبس منها تركيباً يمكن توضيحه بالشكل الآتي:



فألفاظ الشطر الثاني من هذا البيت تكشف عن اقتباس واستثمار لتركيب قرآني ورد في قوله تعالى: ﴿لَجِيَّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ

[١٣٩] وقد اتضح استثمار يعقوب لهذا النص القرآني في معرض خطابه للمجاهدين من أبناء القدس، وما يتضمنه هذا الخطاب من دعوة صريحة للثبات في وجه الأعداء ومقاتلتهم دفاعاً عن الأرض والعرض، وهكذا يأتي نص يعقوب متوافقاً في دلالاته مع النص القرآني، فالنصان يتشابهان في أن كلا منهما يحمل معنى النص والإرشاد لأولئك الذين يدافعون عن الحق ويقفون في وجه الباطل، ولم يكتف يعقوب بما ورد في صدر البيت من تناص قرآني، بل نجده يوظف الخطاب القرآني بوعي ومقصدية، إذ نلمح ذلك من خلال ما جاء في عجز البيت من تناص يدعم ما ورد في صدره ويطابقه، فهو



فالتنص هنا مع النص القرآني واضح لفظاً ومعنى، وهو يظهر قدرة الشاعر على نقل تراكيب القرآن الكريم واستثمارها لخدمة ما يريد التعبير عنه وهو محاولة التخفيف عن أهل القدس وتسليتهم من خلال تذكيرهم بما حصل مع من سبقهم من المسلمين.

ويتابع يعقوب تناصه مع التراكيب القرآنية في وصفه للطريق التي يسلكها الشهيد، فيقول:

الله ﷻ: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"^(١٠)، وهو في تعالقه وتقاطعه مع هذا الحديث النبوي يهدف إلى تذكير الأمة بما يجب أن تكون عليه، ويدعوها إلى العودة لما كانت عليه من وحدة وتماسك.

٢- التناسخ غير المباشر (الإحالي):

يعدّ هذا النمط من التناسخ أقل ظهوراً مقارنةً بالتناسخ المباشر (التركيبي) الذي يظهر بشكل واضح وجلي، فهو "لا يعلن عن وجود ملفوظ حرفي مأخوذ من نص آخر، ومندرج في بنيته بشكل صريح... وإنما يشير إليه، ويحيل الذاكرة القرائية عليه عن طريق وجود دالّ من دواله، أو شيء منه ينوب عنه"^(١١)، ومن أمثلته في ديوان سعيد يعقوب ما ورد في حديثه عن كرامة الشهيد، فيقول:

نحنُ موتى وأنتم الأحياء

فاندوبنا يا أيّها الشهداء^(١٢)

فهذا البيت الشعري -كما تلاحظ-

يحيل المتلقي بطريقة غير مباشرة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزِّقُونَ﴾

اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠]، ولكن الشاعر لا يقتبس الآية كلّها، بل يقتبس منها ما يخدم سياقه الدلالي واللفظي، فالخطاب القرآني يشير إلى أعمال الكفار التي تشبه في فسادها ظلمات بحر عميق مظلم، وقد استطاع يعقوب أن يستحضر هذا المعنى بصورة صريحة ليصفّ درب الشهيد الذي تحفّ به أخطار وأهوال كثيرة، مؤكّداً أنّ هذا الدرب لا يقلّ خطورةً عن ظلمات البحر، ونلاحظ أنّ يعقوب لم يعدّ ألفاظ الآية الكريمة أو يقتبسها اقتباساً كاملاً، بل أخذ بعض ألفاظها وعمل على مزجها وإعادة صياغتها لتتوافق والرؤيا التي أراد التعبير عنها مع إبقائه على خيوط مرجعية تحيلنا للنص القرآني.

وإلى جانب هذا التناسخ القرآني نجده يتناسخ مع الحديث النبوي الشريف؛ ليثري نصّه بما يحقّق رؤياه نحو الوحدة العربية وترابط أبناء الأمة، فيقول:

إنّما العربُ كجسمٍ واحدٍ

منذ عهدٍ مَوجلٍ في القدم

إنْ شكا عضوٌ سَقاماً مَسَّهُ

يتداعى الجسمُ عند السَّقَمِ^(٩)

فالشاعر في هذين البيتين يوظف البنيات التركيبية القارة في الحديث النبوي الشريف الذي رواه البخاري في صحيحه، عن النعمان بن بشير، يقول: قال رسول

تطعيم شعره بأساليب تتسم بالعمق والحيوية، هذا من جانب، ومن جانب آخر يحاول الشاعر أن ييث من خلال هذا التناس رؤياه وأفكاره المتمثلة بتذكير أبطال الانتفاضة بأن هذه الأمة ستبقى أكرم أمة أخرجت للناس، ولا بد أن يعود لها غدها المشرق مهما طال احتلالها.

وهكذا نلاحظ أن سعيد يعقوب تشرب آيات القرآن الكريم، واستوعب دلالاتها ومعانيها، واستثمر مفرداتها وتراكيبها الفريدة، فجاء شعره زاخراً بالتناسات القرآنية التي اكتفينا بالتمثيل عليها؛ لأنَّ المقام لا يتسع لعرضها كلها.

أ- التناس التاريخي:

يقوم هذا الضرب من التناس على استلham الشاعر لحوادث التاريخ وشخصياته في التعبير عن بعض جوانب تجربته الشعرية؛ "ليكسب هذه التجربة نوعاً من الكلية والشمول، وليضفي عليها ذلك البعد التاريخي الحضاري الذي يمنحها لونا من جلال العراقة"^(١٤)، ولهذا فإنَّ الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الرؤيا والقضايا والهموم التي يريد أن يوصلها للمتلقى، وهذا ما نلمسه بجلاء في ديوان يعقوب الذي استحضّر فيه مجموعة كبيرة من الشخصيات البطولية التي كان لها أثر واضح في إعلاء راية الحق في تاريخنا الإسلامي، ويمكن القول إنَّ التناس التاريخي عند سعيد يعقوب يندرج تحت

[آل عمران: ١٦٩]، فالشاعر لا يتكئ على النصّ القرآني اتكاء تاماً، بل يلتقط منه دلالات معينة ويعيد صياغتها بصورة جديدة؛ ليشكّل من خلالها سياقاً لغوياً جديداً يعبر عن صدق عواطفه ومشاعره تجاه الشهيد الذي يمثّل رمزاً للتضحية والفداء، وهذا التناس لم يأت جزافاً، بل نراه مقصوداً لذاته؛ لأنّه يتضمّن نقداً لأبناء الأمة العربية الذين تخلّوا عن دورهم الجهادي في سبيل الله وتحرير فلسطين المحتلة، فهم أموات والأحياء هم شهداء الانتفاضة الذين قدّموا دماءهم دفاعاً عن وطنهم.

وعلى هذا النحو يستلهم يعقوب النصّ القرآني ويحيل إليه في مواضع أخرى، كما في قوله:

ارفعُ جبينك يا ابنَ أكرمِ أمةٍ

طلعتْ على ظلمِ الوجودِ نهارةً^(١٤)

لقد استدعى الشاعر في هذا البيت بشكل إحالي غير مباشر قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وفي إفادة الشاعر من النصّ القرآني والتناس معه من خلال استحضار مضامينه الدلالية ما يؤكّد حرصه على

يستدعي هذه الشخصيات تعبيراً عن تفاؤله وأمله في تغيير هذا الواقع، فهو يوظفها في حديثه عن شهداء الانتفاضة الذين يرى فيهم امتداداً لهؤلاء القادة، فيقول:

يا أيها الشهداء لي شرف بأن

أحني الجبين أمامكم إكبارا

هذي الوجوه لمحت في قسمايتها

(زيداً) و (عبدالله) و (الطيّار)

هذي الدماء رأيتُ خلف جراحها

(ابن الوليد) و (خولة) و (ضرارا) ^(١٨)

فتناص الشاعر في هذه الأبيات يندرج تحت ما يسمّى بالتناص الموافق أو تناص التألف الذي يظهر في توظيف الشاعر للشخصيات التاريخية داخل نصه الشعري في محاولة للتوفيق بينها وبين واقعه المعاصر الذي يريد التعبير عنه ^(١٩)، فسعيد يعقوب يستحضر هذه الشخصيات التاريخية البارزة؛ بغية المزاوجة بين الماضي والحاضر، فشهداء الانتفاضة يعيدون لذاكرتنا البطولات التي قام بها القادة المذكورون في النص.

ولا يكتفي يعقوب باستحضار الشخصيات التاريخية في نصوصه، بل يستحضر الحوادث التاريخية البارزة في التاريخ الإسلامي محاولاً توظيفها في التعبير عما يجول في خاطره من أفكار

نمط واحد هو التناص المباشر الذي تُذكر فيه الشخصيات بشكل صريح في النص الشعري، سواء تغيرت دلالتها في السياق كلياً أو جزئياً ^(١٦)، ومن أمثلته في شعر يعقوب التناص مع شخصيات الصحابة الكرام وتابيعهم- رضوان الله عنهم جميعاً - حيث يقول:

أين منا (أبو عبدة) و (المقداد)

أين (القَعْقَاع) أين (ضرار)

أين (زيد) و (خالد) و (معاذ)

و (صلاح) و (جعفر الطيّار) ^(١٧)

ينفتح هذا النص بشكل مباشر على فضاء التاريخ الإسلامي مستحضراً مجموعة من الشخصيات التي تمثل رموزاً تحمل دلالات إيجابية، فالشاعر يصهر هذه الشخصيات في نسيج نصه الشعري ليكشف ضعف الحاضر وعجزه عن تحقيق نصر يرتقي إلى مستوى الانتصارات التي حققها هؤلاء القادة، فهو يبحث عن القائد المعاصر المعادل لهؤلاء القادة، وفي الوقت ذاته يدين استكانة العرب وتخاذلهم عن النهوض بواقع أمتهم والدود عن حماها.

ويستثمر الشاعر هذه الشخصيات مرةً أخرى في شعره، ولكن في صورة مخالفة لما سبق، فقد كان استدعاؤه لها في النص السابق لاستنهاض الواقع العربي المتهلوي، في حين أنه في النص التالي

وهموم، فها هو يستحضر حادثة "العهد
العمرية" في قصيدة "المسجد الأقصى"،
بقوله:

أَتَى الْفَارُوقُ تَعْظِيماً إِلَيْهِ

بِیَوْمِ الْفَتْحِ یَحْدُوهُ هَوَاهُ

فَاعْطَىٰ أَهْلَهَا عَهْدًا وَثِقًا

فَمَا انفَصَمْتُ عَلَى حَالِ عُرَاهُ^(٢٠)

فهو يشير إلى حادثة قدوم خليفة

رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى
المسجد الأقصى وتحريره من أيدي الأعداء
وإعطاء أهله أماناً وعهداً وثيقاً، ولكن هذا
الأمان لم يدم طويلاً، فقد تكالبت أيدي
الأعداء عليه مرةً أخرى:

ودارَ بأهلها دولابُ دهرٍ

يَقُلْ بِأَنْ تَقْرَ بِهِمْ خُطَاهُ

إِلَى أَنْ جَاءَ بِالصَّلْبَانِ قَوْمٌ

بِمَنكَرٍ صُنْعِهِمْ تَخْزِي الْجَبَاهُ

سری عنہم حدیث سوف تبقی

ترددُ كُلِّ ناحيةٍ صَداهُ^{٢١٩*}

لم يطل الأمان بهذا المسجد، فقد عادت أيام الظلم والاحتلال إليه، وقد وقع في الأسر مرةً أخرى، ولكن الله تعالى ساق له مَنْ يخرجه من ظلم المعتدين بعد أن عاثوا فيه فساداً بأفعالٍ تندى لها الجباه، يقول:

وَجَاءَ لَهُ (صَلَاحُ الدِّينِ) يَسْعَى

فحَرْرُورِدْ

لَهُ أَمَانًا

بِهِ أَوْدَى الْعَدُوَّ مَا جَنَاهُ

فَسَلِّ (حَطِينَ) عَمَّا دَارَ فِيهَا

وَمَا لَقِيَ الْعَدُوَّ وَمَا رَأَهُ^(٢٢)

يتابع يعقوب تسلسل الأحداث التاريخية التي مر بها المسجد الأقصى، مستحضراً شخصياتها، من الخليفة الفاتح عمر بن الخطاب إلى القائد المحرر صلاح الدين الأيوبي الذي كان له الفضل -بعد الله سبحانه وتعالى- في استعادة المسجد الأقصى وتحريره ونشر الأمان فيه، فأصبح مثلاً تحتذي به الأجيال، ورمزاً للقوة والفداء، ولكن هذا الأمان لم يطل مداه، فقد انشغلت الأمة بملذاتها، ودبّ الضعفُ في أوصالها، فسقط هذا المسجد من جديد بأيدي اليهود، يقول:

وَحِينَ الضَّعْفِ دَبَّ بِنَا وَكَلَّ

غدا يسعي به منّا انجّاهُ

هوَى بِيَدِ الْيَهُودِ فَأَوْسَعُوهُ

عَذَاباً طَالاً وَأَسْفاً مَدَاهُ^(٢٣)

بَغْدَادُ يَا أَلْقَ الرِّشِيدِ

يَسِيرُ فَوْقَكَ فِي جَلالِ

بَغْدَادُ يَا ذَكَرَى السَّحَابَةِ

وَهِيَ تُصْغِي فِي انْذَهالِ

(أَنْ تَشَائِي أَهْمِي فَكُلُّ الْأَرْضِ

أَضَحَتْ بَيْتَ مَالِ)

بَغْدَادُ يَا عَمْرُو بْن

بَحْرٍ وَابْنِ سِينَا وَالْغُـ

وَالْبَحْثَرِيِّ وَمَنْ يَضِيقُ

بِـذِكْرِهِمْ وَسُـحُ الْمَقَالِ^(٢٥)

يتكئ يعقوب في هذه الأبيات على التناسل التاريخي في رسم لوحة فنية تميزت باستثماره الفريد للشخصيات التاريخية وتوظيفها في نصه الشعري، فهو يحشد عدداً من هذه الشخصيات التي تبعث في نفس المتلقي دلالات عميقة تضعه في صورة الواقع الذي وصلت إليه بغداد اليوم بعد أن تكالب الأعداء عليها، فيتألم لضعفها بعد قوتها، وتخلّفها بعد أن كانت منبعاً للحضارات المختلفة، وهكذا استطاع الشاعر أن يوظف هذا النوع من الشخصيات في إطار المفارقة التصويرية بهدف إبراز التناقض الحاد بين روعة الماضي وتألقه وازدهاره، وبين ظلام الحاضر وفساده وتدهوره^(٢٦).

ولا يخفى ما في النص من إدانة للواقع العربي والإسلامي المتردي، ومن هنا فهو ينتظر عودة الفاروق عليه السلام أو صلاح الدين الأيوبي، لعلهما يخرجان الأمة من ضعفها وهوانها، ويعيدان للمسجد الأقصى ألقه من جديد، وهكذا استطاع يعقوب أن يستلهم هاتين الحادثتين التاريخيتين ويتناس مع شخصياتهما (عمر بن الخطاب، وصلاح الدين الأيوبي) مستذكراً فضل هذين القائدين في تحرير المسجد الأقصى في العصور السابقة، وهو في الوقت ذاته يوجه من خلال هذا التناسل نقداً مبطناً لأبناء الأمة العربية الذين أخذت الأمم تتكالب عليهم نتيجة فرقتهم واختلاف كلمتهم، الأمر الذي أدى إلى رجوع المسجد الأقصى تحت وطأة الاحتلال الذي طالت إقامته.

ويستمر يعقوب في استدعاء الحوادث والشخصيات التاريخية وتوظيفها في قصائده؛ لإثراء تجربته الشعرية وتعميقها دلاليّاً وفنياً، بفضل ما تتيحه تلك الشخصيات للشاعر من قدرة على الإحياء والتأثير ونقل تجربته من التسجيلية والمباشرة إلى التعميق والتوظيف^(٢٤)، ومثال ذلك قوله:

المبحث الثاني: التكرار

يعدّ التكرار من الظواهر الأسلوبية التي حظيت باهتمام الشعراء القدماء والمحدثين على حدّ سواء؛ لما تضطلع به هذه الظاهرة من دور رئيس في بناء النصوص الشعرية، فقد "جاءت على أبناء هذا القرن فترة من الزمن عدّوا خلالها التكرار، في بعض صورهِ، لونهاً من ألوان التجديد في الشعر"^(٢٧)، بفضل ما يمتاز به هذا الأسلوب من إمكانيات تعبيرية وإيحائية وجمالية يستطيع الشاعر من خلالها أن يرتفع بنصه إلى مرتبة الأصالة والجودة، مقارنة بأسلوب التكرار في الشعر العربي القديم الذي "ظلّ في إطار محدود سواء في أنماط بنائه أم في دلالاته"^(٢٨).

فالتكرار كما ترى نازك الملائكة "إلحاح على جهة مهمة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، وهذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كامناً في كلّ تكرار يخطر على البال، فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلّم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلّل نفسية الكاتب"^(٢٩)، وبناء على ذلك يصبح التكرار مفتاحاً يلجّ القارئ من خلاله إلى نفسية الشاعر؛ لأنّ استخدامه بصورة ملحة يلفت انتباه المتلقّي ويدفعه إلى البحث فيما يؤرّق فكر الشاعر حتى

اضطرّ إلى التكرار الذي يكشف به عن رسالته التي يريد أن يوصلها إلى كلّ من يقرأ نصّه.

وقد استطاع سعيد يعقوب أن يوظّف أسلوب التكرار في ديوانه (عبير الشهداء) بأشكاله المختلفة، فالناظر في هذا الديوان يجد تكرار الحرف، وتكرار الكلمة، وتكرار العبارة، وكلّ شكل من هذه الأشكال يعمل على إبراز الجانب الدلالي، إضافةً إلى الجانب الموسيقي الذي يحدثه التكرار في السياق الشعري، ومن صور التكرار في شعره:

أولاً - تكرار الحرف:

ونقصد به تكرار حروف المعاني (الأدوات) بأنواعها المختلفة كحروف الجر، والعطف، والنصب، والجزم... وغيرها، أمّا تكرار حروف المباني (الهاء) فلم نقف عنده؛ لأنّه لا يمثّل ظاهرة في الديوان موضع الدراسة، ويؤدي هذا اللون من التكرار دوراً مهماً في تماسك بنية النصّ وتلاحمها، إضافةً إلى دوره في إظهار البنية الإيقاعية التي تكسب الأذن أنساً وتشدّ انتباه المتلقّي إليه، ومن أمثلة هذا التكرار في ديوان يعقوب تكراره لحرف العطف (الواو) في قصيدته الموسومة بـ "القرآن الكريم"، حيث يقول فيها:

وحثّ على الصلّة وإنّ فيها

اتَّصَالاً بِالْإِلَهِ عَلَى الدَّوَامِ
وَأَوْصَى بِالزَّكَاةِ وَإِنَّ فِيهَا
دَوَاءَ الْفَقْرِ ذِي الدَّاءِ الْعُقَامِ
وَحِصٌّ عَلَى الْجَهَادِ وَإِنَّ فِيهِ
دِفَاعَ عَدِيٍّ وَدَفْعاً لَاهْتِضَامِ

وَقَالَ لَنَا أَعْدَاؤُ مَا اسْتَطَعْتُمْ
لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَوْ مِنْ لُجَامِ
وَأَعْلَى شَأْنٍ أَهْلُ الْعِلْمِ حَتَّى
عَلَيْهِ لِأَنَّهُ أَغْلَى وَسَامِ
وَأَرْشَدَنَا إِلَى أَدَبٍ رَفِيعِ
بِهِ صَرْنَا مَثَالاً لِلتَّسَامِي^(٣٠)

تضمّنت هذه الأبيات مجموعة من الفرائض التي فرضها الله تعالى كالصلاة، والزكاة، والجهاد، وبينت مرتبة أهل العلم وعلو شأنهم وقيمة الآداب والأخلاق الإسلامية، وقد أفاد الشاعر من تكرار حرف العطف "الواو" وما يحمله من معنى الجمع والمشاركة في الحكم؛ ليؤكد ضرورة الالتزام بهذه الفرائض والآداب جميعها، ولهذا فإن تكرار هذا الحرف تكراراً رأسياً في مطلع الأبيات أدّى إلى تلاحم أجزاء النصّ وتماسكها؛ لأنّه يمثّل نقطة ارتكاز ينطلق منها المعنى في كلّ بيت، وفي الوقت ذاته كثف تكرار حرف (الواو) النغمة الموسيقية في النصّ، يؤازره في ذلك تكرارها مرةً أخرى مقروناً بحرف

التوكيد (إنّ) في الشطر الأوّل من الأبيات الثلاثة الأولى، وهكذا تلتمح وظيفة التكرار الإيقاعية مع وظيفته الدلالية، فحرف الواو أصبح أداةً فاعلةً في توحيد جزئيات المعنى، وأضفى مزيداً من الانسجام الموسيقي بين أجزاء النصّ.

إنّ المتلقي لديوان "عبر الشّهداء" يلحظ أنّ ظاهرة التكرار بارزة في ثانيا قصائده، فهي تشكّل ملمحاً أسلوبياً بارزاً يحمل في طياته أبعاداً دلالية عميقة، وقد استوقفنا من هذه التكرارات تكراره لحرف النداء (يا) في قصيدته "زورة" في وهم "التي ضمّنها تكراراً أفقياً ورأسياً لهذا الحرف، في قوله:

وطني أيّها المـزّـرّ بالمجد

وبالورد والسُّننى والجـلال
يا حبيبَ الأرواحِ يا وهَجَ القُلُوبِ
المُدْمَى يا فيضَ قلبِ الظلالِ
يا سمَاءَ قد رصّعتها يـدُ الله
نُجُوماً نُضيءُ جُنْحَ الليالي

يا غراماً بقلبٍ صَبَّ مَعْنَى
ورؤى عذبةً بأجفانٍ شاءَ رُ
يا ترانيمَ عاشقٍ ذابَ وجَداً
وحينئذٍ يـفـرّ شوقاً مُسـافراً

يا ارتعاشات قلبي البكر يا لحناً

شجياً غفا على ثغر طائر

يا فلسطين يا موابك جرح

تأزف يا دُموع نفس أبيه^(٣١)

نلاحظ هنا أنَّ الشاعر كرّر حرف النداء (يا) إحدى عشرة مرة - رأسياً وأفقياً - في هذه الأبيات؛ ليشكّل لازمةً صوتيةً تعمل على إرساء بنية النص الموسيقية، فالتكرار ذو وظيفة إيقاعية تتحدّ مع وظيفته المعنوية، ومن غير الممكن الفصل بينهما في النص الشعري، وهذا ما نلمسه في أبيات يعقوب السابقة التي اكتسبت جرساً موسيقياً واحداً بفضل تكرار حرف النداء "يا"، وقد زاد من رتبة هذا الجرس تنوع المنادى مع ثبات الحرف المكرر "يا"، فقد ظهر هذا الحرف في كلّ بيت، فيما تنوعت الألفاظ التي تليه: "حبيب الأرواح، ووهج القلب، وفيض قلب الظلال، وسماء، وغراماً، وترانيم عاشق، وارتعاشات قلبي البكر، ولحناً، وفلسطين، وموابك جرح، ودُموع نفس أبيه"، ولكن هذا التنوع لم يقطع الإيقاع، بل بقيت الأبيات متجانسةً ومتتابعةً مما أسهم في تعميق الرؤيا التي يريدّها الشاعر، وهي بيان مدى حبه للوطن وتعلقه به من خلال تعدّد المنادى الذي دلّ على المعاني الكثيرة التي يحملها الشاعر للوطن في قلبه، وهكذا استطاع يعقوب أن يتخذ من التكرار الرأسي والأفقي في هذا النصّ مرتكزاً ينطلق منه للتعبير عن موقف

معين، وهو في الوقت ذاته أضفى على أبياته لوناً موسيقياً يشدّ السامع ويطرّبه.

ثانياً- تكرار الكلمة:

يعدّ هذا النوع من أكثر أنواع التكرار انتشاراً بين الشعراء سواء أكان هذا التكرار اسماً أو فعلاً، ويمكن دراسته في ديوان يعقوب من خلال محورين أساسيين، هما: التكرار الأفقي، والتكرار الرأسي الذي يتفوق في نسبة حضوره في ديوان يعقوب على التكرار الأفقي، ومن أمثله ما جاء في قصيدة الشاعر الموسومة بـ "طفل الانتفاضة"، حيث يقول:

طفل على أقدامه انتثرت

هذي النجوم ولم تزل تحبّو

طفل وأقسم ما هتفتُ بها

إلا ورّق على فمي الحبّ

طفل إذا نطقت حجارته

أصغى لقاتلها المدى الرحب^(٣٢)

نلاحظ أنَّ يعقوب يقيم هذه الأبيات على تكرار كلمة (طفل) تكراراً رأسياً؛ ليؤكد رؤيا النضال التي تسيطر عليه قاصداً إيصالها إلى المتلقي، ومفادها أنَّ هذا الطفل - على الرغم من صغر سنّه - وقف في وجه العدو المحتلّ ونهض بما لم يستطع أحد من العرب النهوض به، فتكرار هذا الاسم في مطلع كلّ بيت يكشف عن تسجيل الشاعر عتبه على

تقصير العرب عن القيام بدورهم في
مواجهة العدو وتركهم أطفال الانتفاضة
يقومون بهذا الدور وحدهم، ويعن
يعقوب في إيصال هذه الرؤيا من خلال
قوله في القصيدة نفسها:

يا أيها الطفل الذي افتخرتُ

منه العروبة إذ غفا العرب^(٣٣)

وهكذا استطاع الشاعر من خلال
هذا التكرار تحقيق التتابع الدلالي
والمعنوي لأبياته، حيث وُفِّق في رسم صورة
معبرة ومشركة لطفل الانتفاضة الذي
جعل منه عنواناً لقصيدته، فهذا التكرار
مرتبط بفضاء العنوان ومعبر عن معانيه
ودلالاته بطريقة تتداخل مع بنائه الفني
الذي وحد هذه الأبيات مع العنوان، مما
زادها تماسكاً دلاليّاً وتوافقاً إيقاعياً.

وفي موضع آخر يكرر الشاعر الفعل
"سَلْ"، ويأتي هذا التكرار في قصيدته
الموسومة بـ "عبير الشهداء" التي تحمل
عنوان هذا الديوان، حيث يقول:

سَلْ هـذِهِ الْأَغْوَارَ عَنْ قُطْعَانِهِمْ

لَمَّا غَدَتْ لِلْأَسَدِ مِثْلَ الشَّاءِ

سَلْ هَذِهِ الْهَضْبَاتِ عَنْ أَثْبَائِهِمْ

فَلَكُمْ لَدَى الْهَضْبَاتِ مِنْ أَنْبَاءِ

وَسَلِ "الكرامة" كَيْفَ فَوْقَ تُرَابِهَا

نَبَتَ الشُّمُوحُ مُخَضَّباً بِدَمَاءِ

وَسَلِ "الكرامة" كَيْفَ أَضْحَى تُرْبُهَا

مِنْ عَزَّةٍ وَكَرَامَةٍ كَسَمَاءِ^(٣٤)

كُرِّرَ الشَّاعِرُ الْفِعْلَ "سَلْ"

تكراراً رأسياً في مطلع الأبيات طالباً منّا أن
نسأل المكان الذي شهد موقعة الكرامة
عمّا لحق بالعدو من خسائر وهزائم،
وكأنّ الأمة لم يبقَ بها أحدٌ يشهد على
عزتها وقوتها في ردّ الأعداء والدفاع عن
الأوطان، ولهذا لجأ لسؤال المكان الأصم
لعلّه يجيبه على أسئلته ويصدق بصوت
عالٍ ويدعو إلى العودة إلى الأمجاد
السابقة، وقد استطاع الشاعر من خلال
البناء الأسلوبى لهذا التكرار أن يخلق
تلاحماً بين الأبيات، وهو تلاحم يعكس
نفسية الشاعر في حديثه عن البطولات
التي حقّقها شهداء معركة الكرامة وفخره
بها، آملاً أن يحقّق العرب انتصارات
مماثلة لها.

وقد ألحّ الشاعر على هذا اللون من
التكرار وجعل منه سمّةً لأكثر من قصيدة
في ديوانه؛ فهو في قصيدته "هواجس
شهيد" يكرر الفعل (ذَلْ) تكراراً رأسياً في
مطلع الأبيات، فيقول:

ذَلْ مَنْ سَلَّمَ خَصْماً

مَا رَعَى يَوْمَ ذِمَامَا

ذَلْ مَنْ هَلَلَّ بِالنَّيَا

وَكَتَسَى عَاراً وَذَامَا

ذَلْ مَنْ فِي وَجْهِهِ مَنْ يُـ

—وُذِيهِ لَمْ يَشْهَرْ حُسَامًا^(٣٥)

نلاحظ هنا تكرار الشاعر للفعل "ذَلْ" في إشارة منه إلى الذل والعار الذي أصبح ملتصقاً بالعرب بعد أن قاموا بمسألة الأعداء خوفاً من مواجهتهم، فهم لم يشهروا أسلحتهم لاستعادة حقوقهم المسلوبة، بل وشحوا أنفسهم بثوب الذل الذي حرص الشاعر على تكرار لفظه تكراراً رأسياً في مطالع الأبيات تعبيراً عن انفعاله مما وصل إليه العرب من ضعف وهوان وحياة ذليلة، ولهذا نستطيع القول إنَّ يعقوب أحسن اختيار الفعل، وأجاد في توظيفه وتكراره على هذا النحو الذي يعكس الواقع الذي نعيشه.

ثالثاً: تكرار العبارة:

يمثل هذا اللون من التكرار ملمحاً بارزاً من ملامح الشعر العربي الحديث؛ لما له من دور كبير في تلاحم بنية النص وتماسكها؛ فهو يضيف عليها أشكالاً هندسية تسهم في "تحديد شكل القصيدة الخارجي، ورسم معالم التقسيمات الأولى لأفكارها، لا سيما إن كانت ممتدة، وهو بذلك يشكّل نقطة انطلاق لدى الناقد عند توجهه للقصيدة بالتحليل"^(٣٦)، وقد وظّف سعيد يعقوب هذا اللون من التكرار في ديوانه في محاولة للكشف عن الحالة النفسية التي يعيشها، فالعبارة المكررة "تؤدي إلى رفع مستوى الشعور

في القصيدة إلى درجة غير عادية، تغني الشاعر عن الإفصاح المباشر، وتصل القارئ بمدى كثافة الدروة العاطفية عنده"^(٣٧)، ومن أمثلة هذا التكرار ما ذكره يعقوب في قصيدته الموسومة بـ "عبر الشهداء"، حيث يقول:

مَنْ كَالشَّهِيدِ رَجُولَةً وَبَطُولَةً

مَنْ كَالشَّهِيدِ نَدَى وَفِيضَ سَخَاءٍ^(٣٨)

يكرّر الشاعر تركيب "مَنْ كَالشَّهِيدِ" تكراراً أفقياً، مرةً في الشطر الأول، ومرةً في الشطر الثاني؛ ليؤكد أنّه ليس كالشَّهِيد أحدٌ في رجولته وبطولته وسخائه، فقد قدم أثنى ما يملك دفاعاً عن وطنه، ولهذا لا يضاويه أحدٌ من البشر، وفي هذا التكرار دلالةٌ عليّ فخر الشاعر بالشَّهِيد وصفاته، وهو فخر مسيطر عليه ظهر من خلال وضع التكرار في مطلع كلّ شطر، فجاء البيتُ في قالبٍ فني متماسك يشدُّ عجزه صدره، لافتاً انتباه المتلقّي إلى مكانة الشَّهِيد في ذات الشاعر التي تعبر عن ذات كلّ عربيٍّ ومسلم.

ويستثمر يعقوب هذا اللون من التكرار في وصفه لسيد الخلق محمد ﷺ

ودفاعه عنه في قصيدته الموسومة بـ " هذا مقام محمد"، حيث يقول:

هذا الذي أعطى النساء حقوقها

وحقوقها كانت تضيع وتهـدر

هذا الذي أعطى النساء كرامة

من بعد أن كانت تذلل وتقهـر

هذا الذي عتق الرقاب همكة

وعفا عن القوم الذين تجسروا

هذا الذي حطم الخرافة والذي

غدت العقول على يديه تُحرر

هذا الذي كشف الظلام بنوره

وأقبايات الكتاب يبشـر^(٣٩)

يسترعي انتباه المتلقي ما في هذه الأبيات من تكرار لتركيب (هذا الذي) متبوعاً بالفعل الماضي (أعطى، وعتق، وحطم، وكشف) وما يحمله كل فعل من دلالة التحقق والثبات، في إشارة من الشاعر إلى النبي محمد ﷺ الذي ارتبطت به هذه الأفعال والصفات من خلال الاسم الموصول (الذي)، فهذا التكرار له وقع انفعالي في وجدان المتلقي الذي يجد في كل بيت فعلاً يغير من واقع المجتمع العربي ويؤسس لصفة حميدة من صفاته عليه الصلاة والسلام، ولا يقف التكرار عند هذا الحد بل إنه يكشف عن حجم انفعال الشاعر الذي أخذ يتسع وينمو مع

نمو التكرار الذي تسرب إلى مفاصل القصيدة، وحمل في طياته دفاعاً وتبرئةً لبنينا محمد ﷺ من كل تهمة وجهت إليه، وهكذا ندرك أن التكرار في شعر يعقوب ليس مجرد زينة أتي بها في تضاعيف قصائده ليمنحها جمالاً إيقاعياً فحسب، بل جاء لفاعليته وقدرته على إثراء النص والنهوض بتجربة الشاعر والتعبير عن مشاعره وعواطفه.

ومن الأمثلة التي جاء بها تكرار العبارة في شعر يعقوب تكرار شطر بأكمله، ومن ذلك قوله في قصيدة "بغداد":

ما عادَ حدَّ فاصلٍ

بين العقلِ والخبالِ

ما عادَ حدَّ فاصلٍ

بين القباحةِ والجمالِ

ما عادَ حدَّ فاصلٍ

بين القطيعةِ والوصالِ

ما عادَ حدَّ فاصلٍ

بين الحقيقةِ والخيالِ

ما عادَ... بَحَّ الصَّوتُ... جَفَـ

ـف الحلق...ماذا قد جرى لي^(٤٠)

في هذا المقطع يكرر يعقوب الشطر الأول من البيت (ما عاد حد فاصل) بأكمله، ومما لا شك فيه أن هذا التكرار

يولد قوةً إيحائيةً تعبر عما يختلج في
مكنون الشاعر من عدم معرفة لما يدور
حوله، فالذي يجري لأمتة العربية من
اغتناب لمقدساتها، وتدمير لحضاراتها،
جعل الشاعر يدخل في حالة من اللاوعي،
فلم يعد هناك ما يفصل بين العقل
والجنون، ولا بين القبح والجمال، ولا بين
القطع والوصل، ولا بين الحقيقة والخيال؛
ليعيش الشاعر حالة من الإغتراب الروحي
والضياع القيمي، فقد بح صوته، وجف
حلقة من كثرة استفساره عن الذي حصل
لبلاده دون أن يجد إجابة؛ لترك النص
مفتوحاً كما هي أسئلته التي لم تجد صدىً
أو مجيباً، وهكذا أسهم التكرار في التعبير
عن الحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر،
وأضفى على النص إيقاعاً موسيقياً يلفت
انتباه القارئ.

المبحث الثالث: الانزياح التركيبي

من المعلوم أن ضوابط اللغة
وقواعدها النحوية تحصر على أن تأتي
الألفاظ في مواطنها الأصلية التي وضعها
النحاة لها، لتحقيق البعد النفعي أو
الوظيفي للغة، إلا أن الالتزام بهذا النظام
ليس مطرداً دائماً، بل إنه يسمح للمبدع
بالخروج عن هذه القوانين المعيارية
ليحقق الوظيفة الإبداعية للغة، لأن
"تحريك الكلمة أفقياً إلى الأمام، أو إلى
الخلف يساعد مساعدةً بالغةً في الخروج
باللغة من طابعها النفعي إلى طابعها
الإبداعي"^(٤١)، وهذا الخروج هو ما أطلق

عليه في النقد الحديث مصطلح "الانزياح
التركيبي" الذي يسعى المبدع من خلاله
إلى تحقيق سمات جديدة للنص الأدبي
تعجز اللغة عنها في حال تمسكها بأبعادها
المعيارية المتعارف عليها.

وما يعنينا في بحثنا هذا هو الوقوف على
أبرز صور الانزياح التركيبي في ديوان "عبر
الشهداء" للشاعر سعيد يعقوب مقتصرين
على التقديم والتأخير الذي يعد من أبرز
عناصر الانزياح التركيبي وأكثرها وضوحاً،
بل إنه يعد من أقوى الأسباب المفضية إلى
الإبداع الفني، إضافةً إلى الوقوف على
الانزياح في إسناد الفعل، ولكي لا نطيل
الحديث عن جماليات هذا الأسلوب، فإننا
نتنقل إلى رصد بعض نماذجه في الديوان
ميدان الدراسة، فالناظر في هذا الديوان
يستطيع أن يقف على أبرز صور الانزياح
التركيبي فيه، وهي:

أولاً: التقديم والتأخير

أ- الانزياح في بنية الجملة الاسمية:

إن الأصل الظاهر في ذهن المتلقي
لترتيب عناصر الجملة الاسمية هو أن
يتقدم المبتدأ على الخبر في الجملة
المجردة، أو في حال دخول الأفعال
والحروف الناسخة، ولكن قد يتأخر المبتدأ
ويتقدم الخبر عليه لمقاصد وأغراض بلاغية
كثيرة، منها: العناية والاهتمام، والتوكيد،
والتخصيص والقصص، والتعظيم،

والتشويق،.... وغيرها من الأغراض البلاغية الأخرى^(٤٢)، ومن أمثلة تقدّم الخبر على المبتدأ في هذا الديوان، قول يعقوب:

لَكَ فِي الدَّهْرِ طَيِّبُ الذِّكْرِ وَالْفَخْرِ

وَفِي جَنَّةِ الْخُلُودِ الْجَزَاءُ

لَكَ فِي قَلْبٍ كُلِّ حَرٍّ مَكَانٌ

يَدْرُكُ النَّجْمَ كِي يَرَاهُ الْعِيَاءُ

لَكَ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ صَلَوَاتٌ

وَدَعَاءٌ يَتْلُوهُ فِيهِ دَعَاءُ^(٤٣)

نلاحظ هنا أنّ يعقوب يلفت انتباه المتلقّي من خلال حرصه على أن يخالف المستوى السطحي للجمال الاسمية في الأبيات الثلاثة السابقة الترتيب الأمثل للمبتدأ والخبر، فهو يكشف لنا عن انزياح في التركيب يظهر من خلال تقديم الخبر (لَكَ) على المبتدأ (طَيِّبُ الذِّكْرِ وَالْفَخْرِ)، و(مَكَانٌ...)، و(صَلَوَاتٌ وودعاء...))، وكان مقتضى ظاهر السياق يقتضي- أن يكون (طَيِّبُ الذِّكْرِ لَكَ)، (مَكَانٌ لَكَ)، و(صَلَوَاتٌ وودعاء لَكَ)، ولكن السياق لم يرد على هذا النحو؛ ليحقق من خلال التبادل المكاني ما بين المبتدأ والخبر فائدة بلاغية تتمثل في حصر- هذه الصفات، بالشّهد (لَكَ) دون غيره.

ومن الأمثلة الأخرى لهذا الانزياح الواقع بين ركني الجملة الاسمية، قوله:

زَقَّتِ الْحُورُ لِلْجَنَانِ شَهِيداً

حَوْلَهُ الصَّدِيقُونَ وَالْأَنْبِيَاءُ^(٤٤)

فالمستوى السطحي للجملة الاسمية "حولهُ الصديقون والأنبياء" في الشطر الثاني من البيت يظهر فيه انزياح في التركيب ومخالفة في الترتيب الأمثل لركني الجملة الاسمية، فقد تقدّم الخبر شبه الجملة الظرفية "حولهُ" على المبتدأ "الصديقون والأنبياء"؛ لتخصيص مكانة الشّهد حيث الصديقون والأنبياء حولهُ، فهو البؤرة التي يجتمع حولها أصحاب المكانة العالية من الصديقين والأنبياء، وهكذا أسهم التقديم والتأخير في بيان المكانة التي يحتلّها الشّهد بعد استشهاده.

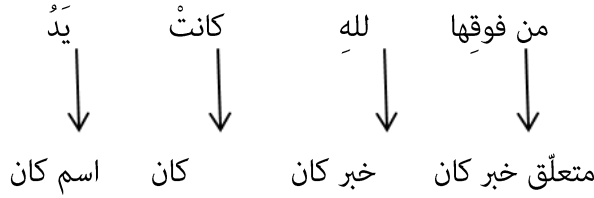
وهناك نمطٌ من أنماط التقديم في الجملة الاسمية يتمثل في تقديم خبر الأفعال الناسخة ومتعلّقه على اسمها، ومثال ذلك قول يعقوب:

وَالنَّصْرُ لَمْ تَظْفَرْ بِهِ إِلَّا يَدٌ

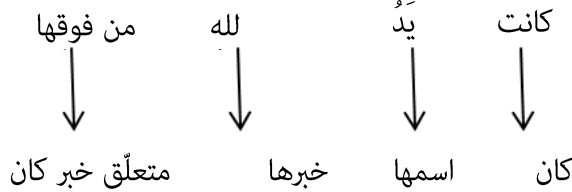
مِنْ فَوْقِهَا لِلَّهِ كَانَتْ يَدٌ^(٤٥)

فالانزياح في بنية الجملة الاسمية يوضّحه الشكل التالي:

البنية السطحية المخالفة لمقتضى الظاهر:



البنية العميقة حسب مقتضى الظاهر:



المعنى أن يتحقّق لولا تقديم خبر كان ومتعلّقه على اسمها.

ب- الانزياح في بنية الجملة الفعلية:

تتخذ مخالفة الترتيب المكاني في الجملة الفعلية أشكالاً مختلفة، ليس من أهداف البحث حصرها كلّها، وإمّا التمثيل على بعض صورها التي وردت في ديوان سعيد يعقوب، ومنها تقديم المفعول به الذي يأتي في الأصل بعد إتمام الإسناد، فيتأخّر عن الفعل والفاعل، ولكن قد يتقدّم على الفاعل لغرض بلاغي، ومثاله قول الشاعر:

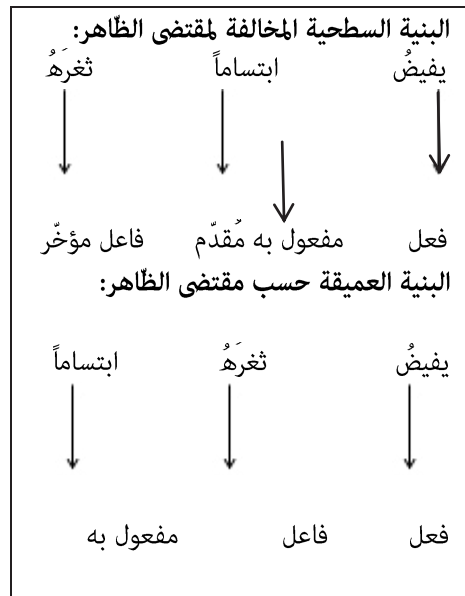
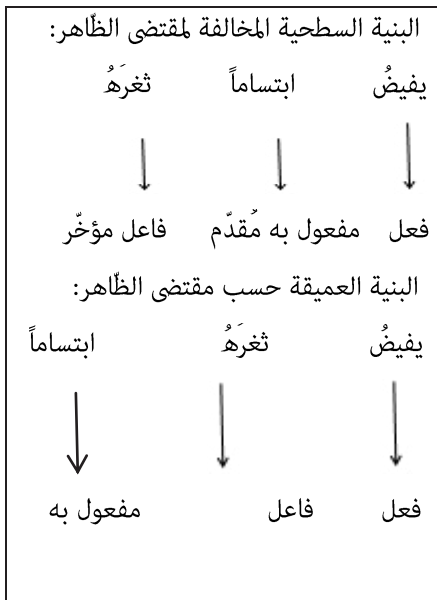
يفيضُ ابتساماً ثغره وهو حاقِدٌ

ومنه على غدرٍ لقد طوي الكِشْحُ^(٤٦)

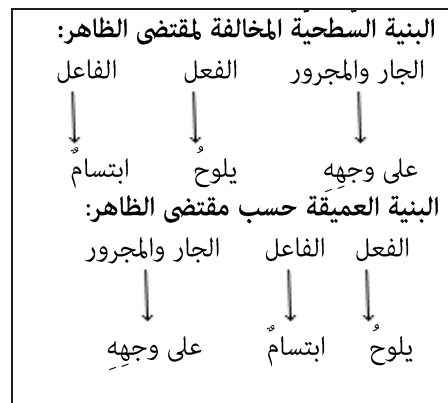
ففي هذا السياق الشعري مخالفة لمقتضى الظاهر في ترتيب عناصر الجملة الفعلية يوضحها الشكل الآتي:

نلاحظ أنّ الشاعر قدّم في هذا

البيت خبر كان ومتعلّقه "من فوقها لله" على اسمها "يدُ"؛ ليؤكد أنّ ثمة علاقة متلازمة بين اليد التي تظفر بالنصر ويد الله المُسببة لهذا النصر، فما أن وردت اليد الأولى في السياق حتّى ورد بعدها مباشرة خبر كان ومتعلّقه "من فوقها لله" متقدّماً على اسمها، في إشارة إلى أنّ نصر الله قريب من عبادته، فالمتلقي يقف أمام ظاهرة التقديم والتأخير وما رافقها من انزياح لعناصر الجملة في البنية السطحية للصياغة، ويحاول من خلال استحضار البنية المثالية العميقة ترتيب عناصر الجملة ترتيباً منظماً يعيدها إلى ما كانت عليه، وهذا ما نلمسه في هذا البيت الذي يدرك من يمعن النظر في بنيته السطحية وموازنتها بالبنية العميقة المعنى البلاغي المُتمثّل في اختصاص نصر الله وقربه لمن يريد أن يؤيّده به فقط، وما كان لهذا



حيث تقدّم المفعول به (ابتساماً) على الفاعل (ثغره) في هذا البيت؛ وذلك لأنّ مدار الحديث منصّب على الابتسام وليس على الثغر، فكان الأولى بالابتسام أن يتقدّم على الفاعل لبيان أهميته؛ لأنّه الأهم في الذكر، ونلاحظ هنا أن تغيير ترتيب الألفاظ وانزياحها عن أماكنها الأصلية إلى أماكن أخرى أضفى على السياق دلالةً بلاغيةً نفقدها إذا ما عدنا بالألفاظ إلى رتبها الأولى.



والمظهر الآخر من مظاهر التقديم في الجملة الفعلية هو تقديم الجار والمجرور، ويدلّ هذا التقديم على التوكيد، والاختصاص، والتوضيح، وإزالة الإبهام، وغيرها من الدلالات الخاصة المرتبطة بالسياق، ومن أمثلته في ديوان يعقوب

التركيب لإعادة الانسجام بينهما؛ لأنَّ ردَّ التركيب إلى أصله (يلوح ابتسام على وجهه) يحدث خللاً في البنية الإيقاعية^(٤٨)، وفي سياق شعريٍّ مماثل يقول الشاعر:

نحنُ شعبٌ من أفقه تشرقُ الشمسُ
وتجري من كفه المعجزات^(٤٩)

يخالف الشاعر في هذا السياق مقتضى الظاهر في الشطر الأول حيث قدّم الجار والمجرور (من أفقه) على الجملة الفعلية (تشرق الشمس) في إشارة منه إلى أنَّ الشمس التي تحمل معنى الحرية لا تشرق إلا من فوق فلسطين وشعبها المقاوم، وتظهر هذه المخالفة مرةً أخرى في الشطر الثاني عندما قدّم الجار والمجرور (من كفه) على الفاعل (المعجزات)؛ ليظهر - أيضاً - مكانة الشعب الفلسطيني وتمييزه على غيره من الشعوب العربية، وهكذا دلَّ الانزياح على اختصاص الشعب الفلسطيني بهاتين الصفتين دون غيره.

ثانياً: الالتفات

يحمل الالتفات معنىً واسعاً يدلُّ على التحول والانتقال من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول، ومثال ذلك تحول طبيعة الأفعال بين الماضي والحاضر والمستقبل، وتحول الضمائر بين الأفراد والتثنية والجمع، وبين المخاطب والمتكلم والغائب، وتتسع دائرة

تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل، كقوله:

وعلى وجهه يلوح ابتسامٌ
فيه يبدو السنى ويبدو السناء^(٤٧)

البنية السطحية المخالفة لمقتضى الظاهر:

الجار والمجرور الفعل الفاعل

↓ ↓ ↓
على وجهه يلوح ابتسامٌ

البنية العميقة حسب مقتضى الظاهر:

الفعل الفاعل الجار والمجرور

↓ ↓ ↓
يلوح ابتسامٌ على وجهه

فقد تقدّم الجار والمجرور (على وجهه) على الفعل والفاعل (يلوح ابتسام) لغرض بلاغي هو الاختصاص، فالابتسام هنا مختص بالشَّهيد الذي ارتقت روحه وما زال الابتسام يلوح على وجهه حتى بعد استشهاده، وقد أضاف البلاغيون إلى هذا الغرض البلاغي الناتج عن تقديم الجار والمجرور على الفعل والفاعل غرضاً آخر يتصل بالخواص الإيقاعية، فعندما يتعارض تركيب الجملة مع الإيقاع العروضي يأتي هذا التحول أو الانزياح في

الالتفات لتشمل مخالفة نسبة الفعل إلى فاعله، وذلك بأن يأتي مُسنداً إلى فاعلٍ ما، ثم يتحول إسناده إلى فاعلٍ آخر، كما تشمل التحول من بناء الفعل للمعلوم إلى بنائه للمجهول أو العكس، مما يمنح النص دلالات جديدة لا تتوافر له إذا ظلّ منتظماً بخطّ ثابت لا يخرج عليه، ولهذا يعدّ الالتفات أحد مظاهر الانزياح التركيبي التي تنبّه إليها القدماء وأكّدوا أهميتها، فهذا السكاكي يقول: "ويسمى هذا النقل التفتاتاً عند علماء المعاني، والعرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ أدخل في القبول عند السامع، وأحسنَ تطريةً لنشاطه، وأملأ باستدرار إصغائه"^(٥٠)، ومن أمثلة هذا اللون من الانزياح في ديوان يعقوب قوله:

لندخل ساحة الأقصى فتعنو

على الفتح المبين لك الجباه^(٥١)

أسند الشاعر الفعل المضارع (ندخل) إلى ضمير مستتر تقديره (نحن)، وتحول بعد ذلك في أسلوبه فأظهر فاعل الفعل (تعنو) وهو (الجباه)، ومما لا شكّ فيه أنّ هذا الانزياح أو التحول في الأسلوب يلفت انتباه المتلقي ويحثّه على البحث عن دلالاته في هذا البيت، والذي يبدو لنا أنّ الشاعر جاء بفاعل الفعل (ندخل) ضميراً مستتراً؛ لدلالة السياق عليه فالفاعل معروف ولا حاجة لإظهاره،

فنحن أصحاب الحقّ في دخول المسجد الأقصى، في حين نجده يظهر فاعل الفعل (تعنو) حرصاً على وضوح المعنى وأمناً للّبس، فهذا الفعل يحمل دلالة الخضوع والتذلّ^(٥٢) ولهذا أراد الشاعر أن يبين أنّ الذي يخضع ويذلّ هو الجباه حمداً وشكراً لله تعالى على دخولها المسجد الأقصى، ويضاف إلى هذه الفائدة المعنوية فائدة موسيقية تتمثل في المحافظة على سلامة الوزن والقافية.

ومن نماذج الانزياح التركيبي - أيضاً- الانزاح عن بناء الفعل للمعلوم إلى بنائه للمجهول، في قوله:

أنا لا أبيت على الصغار ولا

أسقى الهوان ولو قضيت صدي^(٥٣)

فقد خالف يعقوب إسناد الفعل في هذا السياق الشعري عندما بنى الفعل (أبيت) للمعلوم، في حين جاء الفعل (أسقى) مبنياً للمجهول، وهو يورد هذا السياق على لسان الشهيد فبنى الفعل الأول للمعلوم إعلاءً لشأنه، أما الفعل الثاني فبناه للمجهول للدلالة على تحقير الفاعل (المحتلّ) والتقليل من شأنه، وهكذا رسّخ الانزياح في إسناد الفعلين المفارقة بين مكانة كلّ من الشهيد والمحتلّ، ففي هذا السياق تشریف للشهيد، وتحقير للعدو المحتلّ، وبهذا توافقت البنية العميقة للتركيب الشعري مع بنيته السطحية في أداء المعنى المراد.

التقنيات الأسلوبية الأخرى عنها في التوظيف والاستثمار في بناء المعمار الشعري لقصائده.

وتأسيساً على ما سبق، نوصي بأن يولي الدارسون والنقاد أعمال سعيد يعقوب الشعرية أهمية من خلال تناولها بالدراسة والبحث بصورة متكاملة للوقوف على مكانته الشعرية وقضاياها الفنية والموضوعية.

الهوامش:

(١) سليمان، فتح الله أحمد، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ط)، ٢٠٠٤م، ص ٣٥.

(٢) هو سعيد أحمد يعقوب شاعر أردني وُلد في مدينة مأدبا عام ١٩٦٧م، حصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية من الجامعة الأردنية، ويعمل مدرّساً للغة العربية في وزارة التربية والتعليم، له العديد من الدواوين الشعرية، منها: العلايات، وفي هيكل الأشواق، ورنيم الروح، وعبير الشهداء، وتوقيعات على وتر الشوق، وهو عضو اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين، فاز بجائزة سعيد فياض/ لبنان لأفضل ديوان شعر عمودي على مستوى الوطن العربي عام ٢٠٠٧م عن ديوان (في هيكل الأشواق) وتحصل على العديد من

ونكتفي بهذا القدر من التمثيل على الانزياح التركيبي (التقديم والتأخير، والالتفات)، إذ لا مجال لحصر الأمثلة كافة في هذه الجزئية من البحث.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث نخلص إلى القول إن دراسة ديوان "عبير الشهداء" للشاعر سعيد يعقوب أظهرت لنا مجموعة من الظواهر الأسلوبية التي استحكمت من الشاعر وأصبحت مزيجاً ملحوظة في شعره، حيث يعدّ التناص، والتكرار، والانزياح التركيبي من أبرز الظواهر التي وظفها في ديوانه، وقد دلّ حضورها الواضح على أن سعيد يعقوب يمتلك نتاجاً شعرياً جديراً بالدراسة والبحث، لما فيه من استثمار واضح لهذه التقنيات الأسلوبية.

ولعلّ من أهمّ النتائج التي انتهت إليها البحث -أيضاً- أنه قدّم للقارئ شاعراً فرض حضوره على الساحة النقدية بفضل تجربته الشعرية العميقة، غير أنه لم ينل حقه من الاهتمام، الأمر الذي ينبغي معه الالتفات إليه في دراسات متخصصة مستفيضة تتناول كلّ ظاهرة من هذه الظواهر الأسلوبية التي وظفها في شعره ببحث منفرد في ضوء نتاجه الشعري الغزير، إذ شكّل التناص -على سبيل المثال- ظاهرة واضحة في هذا الديوان، طوعها الشاعر في خدمة رؤيته الدلالية ومضامينه الشعرية، ولا تقل باقي

ورد للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ١٠٣.

(١٢) يعقوب، سعيد: عبير الشهداء، ص ٥٧.

(١٣) يعقوب، سعيد: عبير الشهداء، ص ٥٧.

(١٤) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ٨٥.

(١٥) زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٧م، ص ١٢٠.

(١٦) انظر، واصل، عصام حفظ الله، التناسل التراثي في الشعر العربي المعاصر، ص ١٥٤.

(١٧) يعقوب، سعيد: عبير الشهداء، ص ٤١.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٨٤.

(١٩) انظر، البادي، حصة، التناسل في الشعر العربي الحديث، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ١٥٣.

(٢٠) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ٧٧-٧٨.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٧٨.

(٢٢) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ٧٨-٧٩.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٧٩.

(٢٤) انظر: منور، محمد بن عبد الله، استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر

الجوائز وشهادات التقدير المحلية والعربية.

(٣) الغدامي، عبدالله، ثقافة الأسئلة (مقالات في النقد والنظرية)، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط ٢، ١٩٩٢م، ص ١١.

(٤) مرتاض عبد الملك، الكتابة من موقع العدم (مساءلات حول نظرية الكتابة)، كتاب الرياض، ع ٦٠-٦١، ١٩٩٩م، ص ٥٧.

(٥) الزعبي، أحمد، التناسل نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، ط ٢، ٢٠٠٠م، ص ١١.

(٦) انظر، الدهون، إبراهيم مصطفى، التناسل في شعر أبي العلاء المعري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط ١، ٢٠١١م، ص ١٢٠.

(٧) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ٦٨.

(٨) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ٥٩.

(٩) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ٨٨.

(١٠) العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧م، ط ١، ٤٥٢/١٠، رقم الحديث (٦٠١١).

(١١) واصل، عصام حفظ الله، التناسل التراثي في الشعر العربي المعاصر، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠١١م، ص ٩٥، وانظر، مرشدة، عبد الباسط، التناسل في الشعر العربي الحديث" السياب ودنقل ودرويش نموذجاً"، دار

(٣٨) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ٩٥.

(٣٩) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ١٣٣.

(٤٠) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ١٠٨.

(٤١) عبدالمطلب، محمد، جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، مكتبة الحرية الحديثة، (د، ط)، ١٩٨٤م، ص ١٤٣، وانظر، عكاشة، رائد، رؤية العالم عند المعري "قراءة أسلوبية لداليته"، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الخامس، محرم ١٤٣٢هـ - يوليو ٢٠١١م، ص ٤٩.

(٤٢) انظر، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، (د.ت)، ٢٣٨/٣-٢٧٤.

(٤٣) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ٦٠-٦١.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٦٠.

(٤٥) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ١١٨.

(٤٦) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ٦٤.

(٤٧) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ٦٠.

(٤٨) عبدالمطلب، محمد، البلاغة العربية قراءة أخرى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (د.ت)، (د.ط)، ص ٢٤٩.

العربي الحديث، النادي الأدبي، الرياض، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٤٣.

(٢٥) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ١٠٤.

(٢٦) انظر، زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص ١٢١.

(٢٧) الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٨، ١٩٩٢م، ص ٢٦٣.

(٢٨) السيد، شفيق، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، دار غريب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ١٤٢.

(٢٩) الملائكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، ص ٢٧٦.

(٣٠) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ٢٢.

(٣١) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ٤٠-٤١.

(٣٢) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ٨٩.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٩١.

(٣٤) يعقوب، سعيد، عبير الشهداء، ص ١٠٠.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٣٦) عاشور، فهد ناصر، التكرار في شعر محمود درويش، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١٠١.

(٣٧) السيد، عزالدين علي، التكرير بين المثير والتأثير، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط ١، ١٩٧٨م، ص ٢٩٨.

(٤٩) يعقوب، سعيد، **عبر الشهداء**، ص ٧١.

(٥٠) السكاكي، أبو يعقوب، **مفتاح العلوم**، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م، ص ١٩٩، وانظر، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، ١٩٨٧م، ٣/ ٢٥٣.

(٥١) يعقوب، سعيد، **عبر الشهداء**، ص ٨٠.

(٥٢) **تعنو: تخضع وتذل**، انظر، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (د.ط)، ٢٠٠١م، مادة (عنو).

(٥٣) يعقوب، سعيد، **عبر الشهداء**، ص ٤٣.

□ صراع المثقف مع السلطة □ مجموعات زكريا تامر القصصية أنموذجاً □

د. بشير عقاب الحجاجحة *

تاريخ الوصول: ٩/ ٤/ ٢٠١٨م

تاريخ القبول: ٢٦/ ٩/ ٢٠١٨م

الملخص

يهدف هذا البحث إلى توضيح حقيقة صراع السلطة بكافة أنواعها مع الشخصيات القصصية في مجموعات زكريا تامر القصصية، وتبيان ما تمارسه على الشخصيات من أعمال قمعية وسلب للحرية، وقد سعى البحث إلى الكشف عن مفهوم السلطة وتحديد أهم أنواعها والمتمثلة في: السلطة الاقتصادية والسلطة العسكرية (رجال المخابرات)، وسلطة رئيس المخفر و الشرطي، و كذلك السلطة القمعية بفعل شخصيات قمعية غير معروفة، والسلطة الأسرية (سلطة الأب).

كما كشف البحث عن دوافع السلطة للقيام بهذه الأعمال تجاه هذه الشخصيات، مما يؤدي إلى نشوب صراع كبير بين السلطة وأبطال القصة، كما أوضح البحث أهم الغايات التي تهدف إليها السلطة من صراعاها مع شخصيات زكريا تامر القصصية، وقد حددت في: صراع القيم والمبادئ، والصراع في المواقف السياسية، والصراع الأخلاقي.

كلمات مفتاحية: زكريا تامر، الصراع مع السلطة، الشخصيات القصصية، السلطة القمعية.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية السلط، جامعة البلقاء التطبيقية.

Abstract

This research aims to clarify the fact about the conflict against the authority of all kinds with anecdotal characters in Zakaria Tamir's collection of short stories, showing repressive acts of looting and deprivation of freedom practiced by the authority on the characters. The research sought to reveal the concept of power and determine the most important kinds which include the economic power, the military power (Intelligence Agents), the authority of the head of the police station, the policeman, the repressive power by the repressive authority unknown figures and the family authority (father's authority). This research revealed the motives of the authority to practice the power over the figures in Zakaria Tamir short stories leading to the outbreak of major conflict between the authority and heroes of the story as explained. This research also revealed the most important goals that the power wanted to achieve in its conflict with the anecdotal characters of Zakaria Tamir. These conflicts have been identified as conflict of values and principles, the conflict of political positions, and the moral conflict.

Keywords: Zakaria Tamir, Conflict against Authority, Anecdotal characters, Oppressive power

المقدمة:

وذلك حسب الهوية الطبقية لكل من
المثقف والسلطة^[٢].

الصراع مع السلطة:

عانى المثقف على مدى عقود من
الزمن تسلط السياسي على الشأن
الثقافي، بحيث أصبحت السياسة هي
المحددة للتوجهات الثقافية، مع أن
السياسة هي غط من أنماط الثقافة؛
ولذلك فقد لجأ السياسي إلى محاولة
أدلجة الثقافة لتتلاءم ومقاسه، من
أجل السيطرة على المثقفين وتجييرهم
لحساب توجهاته الفكرية.

ونتيجة ذلك "فقد جرى تهميش
دور المثقفين في المجتمع، لاعتقاد
السياسي أن مركزه الحزبي يمنحه
الحق، ليس في التحكم بأعضاء حزبه
وحسب، وإنما سلطته تمتد لتشمل
كل أفراد المجتمع والمثقفين خصوصاً،
ومن يرفض منهم هذا التحكم يصنف
من الأعداء!"^[١]

ولهذا فقد ارتبط -ومنذ القديم-
وضع المثقف وموقعه، بوضع السلطة
وموقعها وجرّت محاولات عدة لتبيان
العلاقة بينهما، فمنهم من يرى أن "
العلاقة بين هذين القطبين، تحكمها
إمّا حالة صراع، وإمّا حالة هدنة

يقول لينين: "إن المثقفين هم أهم
وأدق من يعكس تصور المصالح
الطبقية والقوى السياسية في كل
مجتمع. ففي أقطار الشرق "حدّد
الدور السياسي للأنتلجنسيا منذ
نشوئها، تطور ثورة التحرر الوطني
عبر مرحلتها:

مرحلة الكفاح ضد الاستعمار
والإمبريالية، ومرحلة بناء الدولة
الوطنية في ظروف الاستقلال السياسي
والنضال الوطني من أجل التقدم
الاجتماعي، إن السياسة في الشرق،
مهنة ثانية للمثقف"^[٣].

ولذا فلا يمكن إغفال الدور
الحقيقي الذي يؤديه المثقف في
مجالات التطور المختلفة، وفي مراحل
التحرر الوطني، فهو يسهم في بناء
ركائز الدولة ومؤسساتها الشرعية
والقانونية، كما أنه يلعب دوراً مميزاً
في العمل الكفاحي خلال تلك
المراحل؛ ولهذا فإن "السلطات
القمعية لا تعطي دوراً للثقافة
والمثقفين، لأنها تحتكر السلطة، وهذا
النوع من السلطة تفرض على المثقف

أن يكون بوقاً لها، وخاضع لإرادتها"^[4].

إن الشائع الآن هو تبرير السياسة باسم الثقافة كما يفعل مثقف السلطة، فيجعل السياسة هي الأصل، والثقافة هي الفرع...وقد ينشأ تبرير الثقافة باسم السياسة كما هو الحال في الدعاية السياسية، وإذا حاول المثقف الالتزام بالثقافة كسياسة، وبالسياسة كثقافة؛ فإنه يجد نفسه بين المطرقة والسندان، بين واجبات السلطة وحقوق الجماهير، وبين العمل في إطار الشرعية، ومن خلال قنواتها ورعاية مصالح الناس.

إن مراجعة الأيدلوجيا السياسية المعاصرة مثل الرأسمالية والاشتراكية، تؤكد أنه لا فرق بين الثقافة والسياسة؛ لأن تلك الأيدلوجيات كأنظمة سياسية إنما كانت بالأصل تيارات فكرية. ومع ذلك فهناك الحد الأدنى من الالتزام الثقافي والسياسي، (الخط الأحمر المتبادل)، من أعلى ومن أدنى بين السلطة والجماهير، دون الخروج على السلطة أو خيانة الجماهير وهي معادلة صعبة وميزان يصعب تعادل الكفتين فيه. فقد تميل الكفة مرة إلى أعلى نحو السلطة

فتفرح وتغضب الجماهير، ومرة إلى أسفل فتغضب السلطة وتفرح الجماهير، ويمكن بالمران اكتساب مهارة الالتزام الثقافي والسياسي، وتعدد أشكال التغيير.

ومع ذلك فإنه يمكن القول: إن إشكالية المثقف لا تنفصل عن إشكالية الثقافة السائدة، وإشكالية الثقافة لا تنفصل بدورها عن إشكالية المجتمع، وإشكالية المجتمع لا تنفصل عن إشكالية السلطة وأيديولوجيتها، فهناك علاقة عضوية وجدلية تربط بين المثقف والثقافة وبينهما وبين المجتمع والسلطة. وهذا يحتم على المثقف الذي يسعى نحو تحرير فكره وثقافته "أن يمارس دوره التنويري بحرية في نقده المركب: نقد الموروث القديم وتفكيكه، نقد الوافد الجديد وفرزه، ونقد الواقع المعيشي وتحليله، بمعنى آخر نقد الفكر ونقد المجتمع والسلطة معاً، على ألا يشكل النقد عنده سلطة تصدر أحكاماً أخلاقية مسبقة أو تعسفية مطلقة، وألا يكون أداة بيد أي سلطة"^[5]

أيدلوجيا الصراع مع السلطة في
قصص زكريا تامر:

يعد الأديب زكريا تامر واحداً من أبرز كتاب القصة القصيرة في سوريا، وعلى الرغم من شهرته الكبيرة في مجال كتابة القصة إلا أن المعلومات المتوافرة عنه قليلة جداً، ومع قلتها فقد أمكن العثور على المعلومات الآتية^(١): "ولد زكريا تامر في دمشق (١٩٣١) ترك المدرسة، وعمره ثلاثة عشر- عاماً، ليشغل في مهن يدوية عديدة، لكن المهنة الأساسية التي كان يحبها، ويعود إليها باستمرار: هي الحدادة.

بدأ بكتابة القصة القصيرة عام (١٩٥٧) وهو ما يزال يعمل في المطرقة والسندان، وقد اضطر إلى ترك عمله عام (١٩٦٠م) بسبب ظروف اقتصادية مرت بها البلاد، حيث عمت البطالة وأغلقت أكثر المعامل، وقد ظهرت له أول مجموعة قصصية في ذلك العام "سهيل الجواد الأبيض" تلتها مجموعة "ربيع الرماد" (١٩٦٣) و"الرعد" (١٩٧٢) و "دمشق الحرائق" (١٩٧٣) و"النمور في اليوم العاشر" (١٩٧٨) و"نداء نوح" (١٩٩٤)^(٧).

لم يكن زكريا تامر أول أديب عربي ملتزم بقضايا المجتمع؛ فهناك عدد لا

بأس به من الأدباء الذين التزموا بقضايا المجتمعات العربية وحاولوا الدفاع عنها، وقد أوضح عدد من الأدباء مفهوم الالتزام بقولهم: "إن الالتزام يعني التزام الأديب بمسيرة وضع سائد في مجتمعة وتأييد نظام مقرر على قومه؟ فكذا كانت الجمهرة الغالبة من الأدباء في كل عصر وكل مجتمع تسير الأوضاع السائدة وتتولى لها مهمة النفسية الوجدانية"^(٨)

وزكريا تامر أمثال غيره من الأدباء المؤمنين بمفهوم الالتزام في الأدب يدرك بأن رسالة الأدب هي الإنسان بكل ما يعانیه؛ ومن هنا نجده يعتني "بأزمة الإنسان وقضايا المصيرية أمام القوى السياسية السلطوية، لذا نراه أحياناً ينقم على هذا الإنسان (على ضعفه وعجزه) وأحياناً أخرى ينصفه، مؤكداً أن الإنسان واحد لا يتغير، وإن تغير اسمه أو مكانه"^(٩).

فقد حرص ومنذ بداية إنتاجه القصصي على الاهتمام بالفرد والمجتمع، فمنذ تفتح وعيه الأدبي آلمه ما يكتب الأدباء العرب عن بلادهم من أدب سطحي لا يمت إلى أبناء شعبه بصلة؛ لذلك كانت كتاباته

نوعاً من التصحيح لما كان يشاهد، إذ لمس كذب هؤلاء الأدباء في كل ما كتبوه عن الأحياء الشعبية، وعن معاناة الشعب العامل، فأصدر أول قصصه وهو ما يزال عاملاً في المعمل (١٩٥٦م).

ولعل من أهم مميزات قصصه أنها تفيض بطاقة شعرية مدهشة في كثافتها، الأمر الذي لم تعرفه الأقصوصة العربية من قبل، وكما يقول صبري حافظ "كانت أعمال زكريا تامر هي البداية الحقيقية للصوت الجديد وللرؤى الجديدة التي أطلت على أفق الأقصوصة العربية معه، ثم اتسعت رقعتها على أيدي جيل الستينيات في مصر والعراق من بعده، لأنه استطاع -بعد منتصف الستينيات بقليل- أن يتلمس إطلاقات الحساسية الممزقة، وهي تتخلق تحت قشرة الحساسية القديمة السائدة، وأن يستوعب ملامح هذه الحساسية الوليدة في وعاء فني يتواءم معها وينطوي في الوقت نفسه على تمزقاتها التي تعبر عن مرحلة تاريخية وحضارية من حياة أمتنا العربية" (١٠).

اهتم زكريا تامر بغيره من كتاب القصة بالشخصيات القصصية اهتماماً كبيراً ويمكن القول إن "إحدى ميزات زكريا التي تمتاز بها من كتاب آخرين في فترة السبعينات اهتمامه بالبطل المهزوم أي تركيزه على الفرد المسحوق ذي المعالم التائهة فلا هوية ولا اسم يمتاز به بطل زكريا، وهو تغيير لبنى قديمة قائمة مرفوضة تواجهها بالاندحار والاستسلام دون رغبة أو قدرة على المقاومة" (١١).

وقد عني بتصوير العديد من المواقف الحياتية في مجموعاته القصصية، لا سيما تلك المواقف التي تهتم بالإنسان، وتجسد رغباته وآماله، فهو يدرك بأن الإنسان العربي يعاني صراعات كثيرة مع الواقع، منها: الصراع مع الحياة، والقيم والأخلاق، والحرية، وإثبات الوجود، وغيره من أنواع الصراعات. ولذا فقد حرص زكريا تامر على توضيح هذه الصراعات وتفصيل بعضها في محاولة جادة منه لتحرير الإنسان من واقعه، ومن هذه الصراعات: الصراع بين السلطة والشخصيات القصصية، فقد أوضح زكريا تامر حقيقة هذا الصراع في مختلف مجموعاته القصصية، فهو

والتعنت، مما يدفع بالفرد إلى الصراع الحقيقي مع هذه السلطات للخروج من الواقع المؤلم، وتحاول السلطات السيطرة على الأفراد بحكم مجموعة من المعتقدات المزعومة " وهذه السلطات المدعومة على أرض الواقع بقوة الأخلاق، والدين، والقانون، لا تترك له فرصة التعبير عن ذاته، إذ هو عاجز عن مواجهتها في الواقع، الأمر الذي يلجئه إلى أحلام اليقظة كسبيل إلى إعادة توازنه المفقود...^(١٣)

ولهذا نجده يورد في العديد من قصصه جوانب من هذا الصراع بين الفرد وهذه السلطات القمعية، محاولاً دفع البطل إلى رفض الظلم وعدم الاستسلام للأمر الواقع. فبطل زكريا تامر لا يقبل بالواقع، ولذلك فهو في حالة صراع مستمرة مع السلطات المختلفة صراع هدفه الحصول على الكرامة وتحقيق الذات وليس صراعاً لأجل الصراع فقط، "وشخصية البطل في قصص زكريا جدلية متوترة وفي حالة صراع دائم مع السلطة بكافة مؤسساتها"^(١٤)

يحاول زكريا تامر في قصصه أن يحرض الإنسان على نفسه وعلى السلطة في سبيل الحصول على

يرى أن السلطة لها دور كبير في قمع البطل، تقول الباحثة إمتنان الصمادي: "إن السلطة لعبت دوراً مهماً في تعميق مفهوم الاغتراب عند بطل زكريا، كما لعبت الحياة الاجتماعية، والفكرية، والشعبية، والاقتصادية هذا الدور من قبل، وبخاصة بعد حرب حزيران إذ ازداد شعور الإنسان العربي بالانفصال عن مسرح الأحداث، وتعمقت الفجوة بينه وبين السلطة وتعمق الشعور بالعجز وفقدان القوة كذلك، فالدولة هي صاحبة القرار، ولاحقاً للفرد في المشاركة في أي قرار تتخذه السلطة، لذا تعالت عليه وبدأ يشعر بالكبت وسلب الحرية في القول والعمل، والتخيط، والمشاركة، والمعارضة."^(١٢)

إن المتأمل لقصص زكريا تامر يجد اهتماماً واضحاً بتصوير المعاناة التي يعانيها أبطاله من السلطة؛ فهو يدرك بأن الفرد محاصر بمجموعة من السلطات المختلفة بدءاً من سلطة الأب في المنزل وانتهاءً بسلطة الدولة الممثلة برجال الشرطة، المحققين، والقضاة، وهذه السلطات تمارس ضد الفرد المسحوق ألواناً من القهر

الحرية"^(١٦)؛ فقد كتب تامر عن أحوال الديكتاتور، وعن أدوار المثقفين، وكذلك عن تطلعات الناس للحرية وآمالهم في التغيير، ولا يخفى على المتتبع لسيرة حياة زكريا تامر ما تعنيه السلطة له؛ فقد عرف عنه بأنه "لا يخاف السلطة والسياسة، فقد جذبتة السياسة وأضحى ناقدًا ومحللاً سياسياً يكتب وفق فهم جديد للسياسة، وقد عني بأزمة الإنسان وقضاياها المصيرية أمام القوى السياسية السلطوية"^(١٧).

يقدم زكريا تامر في قصصه سرداً لممارسات السلطة القمعية اللامعقولة تجاه الأفراد لا سيما الأبطال منهم، لتكون ملاذاً معوضاً لخيبة آمال المجتمع؛ لذا فهو يرصد العديد من المواقف السلبية للسلطة تجاه الشخصيات، مما يعزز مفهوم الصراع الحقيقي بين الشخصيات والسلطات المختلفة.

تسعى السلطة بما تمارسه ضد الشخصيات إلى "سلبها المعنى الرمزي الذي تمثله من خلال هزيمتها واستسلامها وسحقها"^(١٨).

الحرية "وتتجلى أزمة الحرية التي تشكل محوراً رئيساً في معظم القصص، فيرفض سلطة الأب المقيدة لحرية كما في "ثلج آخر الليل"، ويرفض العمل كما في "الرجل الزنجي"، ويرفض الزواج كما في "الصقر" و"صهيل الجواد"، ويرفض السلطة السياسية كما في "الثاوب"، و"رحل إلى البحر"، ويرفض القيم الاجتماعية كما في "موت الشعر الأسود" و"البستان" و"الراية السوداء" و"الخراف"، ويرفض الظلم الطبقي كما في "الشنفري" و"الليل" و"شمس الصغار"^(١٥).

يسعى زكريا تامر إلى إبراز أهم القضايا التي تحلم الشعوب العربية بها؛ فقد أخذ على نفسه مسؤولية تبصير المواطنين بأبسط حقوقهم المشروعة، "لقد أخلص زكريا تامر لتاريخه الإبداعي، ورسائله الأدبية بالانحياز إلى قضايا الشعب الأساسية، المتمثلة بالحرية والعدالة الاجتماعية، فكتب مدافعاً عن العسافير، والثلج، والعشق، ضد الاعتقال والمطاردة ورجال الشرطة... وكذلك رسالة المثقف في المجتمع، و في حركة التاريخ، فاستحق بجدارة لقب أديب

قبورهم لتعيد محاكمتهم من جديد، لذا تصبح الحياة والموت في نظر الفرد سواء، لأن الإنسان في كليهما يعيش في سجن كبير^(١٩)

كما تسعى السلطة بدورها إلى سحق شخصية الفرد وإلغاء دوره ووجوده من الواقع، وهي تمارس في سبيل ذلك كل ألوان التعذيب الجسدي والنفسي، وهو على حد قول زكريا تامر: ما لم يسجل لغيرها من السلطات الأخرى، وهذا ما نجده عند سليمان الحلبي بطل قصة (الجريمة) والذي تمكنت السلطة من تحويله إلى إنسان متهم بجرم سياسي؛ ولهذا فهو ينال عقاباً أليماً: نفسياً وجسدياً بدءاً من امتهان الكرامة، وقسوة الكلام، ونفث الدخان في وجهه، وانتهاء بقطع أجزائه قطعة قطعة، حيث أصدر الرجل الأسود أوامره بأن تقطع أصابع سليمان ثم ساعده ثم ذراعه ثم رأسه.

ويتجلى المشهد السلطوي عند زكريا تامر "عبر كثافة مشاهد المباغطات والاعتقالات"^(٢٠) التي تمارسها السلطة تجاه مواطنيها حتى الأموات منهم، كما حصل مع بطل

والسلطة بدورها هذا تهدف إلى التأثير في الشخصيات القصصية ونفسياتها ومسارها الفكري؛ فتدفعها بفعل سطوتها وجبروتها إلى التحول السريع من صفة إلى أخرى، ومن حال إلى آخر، وبالتالي ينشأ بينهما صراع كبير، وهذا الصراع بالطبع مرتبط بوجود شخصيات سلطوية محورية في قصص زكريا تامر تمثل رموز القمع وأدواته في الواقع كرجال الشرطة والمخابرات وغيرهم، بحيث تكون العلاقة بين الشخصية العادية البسيطة وبين تلك الشخصيات السلطوية علاقة تعارض وصراع، وبالتالي علاقة فرض القوة والقمع على الضعفاء؛ ونتيجة لذلك تكون النتيجة المتوقعة للصراع تحول الشخصيات القصصية إلى شخصيات ضعيفة مسحوقة غير قادرة على الصمود والمقاومة وإبداء الرأي، وردّ التهم الموجهة إليها (شخصيات مستسلمة لا حول لها ولا قوة)."

فالسلطة الحاكمة لا تعجز عن تقديم كل إنسان للمحاكمة كما أنها لا تعجز عن تدبير التهمة المناسبة لكل فرد، وكثيراً ما يحاكم دون تهمة. ولا تعجز أيضاً عن استخراج الأموات من

قصة (ملخص ما جرى لمحمد المحمودي).

إن النتيجة المتوقعة من الصراع بين الفرد والسلطة هو التحول المفاجئ للشخصيات، وهو "يسعى إلى الإلغاء الكلي لأي خطاب آخر كان بالإمكان أن يصدر عنهم أدنى، وهو لا يحول دون بروز ذلك الصوت على ضعفه وحسب، وإنما يعمل على إعادة تشكيل ذاكرة المتسلط عليهم، وصياغة وعيهم بمنطوقة أو سلوكه؛ مما يهيئ الحال للاستسلام للأمر الواقع دون أن يبدو عليهم أية مؤشرات من شأنها أن تعبر عن الرفض"^(٢١).

يدرك زكريا تامر بفضل مشاهداته وخبراته الكبيرة أن السلطة تعتمد إلى إيجاد الفوارق بين الأفراد، فهي تكيل بمكيالين: مكيال الأغنياء ومكيال الفقراء، وما تمارسه ضد الفقراء أكبر بكثير مما تمارسه ضد الأغنياء، فهو يرى "أن القمع والتسلط لا يمارس إلا على الفقراء البسطاء، أما الأغنياء فلا يتعرضون لمثل هذا القمع"^(٢٢).

وقد أدرك زكريا تامر بعد معاينته الواقع ما تخطط إليه السلطة

القمعية من خلال جملة من الوسائل التي تمتهنها، فهو يدرك "أن لسياسة التجويع دورا هاما في خلق رعية مطيعة مشيرا بأصابع الاتهام إلى طبيعة السياسة التي ينتهجها حكام العالم وبخاصة العالم العربي"^(٢٣).

فقد أشار في غير موضع من قصصه إلى مثل هذا الموقف، كما في قصة النمر في اليوم العاشر، وقد أعلن كذلك بأن "سبب مشكلات العالم العربي ناجمة عن السلطة، حتى أن السلطة العالمية صفة أخرى للاستبداد"^(٢٤). كما يرى زكريا تامر بأن السلطة العقيمة قد ساهمت مساهمة واضحة في تعميق مفهوم الاغتراب عند بطل قصصه؛ فالسلطة حسب رأيه هي صاحبة القرار ولا يحق للفرد أن يعبر عن رأيه وحتى المشاركة في أي قرار تتخذه السلطة؛ لذلك أيقنت السلطة بأن مواطنيها أشخاص ضعفاء مسلوبو الإرادة ولا يحق لهم التعبير عن رأيهم أو العمل والمشاركة والتخطيط والمعارضة، فهم أموات لا أكثر.

ولا يعفي زكريا تامر المواطن العربي من المسؤولية؛ فهو شريك للسلطة في جرمها وقمعها، فالمواطن

العربي حسب رأيه ذليل ضعيف يفضل الرضوخ والانسحاق نتيجة الخوف من السلطة والقمع والعقاب، ولا يمتلك أدنى درجة من الجرأة للدفاع عن نفسه ورد التهم الموجهة إليه دون وجه حق، كما حصل مع بطل قصة (ملخص ما جرى مع محمد المحمودي) حيث لم يكن البطل قادراً على رد التهم التي نسبت إليه دون وجه حق، وكذلك ما حصل مع أبي حيان التوحيدي، وعمر الخيام وغيرهم من الشخصيات.

إن المتابع لمسيرة أبطال قصص زكريا تامر ليدرك حقيقة الصراع الكبير بينهم وبين السلطة، ولهذا نجدهم فريسة سهلة للسلطة تحولهم وبشكل سريع تحت جبروت القوة إلى أبطال ضعفاء لا يستطيعون التعبير عن آرائهم ودفع التهم الملقاة عليهم، فقد يبدو البطل في بداية القصة إنساناً كريماً حراً، صاحب رأي ومبادئ وأخلاق وقيم، وعندما يسقط بيد السلطة ويستسلم لجبروتها توجه إليه تهمة عدة وخطيرة؛ فيبدأ بالدفاع عن نفسه ورد التهم الموجهة إليه، محاولاً التكلم وتقديم الأعذار التي تبرئه؛ غير أنه لا يستطيع إتمام كلامه

نتيجة القوة المسيطرة عليه، وعندها تبدأ سلسلة من التنازلات تحت وطأة القمع حتى يصل الأمر بعيد لحظات إلى التخلي عن صفاته التي عرف بها من قبل ليتحول في النهاية إلى إنسان آخر ضعيف مهزوم من الداخل، وهذا ما جرى مع سليمان الحلبي في قصة الجريمة ومع غيرها من الشخصيات الأخرى في عدد من القصص.

ولا يقتصر هذا الصراع على الشخصيات البسيطة فقط؛ بل نجده كذلك عند الشخصيات التاريخية التي يستحضرها زكريا تامر في عدد من قصصه- والمعروفة في الواقع بالقوة والمواقف المشرفة- ليجعل منهم أبطالاً لقصته أمثال: المتنبي وطارق بن زياد وكافور الإخشيدي وغيرهم، فهناك صراع كبير وتعارض واضح بين مواقف هذه الشخصيات التاريخية الثابتة بالدليل والحجة وبين السلطة (سلطة القمع والبطش) "بحيث تكون العلاقة بين الشخصية التاريخية المحورية وتلك الشخصيات علاقة تعارض وصراع، تتبع من التعارض القائم بين الدلالة الرمزية للشخصية التاريخية أو التراثية في الوعي الثقافي

الجمعي ورمزية الدور الذي تمثله أدوات القمع في المجتمع والتي تتحدد دوماً في شخصيات رجال الشرطة والأمن^[٢٥]

فنجده يستدعى عدداً من الشخصيات التاريخية ليعبر من خلالها عن مواقف سياسية يريدها، ولعله يجد في ذلك مبرراً كما تقول الباحثة امتنان الصمادي في دراستها: زكريا تامر والقصة القصيرة: "إن اشتداد تناقضات هذا العصر وسياسات القمع والانهازم الممارسة على الشعوب، جعل أدباءنا يفكرون في استعارة شخصيات تاريخية ينطقوها من خلال الواقع"^(٢٦).

لم تكن غاية الأديب زكريا تامر من عرض هذه النماذج المتصارعة الإحباط وعدم القدرة على التغيير أو بث نساءم الاستسلام المهين؛ بل كان الهدف منها هو إحياء الشخصيات من سباتها وجهلها، ونزع الخوف والاستسلام من عقولها، فهو يريد للشخصيات الحرية، ولذا نجده يقول: "الحرية التي يريدها الإنسان العربي هي أن يستطيع التعبير عن أفكاره وآرائه في أمور تتعلق بمصيره

ومصير بلده من غير أن يخلد في سجن أو يتدلى من مشنقة"^[٢٧]

تورد الباحثة امتنان الصمادي رأياً حول شخصية البطل مفاده "وشخصية البطل في قصص زكريا تامر جدلية مؤثرة وفي حالة صراع دائم مع السلطة بكافة مؤسساتها، وتتسم بثبات المواقف منذ بدء القصة حتى نهايتها، فنحس أمامها بنبض الحياة ومأساة الواقع"^(٢٨).

ويمكن القول: إن الجزء الأول من العبارة صحيح، فالبطل عند زكريا تامر في حالة رفض مستمر للواقع القمعي الناشئ عن السلطة، فهو في صراع دائم معهم، غير أن بقية العبارة (البطل يتسم بثبات الموقف) غير دقيقة، فالمتتبع للشخصيات المتصارعة مع السلطة لا يجد مثل هذا البطل الخارق المتسم بثبات الموقف، ففي بداية القصة يكون البطل متمسكاً بمواقفه ولكنه سرعان ما تنهار قواه ويتخلى عن مبادئه؛ باستثناء بعض الشخصيات المحددة مثل: شخصية أبي الحسن في قصة (في ليلة من الليالي) حيث يحاول أبو الحسن رد التهم الملقاة عليه وإنكارها، بعد أن وجهت إليه

تهمة السرقة لحقيبة سيدة كان يحاول إنقاذها والدفاع عنها، ولكنه لم يفلح لأن سلطة رئيس المخفر كانت أقوى منه ومن كل ادعاءاته، وبفعل سطوة رئيس المخفر وأسلوبه القمعي تمكن بعد سلسلة من الإهانات التي كان يوجهها إلى أبي الحسن من تحويله إلى إنسان آخر: من شخص شريف كريم إلى شخص سارق يعترف بارتكابه للسرقة والتي لم يرتكبها أصلاً، فقد كان يحاول الدفاع عن السيدة والإمساك بالسارق.

وقد كان الهدف الأسمى الذي يريد زكريا تامر تحقيقه هو نفي صفة الخنوع والخضوع عن أبطال قصته، ولا غرابة في ذلك "فقد يشترك أبطال زكريا تامر بسمات عامة تجمعهم رغم اختلاف ملامحهم كشخصيات في القصص... فالشخصية القصصية في المجموعات: سهيل الجواد والرعد تخوض حرباً ضد المجتمع بكامل أوجهه"^[٢٩].

وقد جاءت الأشكال السلطوية في أنواع متعددة، يمكن تأصيلها واكتشاف أسرارها من خلال رصدها في المجموعات القصصية لدى زكريا تامر على النحو الآتي:

أولاً: الصراع مع السلطة العسكرية (المخابرات) ورجال الشرطة: حيث تمثل سطوة القسوة والقمع، وتكون مصحوبة بالجبروت والقوة، وهي سلطة سلبية تحاول دائماً أن تغرس في نفوس مواطنيها الخوف والقلق الشديدين من قسوة التعذيب والعقاب وتدفعهم إلى الاستسلام والذل وعدم الشعور بالحرية والتعبير عن رأيهم؛ وهذا النوع من السلطة هو الأقوى والأكثر وجوداً في مجموعات زكريا تامر؛ فلا تكاد تخلو قصة من وجودها.

تجسد الشرطة في قصص زكريا تامر القمع؛ وليس ذلك صداماً بينها وبين البطل السياسي، رغم ملامح بعض الضحايا السياسية والطبقية، ويشمل القمع غالباً الإنسان البريء صاحب الفكر؛ بحيث تمارس الشرطة بحقه الوحشية وسوء التعامل، "ولا يخفى على أحد بأن مصير أولئك الضحايا الهزيمة الساحقة؛ فلا ينجو منهم إلا بعض المتمردين."^(٣٠)

ففي قصة (ملخص ما جرى لمحمد المحمودي) ينشب صراع بين سلطة المخابرات وبطل القصة، تكون نهايته تغير البطل من شخص بسيط عادي،

اعتاد قراءة الجريدة في المقهى وشرب فنان من القهوة؛ إلى عميل مخبراتي يجلس في قبره داخل المقهى، ولا يغادره، ويكتب كل ما يسمعه من رواد المقهى من أحاديث أولاً بأول محاذرا النسيان.

ولكن كيف تمكنت السلطة المخبراتية من تحويل شخصية محمد المحمودي وسحقه بهذه السرعة ليصبح عميلاً سرياً لهم؟ إن محمداً المحمودي قد أمضى حياته السابقة يخاف رجال المخابرات ويرهبهم، ولا يحبّ التحدث في السياسة والخوض في تفصيلاتها، (وكأنه كان يعيش حالة صراع نفسي خفي) وقد دفعته تلك الحالة إلى الاستسلام المطلق والانكفاء على الذات والبعد عن المشكلات.

وهنا تبدو المفارقة في تحول البطل المسالم إلى عميل مخبراتي سري، ولعل هذا يدلّ بشكل مباشر على حالة من الضعف المستشري في نفسه، وحالة من الانهزامية والانعزال، وهذا ما يدفعه إلى المزيد من الضعف والتحول بشكل سريع حال تعرضه لأول موقف قمعي، أو ضغط نفسي.

ولا يتوقف الضعف والاستسلام عند وفاته؛ بل نجده كذلك يرافقه بعد موته، فبعد وفاته دفن تحت الطاولة التي اعتاد الجلوس عليها كل يوم في المقهى، وعند ما اقتحم رجال الشرطة المقهى، قاموا بإخراج جثته من القبر واقتادوه إلى أحد المخافر، وقاموا بتوجيه سيل من التهم الخطيرة إليه، وقد حاول جاهداً ردّ التهم الملقاة عليه ولكنه لم يستطع، فنجدّه يقول في عبارة تدلّ على الاستسلام المطلق والشعور بالضعف: "أنا أسب الحكومة، أعوذ بالله، أنا لست ممن يشربون من النبع ثم يصبقون فيه"^(٣١) ولما عجز عن ردّ التهم والدفاع عن نفسه لجأ إلى حلف الأيمان المغلظة ولكن دون جدوى "أقسم بالله أني عشت حياتي كلها دون أن أتكلم يوماً في السياسة، ولم أسب طوال عمري لا حكومة ولا حاكماً"^(٣٢)، وبعد سلسلة من الامتهان والتعذيب النفسي رضح محمد المحمودي لطلب المخابرات فتحول إلى عميل سري، وعاد إلى قبره في المقهى ليمارس كتابة التقارير "ثم عاد بعد قليل إلى حفرة في المقهى وهو شديد الابتهاج، فقد بات لديه

ما يفعله... إذ كان يسارع إلى كتابة ما سمعه من رواد المقهى محاذراً النسيان"^(٣٣).

ولعل هذا ما يؤكد حالة البطل المنهزم ويدلل عليها بشكل ملفت للنظر.

ومن أهم السلطات التي يركز عليها زكريا تامر في قصصه، ويسعى إلى بيان دورها الكبير في تعميق الصراع، سلطة رئيس المخفر المتسلط والشرطي؛ فقد ظهرا في أكثر من قصة، وهما: "رمز السلطة القمعية التي تمارس واجبها في الخارج ورمز القوة الدالة في الوجود لشر أجلي وعداء للفرد أينما كان وكيفما هي ظروفه"^(٣٤)، ويبدو حضورها أكثر في مجموعات القصص: الرعد ودمشق الحرائق والنمور في اليوم العاشر؛ فلا تكاد تخلو قصة من قصصه من تواجد لهذه الشخصيات السلبية البشعة التي تمارس قمعها وسحقها للشخصيات دون تعقل أو رحمة، فهي حسب زعمهم صاحبة جبروت ونفوذ قوي لا يمكن لأي أحد الوقوف في وجهها، وهي تسعى دائماً إلى سحق الشخصية (البطل) ومعاقبته دون أدنى ذنب؛ "فالشرطي فاعل

مطلق غير محدودة الفعالية، فعّال لما يشاء. هو ممثّل للسلطات الظالمة القائمة لا يقف في وجهها أي معوق و هو رمز للسلطة القمعية التي تمارس واجبها في الخارج و رمز القوة الحالة في الوجود لشر أجلي و عداء للفرد أينما كان و كيفما كانت ظروفه"^(٣٥).

ففي قصة (الذي أحرق السفن) يتحول طارق بن زياد صاحب البطولات والانتصارات بفعل قوة الشرطي المتسلط إلى شخص مبذر لأموال الدولة (خائن) فتنسب إليه تهمة الفساد السياسي، ويحكم عليه بالإعدام، وهنا نلاحظ المفارقة الساخرة في سرعة التحول في شخصية طارق بن زياد وانتهيار مبادئه، فنجدّه يردد عبارة تدل على الاستسلام المطلق والعجز عن مواجهة الصراع بقوله: "من مواطن مثالي إلى السيد مدير الشرطة، خضوعاً لأوامركم، أرجو السماح لي بأن أموت"^(٣٦). فلا يعود قرار الموت بيد الخالق بقدر ما هو مسيطر عليه من رجال الدولة وفي ذلك تصوير ساخر لكل القوى التي سلبت الإنسان حريته في العيش أو اللاعيش.

المخفر سطوته بكل قمع ووحشية، فيوجه إلى أبي الحسن سيلاً من التهم، وعندما عجز أبو الحسن عن نفي التهم تمكن رئيس المخفر من نزع الاعترافات الصريحة من لسان أبي الحسن، فنجده يعترف بأنه سارق وبأنه ليس رجلاً بل امرأة.

ثانياً: الصراع مع الشخصيات السلطوية الخارجية الاستعمارية:
يستدعي زكريا تامر عدداً من الشخصيات التاريخية غير العربية المعروفة بسياساتها القمعية، ومن هذه الشخصيات: القائد الفرنسي (هنري غورو) والذي يستدعيه زكريا تامر في قصة (المطربش)، فقد جاء لنجدة امرأة منصور الحاف عندما طلقها زوجها بعد أن طلبت منه أن يطلق المطربش أو يطلقها، فما كان من منصور الحاف إلا أن يطلقها بعدما أحبها حباً كبيراً، ولما شعرت نزيهه بقسوة منصور وما حصل منه صرخت مستغيثة بصوت مرتفع: وآغوراه، ولما وصل النداء إلى مسمع الجنرال غورو لبي النداء على الفور "فبادر إلى نجدتها، وسار بجيوشه إلى دمشق، ودخلها غازياً منتصراً ملطخاً

ويمكن تعميم ما حصل مع طارق بن زياد على شخصيات أخرى من مثل عمر الخيام في قصة (المتهم)، ففي القصة تبدو شخصية الشرطي المتسلط واضحة أكثر من ذي قبل؛ حيث يدخل الشرطي المقبرة ويصيح بصوت ممطوط: "عمر الخيام، عمر الخيام أنت مطلوب للمحاكمة"^[٣٧] ولما لم يجبه عمر عاد الشرطي إلى مكتبه ليكتب تقريراً إلى رؤسائه الذين تجهمت وجوههم استنكاراً ودهشة مما حصل، فيبادرون بإصدار أوامرهم إلى عدد من الجنود بإحضار جثة عمر الخيام، يقول زكريا تامر: "فانطلق حالا إلى المقبرة عدد من رجال الشرطة يحملون المعاول والرفوش، فنبشوا قبر عمر الخيام، وأخرجوه من تحت التراب متهدلاً حقيراً متهرئ اللحم، وحملوه إلى قاعة المحاكمة حيث مثل أمام القاضي"^[٣٨]. وبعد التحقيق وإحضار الشهود وجه رجال الشرطة إلى عمر تهما كثيرة منها: أنه أصبح محرصاً على استيراد البضائع الأجنبية، وبأنه مذب، وبأن أشعاره تثير الشغب.

ونجد مثل هذا الحال في قصة (ليلة من الليالي) حيث يمارس رئيس

بدماء أبنائها القتلى على أرض
ميسلون" (٣٩).

وحال وصوله إلى دمشق دبت
حالة من الخوف والصراع غير
الطبيعي في نفوس الناس؛ فبادرت
شرذمة قليلة ممن يخافون الجنرال
غورو إلى القدوم إليه خائفين
مرتعشين لتقديم الولاء والطاعة،
وسرعان ما سار الجنرال غورو إلى قبر
صلاح الدين "وقال له بتشرف
وشماته: ها قد عدنا" (٤٠). وتبدو
حقيقة الصراع واضحة عندما بادر
الجنرال غور بإصدار الأوامر بجمع كل
الطرايش من على رؤوس الرجال في
دمشق، وقد كانت الطرايش مصدر
عز وفخر للرجال في دمشق آنذاك،
وبالفعل تمكن الجنود من جمع
الطرايش إلا طربوش منصور الحاف
الذي أصر على التمسك به وعدم
التخلي عنه مهما كلفه الأمر، وهنا
يتجلى الصراع على حقيقته "فقد أصر
على التثبيت بطربوشه، فقبض عليه
الجنود ووضعه في السجن بغير
تحقيق أو محاكمة" (٤١).

يمثل الطربوش معادلا موضوعيا
للقيم والمبادئ التي تمسك بها بطل
القصة، فهو يصر بشدة على التمسك

بها وعدم التخلي عنها؛ فنجده مقابل
الاحتفاظ بالطربوش يطلق زوجته
نزيهه أولاً، ثم يرفض إعطاء الطربوش
إلى الجنود ثانياً، وهذا يدل بقوة
على الثبات وعدم التراجع في بداية
الأمر.

وبعد نقاش طويل مليء بالسخرية
والتهكم جرى بين منصور الحاف
والجنرال غورو حول مخالفة منصور
للأوامر، يأمر الجنرال غورو الجنود
بإعدام منصور الحاف "فأهوى سيف
على رقبة منصور الحاف الجاثي على
ركبتيه، وأطاح برأسه الذي تدرج
على الأرض كأنه كرة ركلتها قدم
طفل، ولكن الطربوش ظل ملتصقا
بالرأس" (٤٢).

والمتأمل لأحداث القصة يجد
تقاطعا واضحا مع قصة المرأة التي
استغاثت بالخليفة المعتصم عندما
اعتدى عليها أحد جنود الروم في
عمورية، فصاحت: وأمعتصماه، وحال
سماع المعتصم صرخة استغاثتها
استجاب لها، ووصل إلى عمورية
وانتصر للمرأة المستغيثة وأهل
عمورية، غير أن الاختلاف بين
القصتين يكمن في مجريات ما حلَّ

بأهل الشام مقارنة مع ما حصل مع أهل عمورية المستضعفين.

ثالثاً: الصراع مع الشخصيات القمعية غير المعروفة (الرجل الأسود)
كما في قصة الجريمة، حيث لجأ زكريا تامر إلى استدعاء شخصية سلطوية غير معروفة كشخصية الرجل الأسود، ولعل السبب وراء ذلك هو إضفاء صفة الإنكار والتجاهل إلى هذه الشخصيات في محاولة للإساءة إليها وإلى دورها، وقد مارس الرجل الأسود سلطته القمعية دون هوادة، فراح يأمر وينهى ويصدر الأوامر ويقتل ويبطش دون رحمة. ويبدو دور الرجل الأسود القمعي واضحاً في عدد من القصص منها: قصة (الجريمة) فقد وجه الرجل الأسود إلى سليمان الحلبي تهمة قتل الجنرال كليبر، بعدما جمع الشهود والأدلة التي تدين سليمان الحلبي، كشهادة والذي سليمان بعدما تم اعتقالهما وإقناعهما بالإجبار على الإدلاء بشهادة الزور بحق ابنهما سليمان، يقول: "نفث الرجل الأسود دخان سيجارته، وتابع بنظراته بينما كان يتلوى صاعداً في جو الغرفة ثم يتلاشى ويتكاسل، وقال لسليمان: هل

سمعت ما قيل، الأدلة على جريمتك ثابتة"^(٤٣). ولما لم يتمكن سليمان من الدفاع عن نفسه ورد التهم الموجهة إليه، أصدر الرجل الأسود أوامره بإعدام سليمان، وما هي إلا لحظات حتى أشار الرجل الأسود إلى رجلين من رجاله قائلاً لهم: "نفذا الحكم بالإعدام"^(٤٤) وبعد سلسلة من التعذيب والإهانات قطع ساعد سليمان، ثم ذراعه اليمنى، ثم قطع رأسه.

رابعاً: الصراع مع السلطة الأسرية (سلطة الأب):

أسهمت شخصية الأب بتحجره وجموده وتزمته وأنانيته وعدم مرونته في تكون صراع حقيقي بينه وبين أفراد أسرته، مما ساهم في ضياع الأسرة و تمزقها؛ فيحاول أن يقضي على الفرد ويشترك مع الشرطي و رجال الدين لاستكمال مثلث القمع في وجه بطل زكريا.

برزت شخصية الأب السلطوي في قصتي: ثلج آخر الليل وقصة الصقر، حيث يمارس الأب دوراً قمعياً متسلطاً على أبنائه على غير المتوقع، فدور الأب في الأسرة دور قيادي، وواجبه

حماية أبنائه من كل ما قد يتعرضون له من العالم الخارجي، والدفاع عنهم وإنصافهم، أما أن يصبح الأب أداة من أدوات القمع والجبروت على أبنائه فهذا من غير المعقول، وربما يكون سبب هذا التصرف القمعي كما هو عند الباحثة امتنان الصمادي بقولها: "الأب يتعرض لقمع خارج البيت، قمع شر من قبل المسؤولين عنه في العمل مختلف المؤسسات؛ فما يكون إلا أن يمارس دوره في قمع أهل بيته كنوع من تخفيف الكبت، فيبقى الجميع في حالة صراع مستمر"^(٤٥)، ويمكن اعتبار القمع السلطوي والضييق المادي سببين آخرين في تنمية الصراع الأسري وتقويته؛ لا سيما إذا كانت الظروف المادية ظروفًا صعبة ورافقتها استغلال لموارد الشعب من قبل بعض المسؤولين الجشعين.

وفي قصة (ثلج آخر الليل) تظهر شخصية الأب القاسي واضحة من بداية القصة، فها هو الأب يمارس أول أعمال القسوة في بيته فنجد "يجلس صامتاً، ترين الكأبة على وجهه المتغضن، ويلتمع في عينيه سخط خفي، ويداه مرتميتان بوجوم على

ركبته كصديقين متعبين عجوزين"^(٤٦) ولا يكتفي الأب ببث القسوة في البيت فقط بل نجده يتدخل في كل التفاصيل التي تدور فيه، ليعمق فجوة الصراع، فيمارس القسوة على أبنائه، ولا يمنحهم الحرية الكافية، فنجده يتدخل في تحركات الابن ويطلب منه الجلوس قائلاً له: "ألم تتعب من الوقوف؟"^(٤٧) وقد كان الأب يمارس أقسى درجات العناد والجبروت لا سيما عندما أخبره يوسف بوجود أفعى في البيت، فكان الجواب من الأب: "اعثر عليها إذا استطعت واقتلها"^(٤٨) ولا يقف الأمر عند هذا الحد فقط بل نجد الابن لا يجرؤ على التدخين أمام والده ولا بقدر شعوره، فنجده يخاطب الابن بسخرية: "يا لك من مسكين عمك كثير جداً... هل تكسر الحجارة في النهار؟ لماذا تتعب ما دمت لا تعمل شيئاً؟ هل أتعبك التثاؤب؟ قل لي... ألم تجد عملاً؟"^(٤٩).

ولا يقف الأمر عند فرض السطوة على الابن فقط؛ فبسبب قسوة الأب اضطرت الابنة إلى الهروب من البيت تاركة لأهلها العار، ولا يعترف الأب بأنه هو المسؤول عن ذلك بل نجده

يلقي باللوم على الأم فيقول لها بحق: "أنا لا ألوم أحدا سواك، أنت التي أفسدت الأولاد، الابن الشاب يأكل وينام، والبنت تهرب... والزوجة مع الجارات... والأب يشغل كالحمار..."^(٥٠) ونتيجة لما يعانيه الأب من ضغط نفسي نجده يلجأ إلى الصراخ وندب الحظ، والتهديد والوعيد لها، ولذا فهو يطلب من الابن في حال عثر على أخته أن يذبحها كالكلبة. وقد ظل الابن يعيش قسوة الحياة مع أبيه حتى أنه كان يتمنى الخلاص منه "عمري يتبدد... أريد عمراً آخر بلا أب"^(٥١) وحتى أخته الهاربة من بطش الأب وقسوته تتمنى هي الأخرى الخلاص من الأب، فنجدته تقول: "كل اللوم على أبي. لن أسامحه... عذبنا كثيراً"^(٥٢).

وفي قصة (الصقر) يموت الأب ويبقى الصراع والخوف والرعب في نفس أولاده مسيطرا عليهم، يلقي إليهم الأوامر بحق، فنجدته يقول - عندما قدم ولده لزيارة قبره وقراءة الفاتحة على روحه: "يا ولد... اخجل... كف عن التدخين"^(٥٣)، كما نجد الأب يوجه إلى ولده جملة من الأسئلة الخائفة التي يحاول الابن

التهرب من إجابتها من شدة الخوف، فيكون الصراخ الوسيلة التي يعبر بها الأب عن غضبه وقسوته على ابنه الذي يعود إلى البيت هارباً من صراخ أبيه.

وفي قصة (العرس الشرقي) يمارس الأب دور الإنسان الحاني على أولاده الرؤوف بهم، بعد أن كان ينعت ابنه بالعقوق، فسرعان ما طلب الولد من أمه الزواج سارع الأب إلى توجيه جملة من الشروط على ولده صلاح، والذي كان بدوره ابناً مطيعاً لأوامر أبيه، فنجدته يطلب منه أن يصلي، وأن يصوم رمضان، وأن لا يسهر خارج البيت، وأن لا يسكر، فيوافق الابن على طلبات أبيه، ويقبل يد والده: "فدنا صلاح من أبيه، وأحنى رأسه، وقبل يده بخشوع، فقال الأب: هيا قبلها ثلاث مرات"^(٥٤) فيبادر الأب إلى تزويج ابنه صلاح من ابنة جيرانهم هيفاء.

خامساً: الصراع مع السلطة الاقتصادية (سياسة التجويع):

وتتمثل في سلطة الفقر القوية القادرة على تجويع المواطنين وسحقهم، ولعل هذا ما يخيف زكريا

تامر ولذا نجده " يذكر لنا أحيانا أسباب ملله أو أسباب إحساسه بالقلق: إنه الفقر (يعيش في قبو) وضُجيج المدينة وافتقار المرأة^(٥٥)، ومثل هذا الوعي يجعل الشخصية على صلة بهوموم الواقع رغم تظاهرها بعدم المبالاة.

يعيش عدد كبير من أبطال قصص زكريا تامر ظروفًا قاسية جراء الفقر الشديد المحيط بهم وبظروف حياتهم الصعبة، فنجد نماذج شخصية تدل بشكل مباشر على سوء الوضع المادي وما ينتج عنه من تحول خطير؛ مما يدفع بصاحبه إلى التخلي عن كل القيم والمبادئ في سبيل الحصول على لقمة العيش.

يستغل زكريا همّ الجوع عند أبطاله ليعبر به عن هموم إنسانية كبيرة بل تتحول هذه الهموم - أحياناً - إلى ملحمة سريالية مفعجة كما يرى الكاتب رياض عصمت " فالجوع في قصصه نوعان: نوع مادي وآخر معنوي، وهذا النوعان يتشابكان معاً من أجل إضاءة حياة الفرد التعسة^(٥٦) بذلك يكون بطل زكريا - المعدم اقتصادياً - ضحية للمجتمع الشرس، فيتمنى العيش - حتى ولو

في الأحلام - في ظل ظروف جيدة مع الأغنياء إلا أن عالم الأغنياء جزء من شراسة الواقع، "لذا تبلور إحساس الفرد بالدونية"^(٥٧).

حيث تسعى السلطات القوية إلى تجويع المواطنين وسحقهم، وتتمثل هذه السلطة في قصة (النمور في اليوم العاشر) في شخصية المروض الذي تمكن من اصطياد نمر من الغابة وعاد به إلى المدينة، وبعد أن تحلق وتلاميذه حول النمر الغاضب، قال لهم بصوت هادئ ذي نبرة أمرية: "إذا أردتم حقاً أن تتعلموا مهنتي، مهنة الترويض، عليكم ألا تنسوا في أية لحظة أن معدة خصمكم هدفكم الأول"^(٥٨)، وتابع قائلاً لهم: "راقبوا ما سيجري بين من يملك الطعام وبين من لا يملكه، تعلموا"^(٥٩). ولما بدأ النمر يتضور جوعاً أخذ يأمر المروض بأن يحضر له الطعام، فجاءه رد المروض القاسي: "أنت مرغم على إطاعتي أنا الذي أملك الطعام"^(٦٠). وقد حاول النمر التصبر على الجوع وإظهار كبريائه وقدرته على التحمل، ولكن المروض أدرك بحنكته وعميق تجربته أن النمر سيخضع في نهاية الأمر ولن يصمد طويلاً أمام الجوع،

وسينفذ كل أوامر المروض، وسيصبح بعد أيام نمرًا من ورق، فنجدّه يقول لتلاميذه: "سترون كيف سيتبدل، فالرأس المرفوعة لا تشبع معدة جائعة"^(٦١) وبعد سلسلة من محاولات التجويع المقصودة قدم النمر تنازلات كثيرة مقابل الطعام، فقد تنازل أول الأمر عن حريته "أنت الآن مجرد عبد تمتثل للأوامر وتفعل ما أشاء"^(٦٢) ثم عن كرامته ثم عن مبادئه وأفكاره وشخصيته ليصبح بعد عشرة أيام مواطناً ضعيفاً مسلوب الإرادة غير قادر على إطعام نفسه أو حتى التعبير عن رأيه: "وفي اليوم العاشر، اختفى المروض وتلاميذه والنمر والقفص، فصار النمر مواطناً والقفص مدينة"^(٦٣).

يجمع الكثير من النقاد على أن من أهم وأبرز قصص "زكريا تامر" قصة (النمر في اليوم العاشر)، فهي قصة الطاغية والشعب، حيث يروض الطاغية الشعب عن طريق الجوع، فيجعله ينهق كالحمار، ويحاول الطيران ويأكل الحشائش، والنمر هو الحيوان الوحيد الذي يكون ترويضه صعباً ومؤقتاً؛ لذا يستعينون دوماً بحامل للسلاح أثناء

التعامل مع النمر لأنه قد يعود إلى توحشه، ونهاية القصة معبرة جداً: "في اليوم العاشر، اختفى المروض وتلاميذه والنمر والقفص، فصار النمر مواطناً والقفص مدينة"^(٦٤).

ولعل لجوء زكريا تامر إلى الرمزية دليل على سخريته المباشرة من الواقع المؤلم، فالمروض يمثل السلطة بشكلها البشع، والتلاميذ يمثلون أعوان السلطة الفاسدين، واما النمر فيمثل المواطن المتحول المسحوق.

يؤمن زكريا تامر بخطورة الفقر ويدرك النتائج المترتبة عليه، فنجدّه في قصة (عباد الله) يصور تحول البطل عبدالله بن سلمان من رجل بسيط مسالم إلى رجل قاتل يقدم على قتل أحد الأشخاص في سبيل الحصول على حذاء يلبسه، بعد أن عاش حياته كلها يحلم بلبس حذاء.

كما ينبه زكريا تامر في غير موضع إلى مخاطر اجتماعية أبعد من ذلك، كالهروب من البيت، وممارسة الأعمال السيئة، ففي قصة (الأغنية الزرقاء الخشبية) يدفع الفقر بأميمة بطلة القصة إلى السلوك السيئ؛ فتهرب من الحارة.

وفي قصة (الرغيف اليابس) يدفع الفقر بليلى إلى التخلي عن كل شيء في سبيل الحياة.

وهو بتقديمه لهذه النماذج لا يهدف إلى تعرية البطلة وتبرير سلوكها غير الصحيح؛ وإنما يهدف إلى نقد الواقع وجلد المجتمع، من خلال إيقاظ الأفكار والدعوة إلى المواجهة وعدم التخلي عن المواقف والمبادئ.

غايات الصراع مع السلطة:
تنوعت غايات الصراع عند زكريا تامر وذلك تبعا لنوع السلطة، ويمكن حصرها في ثلاث نقاط.

أولاً: تغيير القيم والمبادئ:

تسعى قوى السلطة والجبروت إلى تغيير المبادئ والقيم عند عدد كبير من الشخصيات في قصص زكريا تامر، ومن الأمثلة على ذلك تخلي النمر القوي في قصة (النمرور في اليوم العاشر) عن مبادئه وأفكاره وقيمه؛ حيث تمكن المروض من تغيير النمر القوي وتحويله إلى نمر من ورق كما وعد تلاميذه بذلك من قبل، فصار النمر بعد التحول إنساناً ضعيفاً مهزوماً لا شخصية له ولا كرامة ينافق ويجمال ولو على حسابه الشخصي،

ويقلد غيره ممن هم أدنى منه، لا يستطيع التفكير بعقله بل يفكر بعقل غيره، ويرضى بما يمليه عليه غيره من شروط وأحكام.

وفي قصة (ملخص ما جرى لمحمد المحمودي) يتخلى البطل عن مبادئه وأفكاره وقيمه؛ ليصبح عميلاً سرياً للمخابرات يقبع في قبره داخل المقهى يسمع ويدون ما يتحدث به رواد المقهى أولاً بأول.

كما نلمس التغيير في القيم والمبادئ عند عمر القاسم المعلم في قصة (يا أيها الكرز المنسي)؛ حيث تحول بطل القصة من شخص صاحب مبادئ وقيم إلى شخص آخر انتهازي، يحب المصلحة الذاتية، ويتصيد الفرص، ويتنكر لأهل الضيعة البسطاء، والذين رأوا فيه المخلص لهم المنقذ.

وفي قصة (الجريمة) يدفع الصراع بأهل سليمان الحلبي إلى التخلي عن مبادئهم وأفكارهم وقيمهم لتلقيق التهم حول ابنهم سليمان.

وفي قصة (موت الياسمين) تتخلى المعلمة عن قيمها ومبادئها لتصبح امرأة لا يهمها إلا الجنس ومضاجعة

الرجال. وفي قصة (الإعدام) يتخلى عمر المختار عن مبادئه ومواقفه البطولية ليصبح بعد المحاكمة رجلاً مهزوماً لا يملك إلا البكاء، فنجدته يقف عاجزاً عن تغيير الواقع ويعود إلى المقبرة يهرول مسرعاً.

في قصة (في يوم مرج) نجد الرجل الطويل القامة يقتل الطفل الصغير ويتخلى بفعل تهديد رجال الشرطة عن مبادئه ومواقفه، فنجدته يبكي بكاء الذليل، ويقلد صوت الحمار.

وفي قصة (ليلة من الليالي) يتخلى أبو حسن صاحب المواقف الرجولية عن بطولاته ورجولته ومواقفه الاجتماعية؛ ليصبح إنساناً ضعيفاً، على غير ما عرف عنه سابقاً.

ثانياً: التغيير في المواقف السياسية:

أظهر زكريا تامر غايات هذا الصراع عند عدد من شخصيات قصصه لا سيما عند الشخصيات التاريخية التي استدعاها في عدد من قصصه، أمثال: كافور الإخشيدي والمنتبي وطارق بن زياد وعمر الخيام وغيرهم؛ ففي قصة (نبوءة كافور الإخشيدي) يتخلى المنتبي عن مواقفه

الفكرية والشعرية، ليتحول من شخص عزيز النفس قوي الإرادة إلى شخص آخر ذليل ضعيف، يضربه رجال كافور دون رحمة أو شفقة، "و حين تحول صراخ المنتبي إلى بكاء ذليل، أمر كافور بالكف عن ضربه، ووقف المنتبي أمام كافور الإخشيدي محني الرأس بذل، مبتل الوجه بالدموع والدماء..."^(٦٥).

ولم يكتف كافور بالضرب فقط بل أخذ يوجه للمنتبي سيلاً من الاتهامات وينعته بالوقاحة، مما دفع المنتبي إلى مدح كافور بقصيدة نالت إعجابه، ثم هجاه بقصيدة أخرى، وهذا ما جعل كافور يسر، ويقدم تفسيراً لمن حوله قائلاً لهم: "ستظنون أغبياء تجهلون التعامل مع البشر والحياة، سأشرح لكم ما فعلت وأسبابه... المنتبي شاعر متكبر متعجرف، معتد بنفسه، ويجب أن يعاقب ولا سيما أنه سيكون في المستقبل من الشعراء الخالدين، وقد عاقبته شر عقاب، لقد أرغمته على مدحي ثم أرغمته على هجائي، وهذا التناقض سيصبح في المستقبل تهمة شائنة تدين المنتبي، وتبرهن على أنه مجرد مرتزق صغير غير جدير

بالاحترام"^(٦٦). وفي قصة (الذي أحرق السفن) نجد طارق بن زياد صاحب الفتوحات الإسلامية العظيمة يتهم بتبديد أموال الدولة وينعت بالخائن، ويتهم بالفساد السياسي؛ ليحكم عليه بعد ذلك بالإعدام، فيقف طارق بن زياد حيال التهم الموجهة إليه موقف العاجز لا يستطيع ردها والدفاع عن نفسه.

ثالثاً: التغيير الأخلاقي:

لعل من أهم الغايات التي تسعى إليها السلطة جراء صراعتها مع الأفراد هي تغيير أخلاقهم بفعل عوامل متعددة كال فقر والسلطة والتغيير الاجتماعي (التمدن)، مما يجعل أخلاق الشخصيات عرضة للتبدل والتغيير، ففي قصة (النار والماء) تتخلى الهام عن أخلاقها وتربيتها الحسنة لتقوم برفع الحجاب عن رأسها والسير مع فواز في الشارع دون خجل أو تردد.

وفي قصة (امرأة وحيدة) نجد الشيخ سعيد يتخلى عن أخلاقه الدينية ليعمل مشعوذاً، يمتهن السحر والشعوذة والكذب على النساء تحديداً، فيدفعه عمله إلى استغلال

المرأة التي جاءت إليه، فيعريها من ملابسها ويأخذ منها ما يريد بحجة أن أخوته من الجن يريدون ذلك وعلى المرأة المسكينة أن تطيعهم في كل ما يريدون وإلا غضبوا عليها.

في قصة (الكذب) يتخلى المعلم عن أخلاقه ليصبح رجلاً كاذباً.

وفي قصة (رجال) تتحول نبيلة زوجة عبد الحليم إلى امرأة لا تملك أخلاقاً، فتفرض أمر زوجها تخرج كل يوم من البيت بدون أذنه وتخرج إلى الشارع بدون ملاءة، وتكلم رجلاً آخر وتنام مع رجل آخر وتحبل منه لتنجب بنتاً.

وفي قصة (المستشارون) تتخلى دلال القصاص عن أخلاقها لتغري الرجال بجمالها وتنشئ شبكة للدعارة.

وفي قصة (المهارشة) تتحول المرأة إلى امرأة وقحة شرسة كما تتحول البنت إلى بنت متسكعة.

وفي قصة (الخراف) تتخلى المرأة عن أخلاقها وتتححر من اللباس، مما يغضب أهل الحارة منها ومن أخيها الذي رفض أن يستر أخته.

في قصة (موت الشعر الأسود)
يقتل الأخ أخته (فطمه) خشية العار.

الخاتمة:

تمكن الأديب زكريا تامر من تصوير حقيقة الصراع الكبير بين السلطة القمعية وممارساتها والفرد (المواطن) المسحوق بشكل واضح في العديد من مجموعاته القصصية، ولا يخفى على القارئ حقيقة هذا الصراع وغاياته، ومن هنا فقد سعى البحث في -دراسة تحليلية- إلى الكشف عن حقيقة الصراع بين الطرفين مع تبيان أنواعه وغاياته، والاستدلال على كل ذلك من خلال مجموعاته القصصية، وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج على النحو الآتي:

أولاً: إن حقيقة الصراع بين المثقف والسلطة أمر لا يمكن تجاهله، لا سيما إذا كانت السلطة تعاني الترهل والضعف الفكري والسياسي، ولذا فهي تخاف من المثقفين وتحاول قمعهم واستمالتهم بكافة الطرق والأساليب.

ثانياً: تطرق عدد كبير من الأدباء إلى تبيان حقيقة هذا الصراع، وتوضيح مقاصده وغاياته، وذلك

واضح في مختلف الأجناس الأدبية من شعر وقصة وغيرها.

ثالثاً: يعدّ الأديب زكريا تامر رائداً للقصة السورية الحديثة وذلك بفضل قدرته الأدبية الواسعة على التصوير الفني، ورسم الشخصيات وتوضيح الأفكار.

رابعاً: عانى الأديب زكريا تامر من الصراع الفكري مع السلطة، فلا عجب أن نجده يغادر وطنه سوريا بحثاً عن الحرية الفكرية التي يريدها.

خامساً: يبدو أن من أكثر أنواع الصراعات التي تدور رحاها بين المثقف والسلطة الصراع الفكري؛ لأن السلطة تدرك خطورة الفكر على مواطنيها، ولذا فهي تحاول جاهدة تدمير الأفكار وتقزيم أصحابها ما أمكن.

سادساً: يتعرض جميع أبطال قصة زكريا تامر لألوان من القمع والقسوة والبطش من السلطة بشكل مباشر وغير مباشر بهدف السيطرة عليهم وسحقهم.

سابعاً: يستدعي زكريا تامر عدداً من الشخصيات التاريخية المعروفة

(٥) صاحب الربيعي، الصراع والمواجهة بين المثقف والسياسي، ص: ٢٠
(٦) للمزيد انظر: زكريا تامر، النمر في اليوم العاشر ط٢، منشورات دار الآداب، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص: ٢.
ونزار نجار، زكريا تامر براءة الحلم الطفولي وتجربة فقدان هويتها/ الموقف الأدبي، العدد ٢٠١٧/٧٦٦، www.awu-

dam.com

بشار إبراهيم نايف، شعرية النص في خطاب زكريا تامر القصصي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، ص: ٢٠٠٦/٥. ماجده حموده، خصوصية زكريا تامر، نبذة عن زكريا تامر uqu.edu.sa

(٧) توظف في عام (١٩٦٠) في وزارة الثقافة والإرشاد القومي، وفي عام (١٩٦٣) أصبح مسؤولاً في مجلة "الموقف العربي" الأسبوعية، وفي عام (١٩٦٥) عمل في مديرية النصوص في تلفزيون جدة بالمملكة العربية السعودية، كما عمل في عام (١٩٦٦) في مراقبة الكتب في وزارة الإعلام السورية، ثم مديراً للنصوص في التلفزيون العربي السوري، بعد ذلك تفرغ للعمل في اتحاد الكتاب العرب، الذي كان أحد مؤسسيه، ورأس تحرير دوريته الشهرية "الموقف الأدبي" وقد عمل أيضاً رئيساً لتحرير مجلتي "أسامة" للأطفال، و"المعرفة" الصادرتين عن وزارة الثقافة السورية، وهو الآن يعمل في الصحافة الثقافية في لندن.

ترجمت أعماله القصصية إلى الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية والبلغارية والروسية والألمانية.
ولعل من أهم مميزات قصصه أنها تفيض بطاقة شعرية مدهشة في كثافتها، الأمر الذي لم

بقوتها وثبات موقفها، ويجعل السلطة تمارس بحق تلك الشخصيات ألواناً من البطش والتهميش؛ ليبين للقارئ أن السياسة لا تفرق بين عالم وقائد وكاتب وشاعر، فالكل في عرفها مثقف ويجب القضاء عليه.

ثامناً: لا تزال مجموعات زكريا تامر القصصية حبلً بالمزيد من الأفكار والتي تحتاج إلى المزيد من البحث الدراسة.

وبعد؛ فلا يزال هذا العنوان يحتاج إلى مزيد من البحث والجهد مع أن الباحث يجد صعوبة بالغة في العثور على المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع؛ وذلك لحدائته من جهة ولقلة الدراسات من جهة أخرى.

الهوامش:

- (١) شوكت يوسف، المثقفون والنقد الاجتماعي، ص: ١٢٦-١٢٩.
- (٢) كريم أبو حلاوه، المثقف العربي بين السلطة والمجتمع، ص: ٢.
- (٣) إبراهيم الحيدري، بين المثقف والسلطة، ص: ١.
- (٤) نبيل الحيدري، جدلية العلاقة بين المثقف والسلطة، الحوار المتمدن، العدد ٤٣٣٨، تاريخ ٢٠١٤/١/١٨، قراءات في عالم الكتب والمطبوعات.

الحوار المتمدن، العدد ٥٣٥٩، تاريخ

٢٠١٦/١٢/٢، محور الأدب والفن.

(١٧) مفيد نجم، المرجع نفسه، ص: ٢

(١٨) مفيد نجم، المرجع نفسه، ص: ٢

(١٩) امتنان الصمادي، المرجع نفسه، ص: ١٢٢.

(٢٠) عبير بركات، المرجع نفسه، ص: ٦

(٢١) عبير بركات، المرجع نفسه، ص: ٦

(٢٢) امتنان الصمادي، المرجع السابق، ص: ١٢٠

(٢٣) مفيد نجم، المرجع نفسه، ص: ٢

(٢٤) مفيد نجم، المرجع نفسه، ص: ٢

(٢٥) مفيد نجم، التناس في قصص زكريا تامر،

www.syrianwa.com، ص: ٢.

(٢٦) امتنان الصمادي، المرجع السابق، ص: ١٠٥

(٢٧) امتنان الصمادي، المرجع نفسه، ص: ٣٨

(٢٨) امتنان الصمادي، المرجع نفسه، ص: ١٣٣

(٢٩) امتنان الصمادي، المرجع السابق، ص: ١٣٦

(٣٠) ناديا خوست، قصص زكريا تامر الجديدة،

مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب،

العدد: ٣٥٢، دمشق.

(٣١) زكريا تامر، قصة ملخص ما جرى لمحمد

المحمودي، ص: ١٢٣

(٣٢) زكريا تامر، المصدر نفسه، ص: ١٢٣

(٣٣) زكريا تامر، المصدر نفسه، ص: ١٢٤

(٣٤) امتنان الصمادي، زكريا تامر والقصة

القصيرة، ص: ١٤٣.

(٣٥) صلاح عبيد، فن القصة في أعمال زكريا تامر

القصصية، دراسة البناء الفني في أعمال

زكريا تامر، ص: ٤.

(٣٦) زكريا تامر، قصة: الذي أحرق السفن، ص:

٢٧

(٣٧) زكريا تامر، قصة المتهم، ص: ٣١.

(٣٨) زكريا تامر، المصدر نفسه، ص: ٣١.

(٣٩) زكريا تامر، قصة المطربش، ص: ١٦٢.

(٤٠) زكريا تامر، المصدر نفسه، ص: ١٦٢.

(٤١) زكريا تامر، المصدر نفسه، ص: ١٦٤.

تعرفه الأقصوصة العربية من قبل، وكما

يقول صبري حافظ: "كانت أعمال زكريا

تامر هي البداية الحقيقية للصوت الجديد

وللرؤى الجديدة التي أطلت على أفق

الأقصوصة العربية معه، ثم اتسعت

رقعتها على أيدي جيل الستينيات في مصر-

والعراق من بعده، لأنه استطاع -بعد

منتصف الستينيات بقليل- أن يتلمس

إطلاقات الحساسية الممزقة، وهي تتخلق

تحت قشرة الحساسية القديمة السائدة،

وأن يستوعب ملامح هذه الحساسية

الوليدة في وعاء فني يتواءم معها وينطوي

في الوقت نفسه على تمزقاتها التي تعبر عن

مرحلة تاريخية وحضارية من حياة أمتنا

العربية".

(٨) عايشة عبدالرحمن، قيم جديدة للأدب

العربي القديم: ص: ٢٢٩

(٩) امتنان الصمادي، المرجع نفسه، ص: ٣٤.

(١٠) زكريا تامر "نداء نوح" دار رياض نجيب

الريس، ط ١، ١٩٩٤، عن كلمة الغلاف

(١١) صلاح عبيد، فن القصة القصيرة في أعمال

زكريا تامر، ٢٠٠٩

s.abdi57@gmail.com.

(١٢) امتنان الصمادي، زكريا تامر والقصة

القصيرة، الطبعة الأولى، عمان، وزارة

الثقافة، ١٩٩٥م، ص: ١١٦.

(١٣) عبير بركات، التجليات الجمالية للقبيح في

قصص زكريا تامر السلطة أمودجاً، مجلة

جامعة تشرين للدراسات والبحوث

العلمية سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية،

مجلد ٢٩ عدد (١) ٢٠٠٧م، ص: ٣.

(١٤) امتنان الصمادي، المرجع نفسه، ص: ١٣٣.

(١٥) امتنان الصمادي، المرجع نفسه، ص: ١٣٨.

(١٦) محمود زعرور، زكريا تامر صورة جديدة

للقصبة السورية/ من الهوية إلى التحديث،

- (٤٢) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ١٦٦.
- (٤٣) زكريا تآمر، قصة الجريمة، ص: ٣٤.
- (٤٤) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ٣٧.
- (٤٥) امتنان الصمادي، المرجع السابق، ص: ١٤٣.
- (٤٦) زكريا تآمر، قصة ثلج آخر الليل، ص: ١١.
- (٤٧) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ١٢.
- (٤٨) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ١٣.
- (٤٩) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ١٤.
- (٥٠) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ١٤.
- (٥١) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ١٦.
- (٥٢) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ٢٠.
- (٥٣) زكريا تآمر، قصة الصقر، ص: ١٧.
- (٥٤) زكريا تآمر، المصدر السابق، ص: ٨٤.
- (٥٥) ماجده حموده، خصوصية زكريا تآمر، ص: ١.
- (٥٦) رياض عصمت، هموم زكريا تآمر، ص: ٨٦.
- (٥٧) امتنان الصمادي، المرجع السابق، ص: ٥٦.
- (٥٨) زكريا تآمر، النمرور في اليوم العاشر، ص: ٧٥.
- (٥٩) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ٧٦.
- (٦٠) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ٧٦.
- (٦١) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ٧٦.
- (٦٢) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ٧٦.
- (٦٣) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ٨٠.
- (٦٤) سماح عادل، زكريا تآمر، ساند الثورة السورية ولا يخشى - صعود التيارات الإسلامية / موقع كتابات، الأحد ٢٠١٧/٩/٢٤.
- (٦٥) زكريا تآمر، قصة نبوءة كافور الإخشيدي، ص: ١٠.
- (٦٦) زكريا تآمر، المصدر نفسه، ص: ١٠.

□ اللجوء السوري وأثاره على البيئة والتنمية في الأردن:

□ (دراسة تحليلية)



د. أدب مبارك السعود *

تاريخ الوصول: ٢٠١٨/٩/١ م

تاريخ القبول: ٢٠١٨/١١/٢٥ م

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أهم الآثار التي خلفها اللجوء السوري على البيئة والتنمية في الأردن، باستخدام المنهج التحليلي بالاعتماد على الدراسات والتقارير المحلية والأممية حول اللجوء السوري في الأردن من زوايا متعددة، حيث توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: أن الأردن يتحمل عبء اللجوء ويساهم في النسبة الأكبر في الإنفاق على الخدمات المقدمة للاجئين السوريين، بالرغم من عدم توقيعه على اتفاقية جنيف ١٩٥١ الخاصة باللاجئين، مما يشير إلى تقصير دولي في دعم الأردن بهذا المجال، وأن اللجوء السوري أدى إلى حدوث مشكلات بيئية، وضغوط كبيرة على الموارد الطبيعية، والاقتصاد الأردني وعملية التنمية، وقطاع الخدمات، والبنية التحتية والأمن والسلم المجتمعي، كما كشفت عن قلة الدراسات التي تناولت أثر اللجوء السوري على الموارد الطبيعية بشكل خاص.

وأوصت الدراسة بضرورة توجيه الباحثين لإجراء دراسات متخصصة حول الآثار البيئية للجوء السوري في الأردن، وتقديمها للمنظمات الدولية والمحلية لتقديم المساعدة المادية والفنية والتقنية للأردن لمعالجة الاختلالات البيئية الناجمة عن اللجوء السوري، وأخرى متعلقة بالآثار والتغيرات (السلبية) الإقتصادية والاجتماعية بسبب هذا اللجوء. الكلمات الدالة: اللجوء، البيئة، الأثر البيئي، الدول المستضيفة.

* أستاذ مساعد، كلية الاداب، جامعة العلوم الاسلامية العالمية.

Abstract

Abstract

The study aimed to identify the most important effects of the Syrian asylum on the environment and development in Jordan, using the analytical method based on the local and international studies and reports on the Syrian asylum in Jordan from multiple angles. The study reached several conclusions: Jordan bears the burden of asylum and contributes In spite of the fact that it did not sign the 1951 Geneva Convention relating to refugees, which indicates an international failure to support Jordan in this area, and that Syrian asylum has led to environmental problems and great pressures on natural resources, The Jordanian economy, the development process, the services sector, infrastructure, security and community peace, as well as the lack of studies on the impact of Syrian asylum on natural resources in particular.

The study recommended that researchers be directed to conduct specialized studies on the environmental effects of Syrian asylum in Jordan and to provide them with international and local organizations to provide material, and technical assistance to Jordan to deal with the environmental imbalances resulting from Syrian asylum and other effects related to economic and social impacts.

Keywords: asylum, environment, environmental impact, host countries

المقدمة:

تعتبر البيئة الوسط المحيط بالإنسان، ويشمل جميع الأشياء المادية وغير المادية، التي ترتبط فيما

بينها بعلاقات تأثير متبادلة يمكنه من التكيف معها، أو الاستجابة لظروفها لتحقيق بقاءه واستدامة حياته^(١)، ويعتبر الإنسان المستفيد الأكبر من عناصر النظام البيئي التي سخرها

لخدمته عبر العصور، إلا أن ذلك أدّى إلى إلحاق العديد من الأضرار بالنظام البيئي، مما أحدث خلا في توازن هذا النظام وقدرته على القيام بأدواره بشكل طبيعي ﴿ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ﴾ [الروم: ٤١]. فظهرت المشكلات البيئية الكبيرة التي أدت إلى مشكلات اقتصادية، وسياسية، واجتماعية، أمنية، وبذلك أصبح موضوع البيئة وضرورة المحافظة عليها من التلوث أمراً حيويّاً، وموضع اهتمام العلماء والمفكرين والجمعيات والمنظمات العاملة في هذا المجال.

كما حظي موضوع اللجوء باهتمام كبير لما ينجم عنها من آثار سلبية على البيئة البلدان المستضيفة، لذا أصبح من الضروري الدمج بين مفهومي البيئة واللجوء، وفي هذا السياق برزت مفاهيم جديدة مثل: الهجرة البيئية، واللجوء البيئي، والتي قد تعود أسبابها إلى عوامل مناخية (التغيّر المناخي)، أو الكوارث الطبيعية (الفيضانات والأعاصير والزلازل)، والحروب والنزاعات المسلحة، مما يؤدي إلى نزوح هائل للمهاجرين من بلادهم إلى بلاد أخرى

طلباً للأمن السياسي، والاجتماعي والاقتصادي.

وأياً كانت أسباب اللجوء، ونظراً لآثاره على البيئة والتنمية، فإنه يمكن دراسته من جانبين:

الأول: العوامل البيئية كقوة دافعة للهجرة (الأسباب). وهذا الاتجاه يهتم بدراسة البيئة فقط.

الثاني : دراسة الآثار البيئية المختلفة للهجرات القسرية على الدول المضيفة البيئية.

ومع أن اتفاقية جنيف لسنة ١٩٥١ التي حددت شروط قبول اللجوء لم تذكر المناخ كسبب من الأسباب الداعية إلى اللجوء. فقد وافقت المنظمة الدولية للهجرة في عام (٢٠٠٧) على تعريف مصطلح المهاجرين البيئيين وليس اللاجئين البيئيين نتيجة للتغيرات المناخية^(١)، في حين أخذ مفهوم اللجوء بعداً سياسياً أي أن الدافع له سياسي(نزاعات، حروب، تطهير عرقي) وليس طبيعي (مناخ، كوارث طبيعية).

ويعتبر اللجوء مرادف لمفهوم الهجرة القسرية (the forced Migration) والذي يعني الانتقال

مشكلة الدراسة:

يشكل اللجوء السوري في الأردن عبئاً كبيراً على الدولة، حيث أدى إلى حدوث آثار سلبية على البيئة وعناصرها ومواردها، وتغيرات اقتصادية، واجتماعية، وديمقراطية، وسياسية، حيث يقوم الأردن - بالرغم من محدودية موارده - بتقديم المساعدة والرعاية الإنسانية للاجئين بما يتوافق مع المواثيق الدولية المتعلقة بالهجرة، والعلاقة الأخوية الخاصة، والأدوار الإنسانية، الأمر الذي يتطلب منه الحفاظ على استدامة موارده بوضعها المتوازن، وأمنه الإقتصادي والاجتماعي والسياسي، من خلال وضع برامج خاصة للتعامل مع أزمة اللجوء بالتعاون مع المجتمع الدولي والمنظمات الإنسانية ذات العلاقة، لذا جاءت هذه الدراسة للتعرف إلى أثر اللجوء السوري على البيئة والتنمية في الأردن، وتحديد العقبات التي تواجه الأردن في التعامل مع الآثار السلبية للجوء، وأهم المقترحات للتغلب على هذه العقبات والتحديات.

القسري للأفراد بعيداً عن موطنهم، أو المنطقة التي يعيشون بها، بعد إجبارهم على ذلك من قبل مجموعات معينة، لأسباب دينية، أو مذهبية أو عرقية والقسر (الإجبار)، العرقي والديني، وقد يتم داخل الدولة الواحدة (نزوح) أو خارجها^(٣).

وينتج عن اللجوء العديد من الآثار السلبية على الدول المضيفة، خاصة إذا كانت هذه الدول ذات موارد محدودة، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور مشكلات اقتصادية، واجتماعية، وسياسية وأمنية. وغالباً ما يتم التركيز على الآثار الاقتصادية والسياسية باعتبارها سريعة الظهور، فيما يقل الاهتمام بدراسة أثاره السلبية على البيئة والموارد الطبيعية، والتي ترتبط ارتباطاً مباشراً بقضايا الأمن، والاقتصاد والسياسة بشكل كبير، مما يستدعي القيام بدراسات تبين الآثار البيئية للجوء على الموارد وعملية التنمية في الدول المضيفة، إذ أن قضايا البيئة لا تشكل أولوية في قائمة اهتمام المنظمات الدولية عند قيامها بأعمال دعم وإغاثة اللاجئين، لذا كانت هذه الدراسة.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحديد أثر اللجوء السوري على الموارد الطبيعية والتنمية في الأردن، والتحديات التي تواجه الأردن في ظل أزمة اللجوء وسبل التغلب عليها، وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة التالية:

- ما الآثار السلبية الناتجة عن اللجوء على البيئة بشكل عام؟
- ما الآثار السلبية الناتجة عن اللجوء السوري الأردن على البيئة - بمفهومها العام - وعملية التنمية؟
- ما المعوقات والتحديات التي تواجه عملية استضافة اللاجئين في الأردن في الأردن. وما أهم المقترحات التي يمكن تطبيقها لمواجهة هذه التحديات؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة كونها حاولت تحليل أثر اللجوء السوري في الأردن بصورة شاملة (البيئية، والتنموية)، ومع وجود دراسات حول اللجوء السوري في الأردن من جوانب

عديدة (معظمها حول الآثار الاقتصادية للجوء)، فقد أرتأت الباحثة وجود حاجة لزيادة الفهم وتعميق المعرفة حول آثار اللجوء السوري في الأردن على البيئة والتنمية، والتحديات التي تقف في مواجهة أزمة اللجوء، حيث يتأمل الاستفادة منها في وضع قضايا البيئة في دائرة اهتمام الجهات التي تقوم بأعمال دعم وإغاثة اللاجئين، بحيث لا يقتصر عملها على تقديم الرعاية الصحية والغذائية والإيوائية لهم فقط، بل الأخذ بعين الاعتبار ضرورة سلامة البيئة الطبيعية والبشرية في الدول المضيفة، والحفاظ عليها وصيانتها، وضمان حقوق الأجيال القادمة من الموارد ومكتسبات التنمية، باستخدام أفضل الطرق لتحقيق ذلك.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على تحليل الدراسات والتقارير المحلية والأممية المتعلقة باللجوء السوري في الأردن، لتحديد أثاره على البيئة وعملية التنمية، وتحليل انعكاس هذا اللجوء على الوضع العام في الأردن، والوصول

إلى النتائج ومن ثم التوصيات والمقترحات.

مصطلحات الدراسة

- **اللاجء (Refuge):** مغادرة الأفراد وطنهم بشكل إجباري، بسبب وجود عوامل تهدد حياتهم بشكل مباشر، كالحروب، أو الاضطهاد، أو التمييز على أسس عرقية أو دينية أو سياسية^(٤).

- **الاجيء:** هو شخص ترك وطنه الأصلي وانتقل إلى بلد آخر، للحفاظ على حياته من الخطر، أو التهديد، أو القتل، بسبب الدين أو العرق أو الرأي السياسي، وتضمن المواثيق الدولية له البقاء في الدولة المستقبلية (المستضيفة) إلى حين عودته - طوعا- إلى موطنه الأصلي، أو اختيار بلد آخر للإقامة فيه^(٥).

- **البيئة:** وتشمل كافة المكونات الطبيعية، والظواهر البشرية على سطح الأرض، وهناك مفاهيم خاصة للبيئة مثل: **البيئة الاقتصادية:** والتي تعني جهود الإنسان في استغلال

الموارد الطبيعية المتاحة (التربة، والغابات، والمياه، وطاقات الرياح، والطاقة الشمسية، والثروة المعدنية)، و**البيئة الاجتماعية:** التي يقصد بها الأنماط والعلاقات السائدة بين الأفراد والنظم الاجتماعية وعلاقتها بمشاريع التنمية، و**البيئة الثقافية والمعرفية:** والتي تشمل الجانب الثقافي المتمثل في منظومة القيم، والعادات والأخلاق، والجانب المعرفي والتقني المكوّن من الخبرات والمهارات المستخدمة في الانتاج. و**البيئة السياسية:** التي تتمثل في القرارات السياسية الصادرة عن الأنظمة السياسية، وعلاقة هذه القرارات في عملية التنمية وأثرها على الموارد الطبيعية في الدولة.

- **الأثر البيئي:** النتائج (إيجابية، سلبية) الناجمة عن الأنشطة البشرية في كافة القطاعات (الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، الخدمات وغيرها) وشدتها^(٦).

ثانياً: الدراسات السابقة:

أجرت العديد من الجهات الدولية، والمحلية والمتخصصين، دراسات حول اللجوء بسبب أثاره المباشرة على الدول المستضيفة، والتي لا يمكنها إلا تقديم المساعدة والرعاية لهم نظراً للالتزام الدولي والإنساني والقومي أيضاً - كما في الحالة الأردنية-، وقد ركزت غالبية تلك الدراسات على الآثار الاقتصادية للجوء، وفيما يلي بعض هذه الدراسات:

- دراسة العضاليلة، والمهيرات (٢٠١٨)، التي هدفت إلى التعرف على أثر اللجوء السوري على الأمن المجتمعي من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين في مخيم الزعتري، والبالغ عددهم (٨٦) أخصائياً وأخصائية، وبينت الدراسة أن الآثار الأمنية من أبرز نتائج اللجوء السوري، حيث أظهرت نتائج الدراسة ازدياد معدلات الجريمة في الأردن، وأعداد المتسولين، والشعور بالغربة لدى المواطن الأردني، وتفضيل أصحاب العمل للأيدي العاملة السورية^(٧).

- دراسة الشعراوي (٢٠١٦) التي تناولت "الوضع العام في الأردن في ظل أزمة اللجوء السوري"، حيث أشارت الدراسة إلى زيادة عدد سكان الأردن بنسبة ٢٠% (١,٤ مليون لاجئ)، مما شكل عبئاً كبيراً على الأردن، فبلغت كلفة اللجوء السوري منذ بدء الأزمة حوالي (٦,٦) مليار دينار، تمثلت في تكاليف مباشرة (نقدية)، وغير مباشرة (بنية تحتية، خدمات، مستلزمات طبية وعلاجية وغيرها)، إضافة إلى مشاريع الطاقة وشبكات الصرف الصحي. وبينت الدراسة انخفاض النمو المحلي وحجم الاستثمار الأجنبي بسبب ارتفاع كلفة اللاجئين (٣٠٠٠ دولار/شخص) سنوياً، مما جعل الدولة الأردنية تضع خطة الاستجابة للأزمة للأعوام (٢٠١٦-٢٠١٨) والتي تضمنت سياسات اقتصادية، واجتماعية؛ شاملة وواقعية لمواجهة التحديات التي يفرضها اللجوء^(٨).

السوري على موارد النظام التربوي وإمكانياته المادية والمالية من وجهة نظر القادة التربويين في وزارة التربية والتعليم " حيث طبقت استبانة على (٥٠) قائداً تربوياً في الإدارات المعنية بمسألة اللجوء في الوزارة، وأظهرت النتائج وجود أثر كبير جداً للجوء على الموارد المالية في الوزارة، وأوصت بتنويع مصادر التمويل للنظام التعليمي ليتمكن من إعادة تأهيل البنية التحتية، وزيادة القدرة الإستيعابية، وضرورة إشراك القيادات التربوية في عمليات صنع القرار ووضع الخطط لمواجهة التحديات التي تواجه النظام التعليمي^(١٠).

- دراسة فرانسيس (٢٠١٥): "أزمة اللاجئين في الأردن"، التي تناولت سياسة الأردن تجاه اللاجئين، وعلاقتها بالإقتصاد، والتنمية، والبيئة، والرعاية الصحية، حيث بينت ضرورة دعم الأردن لتخفيف الضغط الإقتصادي، ودفع عملية التنمية، وضرورة أن تتضمن المساعدات

- دراسة الحريات (٢٠١٦) حول "مشاركة المجتمع المدني المحلي في مواجهة أزمة اللاجئين في الأردن" التي هدفت التعريف بنوعية الخدمات التي تقدمها منظمات المجتمع المدني المحلية لمجتمع اللجوء، حيث قامت بتطبيق استبانة خاصة على (٣٩) مؤسسة، إضافة إلى جلسات النقاش، حيث توصلت إلى أن معظم جهود تلك المؤسسات تتوجه نحو الخدمات الإغاثية، وخدمات التدريب والتوعية، والأنشطة المتعلقة بحقوق الإنسان، كما أنها تستهدف النساء، والشباب، والأشخاص ذوي الإعاقة، وبينت أن أهم المعوقات تتمثل في قوانين الجهات المانحة، كما أظهرت أهم الآثار السلبية للجوء مثل: ارتفاع أجور المساكن والمعيشة، والمنافسة، على فرص العمل، والغلاء، وظهور عدم تقبل للوضع من قبل المجتمع الأصلي^(٩).

- دراسة غرايبه (٢٠١٦) تناولت فيها "درجة تأثير اللجوء

الدولية برامج بناء القدرات لتعزيز قدرة الجهات المحلية على تقديم الخدمات والرعاية للسكان المحليين واللاجئين السوريين بشكل متوازن^(١١).

دراسة منظمة العمل الدولية، ٢٠١٥ بعنوان: "أثر تدفق اللاجئين السوريين إلى سوق العمل الأردني"، التي هدفت إلى تقييم الآثار المترتبة للجوء السوري على سوق العمل في محافظات إربد، المفرق، والعاصمة، حيث بينت الدراسة أن ٣٠% من الأردنيين الذين كانوا يعملون في قطاعي الصناعة والزراعة قبل الأزمة السورية لم يعودوا يقبلون العمل بهما بعد الأزمة، وأن ٢٣% من اللاجئين السوريين يعملون بتجارة التجزئة خارج المخيمات الخاصة بهم، علماً أنهم لا يحملون رخص عمل، كما بينت الدراسة أن ٥١% من اللاجئين السوريين الذكور من خارج المخيمات انضموا إلى سوق العمل الأردني، مقابل ٧% من الإناث^(١٢).

- دراسة سميران، وسميران (٢٠١٤م) تناولت "أثر اللجوء السوري على الأردن"، حيث بينت الدراسة أن

اللجوء السوري أدى إلى استنزاف الموارد المحلية المحدودة، وأدى إلى الضغط على البنية التحتية، والخدمات، وارتفاع في أجور المساكن بشكل كبير، وازدحام المدارس، وارتفاع سن الزواج لدى الشباب الأردني بسبب عدم قدرتهم على تأمين تكاليف الزواج، وأشارت إلى تراجع المساعدات المقدمة للأردن بسبب استضافته للاجئين، حيث تقوم الجهات المانحة بتقديمها مباشرة، علماً أن الأردن يتحمل العبء الأكبر في الإنفاق عليهم والذي يقدر ب (٨١%) من قيمة المساعدات مقابل (١٩%) مساعدات الجهات المانحة، ومن أهم ما أظهرته النتائج أن (٧٦%) من اللاجئين يرغبون بالعودة إلى بلادهم في حال انتهاء الأزمة. وأوصت الدراسة بضرورة أن يقدم المجتمع الدولي المساعدات للأردن ليقوم بالمهام التي يطلبها اللجوء، خاصة وأنه يعاني أصلاً من أزمة اقتصادية، وقدرت حاجة الأردن إلى (٤,٥) مليار دولار لمواجهة تدفق اللاجئين^(١٣).

- دراسة الوزني (٢٠١٤) بعنوان: "الآثار الاقتصادية والاجتماعية للاجئين السوريين على الاقتصاد الأردني: إطار المغنم والمغارم"، وهي دراسة متخصصة في حساب التكلفة التراكمية المتوقعة لآثار أزمة اللاجئين السوريين على الأردن والتي بلغت (٥,١ مليار دينار) خلال الأعوام ٢٠١٢-٢٠١٤، وبما يمثل (٢٠%) من الناتج المحلي الإجمالي.

وأوضحت الدراسة أن المغنم أو العوائد المادية التي سيحصل عليها الأردن تبلغ (٣,٨ مليار دينار) مع نهاية ٢٠١٤، فيما بلغ حجم الكلف على الأردن حوالي (٧,٢ مليار دينار). وتوقعت الدراسة أن يبلغ صافي الكلف المقدرة للعام ٢٠١٤ بين (٢,٦ الى ٣,٥ مليار دينار)، حيث تصل المحصلة التراكمية للكلف المقدرة في الدراسة خلال الفترة (٢٠١٢ - ٢٠١٤) بين (٤,٢ - ٥,١ مليار دينار)، وهي مبالغ تصل الى نحو ٢٠% من الناتج المحلي الإجمالي. وأن الالتزامات الدولية نحو الأردن أقل بكثير من الكلف المقدرة الحقيقية ولا تتجاوز

(٥٤ %)، الأمر الذي يرتب أعباء مستقبلية كبيرة على الأردن.

ولم تقدّر الدراسة الكلف غير المحسوبة على الاقتصاد والمجتمع الأردني مثل تراجع مستوى ونوعية التعليم، ونوعية مخرجات التعليم العام، ومستقبل التعليم. وأشارت إلى تآكل مستوى البنية التحتية القائمة وحجم الاستثمار المستقبلي الحقيقي المطلوب، والتكلفة البيئية للزيادة السكانية غير الطبيعية، والآثار الاجتماعية والأسرية في المجتمعات المضيفة وخاصة في المفرق وإربد. وأشارت الدراسة إلى أن الدلائل لا تظهر أن الأزمة السورية قصيرة الأجل، وتوقعت استمرار الآثار المادية والاجتماعية على المدى المتوسط والبعيد وبإطار زمني (٥ - ١٠) سنوات قادمة. وأشارت إلى ارتفاع تكلفة التلوث البيئي للفرد على المجتمع إلا أنها بحاجة لإعداد دراسة بيئية متخصصة^(١٤).

- دراسة المجلس الإقتصادي والإجتماعي الأردني (٢٠١٢)، التي قام قدر بها فريق من الباحثين في المجلس بهدف تحديد الآثار الاقتصادية

الاجتماعية للأزمة السورية على الإقتصاد الوطني، حيث قدر الأثر الإجمالي على الإقتصاد بين عامي ٢٠١١، و٢٠١٢ بحوالي (٥،٩ مليار دينار)، بما يعادل ٣% من الناتج الإجمالي، وبينت الدراسة أن اللجوء السوري أدى إلى نمو سكاني مفاجئ (غير طبيعي) بمعدل ٣%، إضافة إلى الضغط على قطاعات الصحة، والبنية التحتية، والأمن والحماية، وفرص العمل، وقطاعات التعليم والصحة والخدمات^(١٥).

ملخص الدراسات السابقة:

باستقراء الدراسات السابقة يمكن ملاحظة ما يلي:

- تتفق جميع الدراسات على حقوق اللاجئين في الدعم والرعاية في البلدان المستضيفة وفق المعايير الإنسانية.

- تتفق جميع الدراسات - تقريباً - على أن اللجوء (الهجرات القسرية)، تترك آثاراً سلبية على المجتمعات المستضيفة، وتؤدي إلى

ظهور مشكلات اقتصادية، واجتماعية، وسياسية، ونفسية، إضافة إلى الآثار السلبية على البيئة، ومشروعات التنمية.

- معظم الدراسات ركزت على الآثار الاقتصادية كلفة للجوء الدول المستضيفة، والجوانب القانونية للجوء. في حين لم تكن هناك دراسات متخصصة في تحديد الآثار السلبية على البيئة والموارد الطبيعية.

وتتميز هذه الدراسة بأنها تناولت الآثار البيئية الناجمة عن اللجوء السوري في الأردن، والتي تجاهلتها العديد من الدراسات المختلفة حول اللجوء، والتي لم تعتبر البيئة أولوية، علماً أنها الجانب الأكثر تأثراً وتأثيراً في هذا الوضع.

منهجية الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهج التحليلي، حيث قامت بتحليل الدراسات والتقارير التي قامت بها جهات دولية ومحلية حول اللجوء السوري في الأردن، إذ يتوقع أن تقدم صورة شاملة لما نتج عن اللجوء

داخل الدولة). كما عرف حق اللجوء منذ القدم، حيث مارست الحضارات القديمة هذا الحق، مثل الفرعونية، واليونانية، أما الحضارة الرومانية فلم تعترف بحق اللجوء بشكل مطلق^(١٧).

المطلب الأول: مفهوم اللجوء:

يُعرف اللجوء بمفهومه العام أنه: الحماية التي تُقدّم للفرد الذي يغادر وطنه لخوفه من التعذيب، أو التعرض للظلم والاضطهاد، أو القتل لعدد من الأسباب منها: الآراء السياسية، أو بسبب الغزو العسكري لدولة معينة من دولة أخرى، أو بسبب الحروب الأهلية التي تحدث في ذات الدولة، أو بسبب حدوث كوارث طبيعية^(١٨).

ويعرف اللجوء باللغة الإنجليزية بمصطلح (Refuge) بأنه: مغادرة الأفراد لوطنهم دون إرادة شخصية منهم، بل بإجبارهم على ذلك من خلال وجود عوامل مؤثرة على حياتهم، وسلامتهم الشخصية كاندلاع الحروب. ويعرف أيضاً بأنه خروج مجموعة من الأشخاص خارج دولتهم بسبب تعرض حياتهم للخطر، أو لمعاناتهم من أزمات سياسية، أو

السوري في الأردن من آثار سلبية على البيئة والتنمية، وتغيرات اقتصادية واجتماعية بشكل متسارع، إضافة إلى تحديد المعوقات التي واجهت -ولا تزال- التعامل مع أزمة اللجوء في الأردن، وتقديم توصيات "مقترحات" للتخفيف أو الحد من هذه الآثار، أو للتغلب عليها.

المبحث الأول: الإطار النظري للدراسة (اللجوء، أنواعه، شروطه وحقوق اللاجئين، آثار اللجوء):

اللجوء ظاهرة قديمة، عبر التاريخ الإنساني بكل ما فيه من أحداث أجبرت الإنسان على الانتقال من مكان لآخر (مرغماً) بسبب الحروب، أو الكوارث الطبيعية (الهجرة البيئية)^(١٦). فقد هاجر المسلمون إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة بحثاً عن الأمن، وهاجرت شعوب عربية عديدة عبر مراحل الصراع العربي الإسرائيلي، والصراعات الداخلية، كما هاجرت قبائل التوتسي في رواندا (١٩٩٤) إلى البلدان المجاورة بسبب التطهير العرقي، وقد وصلت أعداد المهجرين في العالم عام (٢٠٠٢) إلى نحو (٤٢) مليون، منها (٢٠) مليون لاجئ، و(٢٢) مليون نازح (لجوء

حرب أهلية تؤدي إلى تهديدهم
تهديداً مباشراً مما يرغمهم على
مغادرة وطنهم حتى انتهاء الأسباب
المؤدية إلى اللجوء^(١٩).

وأحيانا يستخدم مصطلح "الهجرة
القسرية" كمرادف لمفهوم اللجوء،
وتعريف على أنها انتقال الأفراد من
مكان إلى آخر بغرض الاستقرار في
المكان الجديد بسبب انتشار الحروب
الأهلية أو الخارجية، أو سوء الأوضاع
الاقتصادية في بعض الدول^(٢٠).

وتحت مفهوم اللجوء يمكن أن
تندرج بعض أنواع الهجرات القسرية
مثل:

- الهجرة الدينية: حيث يضطر
الناس إلى الفرار من موطنهم إلى
وطن آخر، خوفاً من ممارسات
الأنظمة القمعية ضدهم بسبب
معتقداتهم الدينية، كهجرة الآلاف
من المسلمين من الهند الحالية إلى
باكستان.

- الهجرة البيئية: ترك الناس
أوطانهم بصفة مؤقتة أو دائمة،
بسبب التدهور البيئي الشديد الذي

يؤدي إلى تعطيل وظائف النظم
البيئية، مما يهدد بقائهم أو يؤثر سلباً
على نوعية حياتهم بشكل كبير.
ويطلق على هؤلاء مصطلح:
"اللاجئون البيئيون"^(٢١).

أما اللاجئ فيعرف بحسب الفقرة
٢/أ من اتفاقية ١٩٥١ الخاصة
باللاجئين بأنه: شخص تعرض للخوف
من الاضطهاد بسبب دينه، أو عرقه،
أو الجنسية، أو الانتماء لفئة معينة،
أو بسبب آرائه السياسية.

المطلب الثاني: شروط اللجوء:

يتم الحصول على اللجوء من
خلال تقديم طلب عند وصول
الشخص إلى مراكز اللجوء في الدولة
المستضيفة مباشرة، أو عن طريق
المفوضية السامية لشؤون اللاجئين،
حيث يتم تحديد الدولة المراد اللجوء
إليها^(٢٢)، مع اعتبار شروط معينة
يجب توفرها لإطلاق صفة لاجئ على
من يطلب اللجوء، وهي:

- عدم التمتع بالحماية من
قَبَل بلده الأصلي الذي يحمل
جنسيته، وهذا الشرط يطبق على
الأشخاص الذين لهم موطن، ولا

يتمتعون بالحماية فيه، إضافة إلى الأشخاص الذين ليس لديهم موطن، ويفتقرون إلى الحماية.

أن يكون ترك وطنه بسبب تعرضه للاضطهاد نتيجة أفكار سياسية، أو دينية، أو قومية، أو التمييز العنصري، ويرفض العودة إليه لأسباب ومبررات جدية، وظروف صعبة ليس له القدرة على تغييرها.

- من ترك موطنه الأصلي بسبب الحرب، أو الكوارث الطبيعية لاحقاً^(٢٣).

كما تضمنت اتفاقية ١٩٥١م الخاصة باللاجئين نفس الشروط السابق ذكرها في الفقرة (أ/بند٢)) من الاتفاقية^(٢٤).

ومع أن اللجوء هو قديمة، إلى أنه لم تكن هناك قوانين تنظم هذه الظاهرة، أو تبين حقوق اللاجئين حتى القرن العشرين، حيث تم وضع العديد من المواثيق والاتفاقيات الدولية التي بينت حقوق اللاجئين وواجباته (٢٤)، فقد ورد في المادة (١٤- بند ١) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ١٩٤٨ بأنه: "لكل فرد

الحق في أن يلجأ إلى بلاد أخرى، أو يحاول اللجوء إليها هرباً" من الاضطهاد" (٢٥).

وبحسب اتفاقية جنيف ١٩٥١، فإن الدولة المستضيفة هي المسؤولة بصفة أساسية عن حماية اللاجئين، فالمواد من (٠-٥٥) من الاتفاقية تتضمن أحكاماً تلزم الدول الأطراف في الاتفاقية بعدم التمييز بين اللاجئين بسبب العرق أو الدين أو الموطن، وأن تمنحهم رعاية لا تقل عما تمنحه لمواطنيها^(٢٧). وتضمن الاتفاقية المركز القانوني للاجئين بما يساوي حقوق وامتيازات الأجانب الآخرين المقيمين في البلد المستضيف بشكل يتساوى مع المواطنين الأصليين في بلد اللجوء

(٢٧)

المطلب الثالث: أثر اللجوء على البلدان المستضيفة

تضمنت اتفاقية جنيف حق الدول المستضيفة في الحصول على المساعدات من المجتمع الدولي لتتمكن من القيام بأعباء الرعاية والمساعدة للاجئين على أراضيها^(٢٨)، إلا أن تلك البلدان تواجه تحديات عديدة مقابل التزامها بتقديم الرعاية

الإنسانية لهم في كافة المجالات لعل أبرزها المشكلات البيئية المتمثلة في:

- انعدام الأمن البيئي المرتبط بغياب الأمن البشري، مما يؤدي إلى خلل في الأمن الغذائي، ويشكل تهديدا للنظام الأيكولوجي (البيئي).

- ظهور مشكلات تتعلق بالأمن المجتمعي بسبب الصراعات المتعددة الناجمة عن اللجوء، والمساس بالأمن الدولي.

- تهديد الأنظمة الاجتماعية، والإقتصادية والسياسية للدول المستضيفة.

- خلق منافسة على الموارد المحدودة، مما يؤدي إلى صراعات اجتماعية، وتزايد معدلات الفقر والبطالة ونقص الخدمات المقدمة للسكان الأصليين.

- ظهور مجتمعات موازية ومصغرة في الدول المستضيفة ذات خصائص مختلفة عن المجتمع

الأصيل، مما يؤدي إلى ظهور أزمة هوية في تلك الدول^(٢٩).

المبحث الثاني: الآثار الناجمة عن اللجوء السوري في الأردن.

استقبل الأردن على مر العقود العديد من الهجرات القسرية من شتى بقاع الأرض، عاش معظمها فترة من الزمن على أرضه، ومنها من عاد إلى بلاده ومنهم من انتقل إلى بلاد أخرى^(٣٠).

ومنذ عام ٢٠١١م استقبل الأردن مئات الآلاف من السوريين، بسبب النزاع المسلح والحرب الطائفية في سوريا، حيث قام باستضافة اللاجئين في مخيمات خاصة، وبقية محافظات المملكة. وبحسب السجلات الرسمية فقد وصل عدد اللاجئين السوريين حتى عام ٢٠١٧م (١،٤ مليون شخص)، نصفهم غير مسجل في السجلات الخاصة باللاجئين الجدول (١)، وقد عاد عدد قليل منهم إلى سوريا ٢٠١١م^(٣١).

جدول (١): أعداد اللاجئين السوريين المسجلين في الأردن

العام	عدد اللاجئين
٢٠١٢	٢٠ ألف
٢٠١٣	٩٠ ألف
٢٠١٤	٥٨٥ ألف
٢٠١٥	٦٢٩ ألف
٢٠١٦	٦٥٧ ألف
٢٠١٧	٦٥٤ ألف

المصدر: العضيلة، والمهيرات، ٢٠١٨.

وقد استقرّ غالبية اللاجئين السوريين في محافظات عمّان وإربد والمفرق، حيث ينافسون السكان على الموارد الشحيحة وفرص العمل والرعاية الصحية والمأوى والتعليم. وبالرغم من عدم مصادقة الأردن على اتفاقية جنيف ١٩٥١م، إلا أنه يعتبر من الدول التي إلّزمت بشكل كبير بكافة العهود والمواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان واللاجئين، كما وقع عام ١٩٩٨ مع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين اتفاقية تتضمن تحديد الآلية التي يتم التعامل بها مع اللاجئين المشمولين

برعاية المفوضية (عدا اللاجئين الفلسطينيين)، بما يَمكّنها من القيام بشكل مباشر بأنشطة حماية ومساعدة اللاجئين في الأردن^(٣٢).

أدى اللجوء السوري منذ عام ٢٠١١ إلى ظهور آثار سلبية على البيئة، وانعكاسات خطيرة على الأوضاع العامة في الأردن. ويناقش هذا الفصل أبرز الآثار التي ترتبت على هذا اللجوء على البيئة والتنمية في الأردن.

المطلب الأول: أثر اللجوء السوري على الموارد المائية:

يصنّف الأردن من الدول الأفقر في العالم في المياه، حيث يبلغ نصيب الفرد الواحد من المياه العذبة حوالي ٣١٤٥ م^٣ سنوياً" مقارنة بـ ٣٥٠٠ م^٣ سنوياً" للفرد، علماً أن حصة الفرد العالمية بلغت ٣٤٠٠ م^٣ سنوياً، وعليه فإن أي زيادة في عدد السكان تعتبر تحدياً كبيراً لمصادر المياه المتاحة وحاجة المواطنين منها، وتعتبر المياه في الأردن من السلع المدعومة من قبل الدولة^(٣٣).

أدى وجود السوريين في الأردن الى زيادة الطلب على المياه بنسبة ٢٠%

بشكل عام ، في حين وصلت هذه النسبة الى ٤٠% في المحافظات الشمالية، حيث بينت دراسة سميران (٢٠١٤) أن معظم اللاجئين، السوريين في مخيم الزعتري أفادوا بأن كمية مياه الشرب غير كافية، وأن الكمية المتوفرة لا تلبى أكثر (٢٣%) من احتياجات سكان المخيم، علما أنهم يعتبرونها سيئة وغير صحية. وقد يعود ذلك لإعداد اللاجئين الكثيرة داخل المخيم حيث يتجاوز عددهم (٢٠٠ ألف) مما يشكل صعوبة في بعض الأحيان لتأمين مياه الشرب بشكل دائم، إضافة إلى نقص في الماء المخصص للوحدات الصحية^(٣٤).

ومع استمرار الأزمة السورية وزيادة اعداد اللاجئين، قدرت حاجة المملكة لـ (٦٥٨ مليون دولار) لدعم التزويد المائي للأعوام (٢٠١٧-٢٠١٩) في المخيمات والمجتمعات المستضيفة، حيث انخفض مستوى الماء في الأحواض المائية التي تغذي منطقتي المفرق وإربد، وتراجعت حصة الفرد (الأردني) من المياه في معظم المناطق، خاصة في الشمال إلى ما دون (٦٨ لتر) يومياً بسبب اللجوء، مما جعل

الحكومة تلجأ لشراء الماء من القطاع الخاص وإيصاله للمواطنين بالسعر المدعوم، وحددت حصة اللاجئ من المياه بـ (٣٥ لتر) يوميا وهي كمية غير كافية. وتبلغ كلفة اللاجئ "المباشرة"، نحو (٢٠٨ دينار) سنويا، فيما تصل الكلفة "غير المباشرة" إلى حوالي (٢٢٠ دينار) سنويا، حيث يستهلك اللاجئ السوري داخل المخيم بين (٤٠ - ٥٠ لتر) يوميا، منها (٨٠ %) مياه عادمة، مما يتطلب توفير (٢٢٩ مليون دولار)، و(٢٦٥ مليون دولار)، و(١٦٥ مليون دولار)، تمثل احتياجات الأعوام (٢٠١٧)، (٢٠١٨)، (٢٠١٩) على التوالي^(٣٥).

أما فيما يتعلق بنوعية المياه، فتتعرض الموارد المائية ولا سيما الجوفية إلى التلوث الكمي والنوعي، حيث تتجمع مياه الأمطار في وادي الزعتري في بعض المناطق على شكل برك، مما يجعل أطفال مخيم الزعتري للاجئين السوريين يقومون باللعب والسباحة في تلك البرك، والتي قد تختلط فيها مياه الصرف الصحي مما قد يعرضهم لخطر الغرق (غرق في الوادي ٣ أطفال في ٢٥ أيلول عام

جدول (٢): نسبة إنخفاض رضا سكان مدينتي إربد والمفرق عن الوضع المائي

جودة توزيع المياه في شبكة التوزيع في إربد	٣%
نوعية المياه في إربد	٣٠%
نوعية المياه في المفرق	١٤%

المصدر: وصفي العدوان، ٢٠١٨م

وقد تضاعف حجم المياه العادمة عما كان عليه عام ٢٠١٠م (١٨,٤٦٦ مليون م^٣) ليصل ٣٧,٠١١ مليون م^٣ عام ٢٠١٣^(٣٧).

المطلب الثاني: التلوث الناجم عن النفايات الصلبة في مناطق تجمع اللاجئين

يحل الأردن -للأسف- في المركز العاشر عالمياً والثاني عربياً على مؤشر التلوث البيئي لعام ٢٠١٧ (من بين ١١٥ دولة)، والثاني عربياً (بعد مصر) ضمن أعلى المستويات العالمية للتلوث في مجال البيئة، وفقاً لموقع "Nimbeo.com" المتخصص، وذلك لأسباب طبيعية وبشرية وسياسية، ومنها موجات اللجوء المتتابة التي أدت إلى تدهور الموارد الطبيعية والاقتصادية كماً ونوعاً، إضافة إلى

٢٠١٤م)، والأمراض بسبب المياه العادمة. ويعتبر وادي الزعتري في البادية الشمالية الشرقية بمحافظة المفرق مركزاً رئيساً لتجمع مياه الأمطار، ويغذي أكبر أحواض المياه الجوفية والآبار الارتوازية في المنطقة، التي تغذي محافظات الشمال من مياه الشرب. وتؤدي مستنقعات من المياه الملوثة بالقرب من مخيم الزعتري تشكل بمحاذاة الوادي في بلدة الزعتري والفواعة ومنشأة السلطة، والانتشار العشوائي للحفر الامتصاصية في المخيم إلى تلوث المياه المستخدمة للزراعة والمياه الجوفية، بسبب تسرب مياه الصرف الصحي والمياه العادمة إلى الحوض المائي الذي تصل مياهه إلى محافظات الشمال، إضافة إلى انتشار الأمراض الخطيرة بسبب وجود مستنقعات مياه عادمة بجانب مخيم الزعتري، وقيام اللاجئين بربط الحفر الامتصاصية مع شبكات التصريف المائي مما يؤثر على المياه السطحية والجوفية في حوض الزعتري^(٣٦)، وقد انخفضت درجة رضا ٥٠% من سكان محافظتي إربد والمفرق عن نوعية المياه.

تفاقم مشاكل التلوث بأشكاله المختلفة وعلى رأسها زيادة حجم النفايات الصلبة، والمياه العادمة، والتلوث الناجم عن تزايد عدد المركبات، وخاصة في المناطق التي يقطنها اللاجئين السوريين، كما هو الحال في إربد، وعمان، والزرقاء، والمفرق، وجرش، ومناطق أخرى في المملكة.

أدى تدفق اللاجئين السوريين إلى زيادة حجم النفايات الصلبة بواقع ٣٤٠ طن يوميا في مدينة المفرق وحدها، ومع وجود مخيم الزعتري فقد تضاعف حجم النفايات الصلبة في المفرق بشكل يفوق الطاقة الاستيعابية لمكب الأكيدر (٨٠٠-١٥٠٠ طن يوميا) مما جعله بؤرة بيئية ساخنة، وقد قدرت كلفة إدارة النفايات الصلبة عبر المجالس البلدية للأعوام (٢٠١٣-٢٠١٤) ٢٥،٤ مليون دولار، و٣٣ مليون دولار على التوالي^(٣٨). وتعاني (٩٢%) من بلديات المناطق المضيفة من مشكلة إدارة النفايات الصلبة التي زادت عن الطاقة الاستيعابية مقارنة عما كان عليه الوضع قبل اللجوء، حيث وصلت نسبة الزيادة في إربد وجرش

وعجلون ١٨٩%، ١٥٣%، ٦٤% على التوالي، إضافة إلى استخدام طرق غير صحيحة في التخلص من النفايات من خلال الإلقاء العشوائي، أو الحرق بسبب عدم وجود حاويات كافية لاستخدامها لهذا الغرض^(٣٩).

ومن أبرز تحديات وتبعات اللجوء السوري على البلديات وفق رؤساء البلديات، هي القدرة على تقديم الخدمات، كالنظافة العامة للشوارع والاحياء، مشيرين إلى حجم النفايات الكبير الذي تتعامل معه البلديات والذي يقدر بـ ١٥٠٠ طن.

وفي الزرقاء أدى وجود اللاجئين السوريين، الذين وصل عددهم لنحو ١٥٠ ألفاً، إلى حدوث مشكلات بيئية واجتماعية واقتصادية من بينها ارتفاع حجم النفايات اليومي الى ١٧٠ طناً، مما يشكل عبئاً إضافياً على البنية التحتية في المدينة، والمقدرة تكلفته بنحو مليوني دينار سنوياً^(٤٠).

المبحث الثالث: أثار اللجوء السوري على الاقتصاد وعملية التنمية، المجتمع، قطاع التعليم، والقطاع الصحي.

المطلب الأول: آثار اللجوء السوري على الاقتصاد وعملية التنمية

تعتبر التأثيرات السلبية للجوء على الاقتصاد وعمليات التنمية في البلدان المستضيفة من أكثر الآثار وضوحاً، حيث تشكل الأعداد الكبيرة للاجئين منافساً شرساً للمواطنين الأصليين على فرص العمل المتوفرة في الدولة، ويعاني الأردن من أزمة عمالية سورية تنافس العمالة الأردنية والعمالة الوافدة على حد سواء، وتشكل تحدياً للسياسات العامة في إحلال العمالة، وإيجاد فرص عمل جديدة للأردنيين.

وتشير التقديرات إلى أن العمالة السورية تستحوذ على ما يزيد عن (١٤٣) ألف فرصة عمل في مختلف القطاعات الاقتصادية، وخاصة القطاعات الاقتصادية غير المنظمة بسبب القبول بالعمل بغض النظر عن عدد ساعاته، أو الأجر اليومي أو بيئة العمل، مما دفع باتجاه تفضيل صاحب العمل للعمالة السورية. وقد أدى وجود العمالة السورية في سوق العمل الأردني إلى الانخفاض في مستويات الأجور في العديد من المهن، إضافة إلى التأثيرات السلبية

على مستويات تمتع مختلف العاملين بشروط العمل اللائق، علماً أن الغالبية الساحقة من العمالة السورية غير حاصلة على تصاريح عمل قانونية من وزارة العمل^(٤١).

وقد انخفض معدل النمو السنوي من ٤% إلى ٣% في عام ٢٠١٣ بحسب دراسة أعدتها الوكالة الأمريكية للإئتماء الدولي (٢٠١٤) وقد يبدو هذا الفرق بسيطاً إلا أنه يعني خسارة تراكمية في الدخل يمكن أن تعادل المنح التي حصل عليها الأردن لدعم الميزانية في (٢٠١٣)، حيث أن السبب الرئيسي لارتفاع التضخم هو ارتفاع أسعار إيجارات المساكن بنسبة ٧,٧% علماً أنها كانت ٢,٧% في ٢٠١٢ (إذ أن مخيم الزعتري الواقع على الحدود مع سوريا يستضيف فقط ربع مجموع اللاجئين). كما زاد إنفاق الحكومة الأردنية بحوالي ١% من إجمالي الناتج المحلي في عام ٢٠١٣ وعام ٢٠١٤ لتلبية الاحتياجات الإنسانية للاجئين السوريين، بما في ذلك توفير المياه

والكهرباء والأمن والرعاية الصحية والخدمات التعليمية.

ولا يتجاوز الدعم الذي تتحمله المنظمات الدولية تجاه أزمة اللجوء السوري ٣٨% من الكلفة الكلية لاستضافة اللاجئين، ما يعني أن هناك فجوة تمويلية كبيرة تقدر بنحو ٦٢% تتحملها موازنة الدولة الاردنية، وقد ترتفع بحسب دراسات أخرى إلى ٨١%.

وقد بلغت تكلفة استضافة اللاجئين في الأردن خلال الفترة ما بين ٢٠١١ - ٢٠١٥ بنحو (٦,٧ مليار دولار أمريكي)، في حين بلغت التكلفة التقديرية لخطة الاستجابة الأردنية للأزمة السورية للأعوام (٢٠١٦ - ٢٠١٨) بنحو ٧,٩ مليار دولار موزعة على النحو التالي.

جدول (٣): الدعم المطلوب لدعم اللاجئين خلال عامي ٢٠١٦-٢٠١٨م

الدعم المطلوب للاجئين	٢,٤٨٣ مليار دولار
الدعم المطلوب لتمكين المجتمعات المستضيفة	٢,٣٠٦ مليار دولار
الدعم المطلوب للخرينة	٣,٢٠١ مليار دولار

المصدر: العمري، وصوالحة، ٢٠١٦ م.

وقد حصل الأردن على نحو (٣) مليار دولار) فقط، والذي لا يكفي - أصلاً - لتغطية نفقات اللجوء خلال الأعوام الماضية^(٤٢).

المطلب الثاني: الآثار الإجتماعية والديموغرافية للجوء السوري:

أدى وجود السوريين -وخاصة- العمالة السورية إلى زيادة مزاحمة الفقراء في المحافظات المختلفة، وتقليل فرص حصولهم على المساعدات التي تتلقاها من المنظمات المتخصصة، أو المنظمات المحلية، أو الدول المجاورة. فقد صرفت الجمعيات الخيرية النظر عن توجيه أغلب مساعداتها ودعمها للأسر الأردنية الفقيرة والمعوزة، وذهبت باتجاه اللاجئين في مخيمات اللجوء أو خارجها. مما ولّد نزاعات بين السوريين والأردنيين على دور الجمعيات ومدى التزامها بتقديم المساعدات للأسر الفقيرة الأردنية إلى جانب اللاجئين السوريين^(٤٣). وبحسب (العضاية، والمهيرات) أدى وجود السوريين إلى ارتفاع أعداد المتسولين بنسبة ٤,١١%، وزيادة انتشار المخدرات والسرقات، وبرز

ظاهرة الزواج المبكر، مما أدى إلى خلق حالة من عدم الاستقرار بين السوريين والأردنيين^(٤٤).

ونتيجة الزيادة السكانية المفاجئة بسبب اللجوء السوري، حدث تحول ديموغرافي، حيث شكل اللاجئون السوريون منذ بدء الأزمة (٤،١ مليون شخص) أي ما نسبته (٢٠%) من سكان المملكة، مما انعكس سلباً على الخدمات والبنية التحتية، والثقافة والأمن الاجتماعي. فقد بينت دراسة (الشلبي، ٢٠١٧) أن اللجوء السوري يهدد الأمن القومي، وأن الدولة الأردنية لا تعرف بالضبط التوجهات الفكرية والسياسية للاجئين، وخاصة بعد قيام بعض التنظيمات الإرهابية بأفعال إرهابية في مناطق متعددة في عام ٢٠١٦^(٤٥).

المطلب الثالث: أثر اللجوء السوري على قطاع التعليم

انعكست أزمة اللجوء السوري على قطاع التعليم سلباً على الأردن وذلك بسبب إيمان الدولة المطلق بأن التعليم حق أساسي لكل طفل، واعتباره خدمة عالمية، لذا فقد فتحت المدارس لجميع الأطفال

بصرف النظر عن جنسياتهم وأسباب قدومهم، حيث بلغ عدد الطلبة السوريين على مقاعد الدراسة في المدارس الحكومية بلغ نحو (١٤٥) ألف طالب يعاملون معاملة الطالب الأردني في الحصول على فرص التعليم الملائمة، مع وجود نحو ٩٠ ألف طالب سوري ما زالوا بانتظار دخول المدارس.

وقد بلغت كلفة الخدمات التعليمية المقدمة للطلبة السوريين في المدارس الأردنية بنحو ٢٥٠ مليون دينار سنوياً سواء بين تكاليف مباشرة أو غير مباشرة، حيث قامت وزارة التربية والتعليم ببناء حوالي ٥ آلاف غرفة صفية بلغت كلفتها (٦٠٠ مليون دولار) لاستيعاب الطلبة السوريين، إضافة إلى الكلفة المترتبة على تعيين وتدريب أعداد كبيرة من المعلمين للتعامل مع الاعداد المتزايدة من الطلبة. كما حولت الوزارة (١٩٨) مدرسة حكومية للعمل على نظام الفترتين، وستزيد هذا الأمر مستقبلاً لاستيعاب الطلبة السوريين الذين لم يتمكنوا من الالتحاق بالتعليم. وارتفع عدد المدارس ذات الصفوف

المكتظة من ٣٦ بالمائة عام ٢٠١٣ إلى ٤٦ بالمائة عام ٢٠١٥^(٤٦).

المطلب الرابع: أثر اللجوء السوري على القطاع الصحي

تأثر قطاع الصحة بشكل واضح نتيجة اللجوء السوري منذ بداية الأزمة وحتى الآن، فقد ازدادت أعداد المراجعين للمستشفيات والمراكز الصحية الخاصة والحكومية بشكل كبير وخاصة في شمال المملكة (المفرق والرمثا وإربد وجرش)، إضافة إلى ازدياد نسبة استهلاك الأدوية بلغت ٣٠٪، ونسبة إشغال الأسرة في المستشفيات بلغت ١٠٠٪ في محافظات الشمال، والمواد الطبية والأجهزة وسيارات الإسعاف بنسبة تجاوزت الـ ٣٠٪.

وبلغت أعداد المراجعين للمستشفيات التي تتبع للوزارة بلغت منذ بداية الأزمة إلى نهاية ٢٠١٥ أكثر من ٥٠٠ ألف مراجع، أدخل منهم ٥٠ ألفاً إلى المستشفيات، وأجري لما يزيد عن الـ ١٥ ألف مريض عمليات جراحية ما بين كبرى ومتوسطة وصغرى^(٤٧)، ويرى معظم اللاجئين السوريين أن الخدمات

الصحية المقدمة من الحكومة الأردنية جيدة (٧٦,٢٪) في حين (٢٣,٨٪) أنها متوسطة^(٤٨).

وبلغ عدد مراجعي المراكز الصحية الحكومية منذ بداية الأزمة أكثر من مليون مراجع، مما سبب ضغطاً كبيراً على المستشفيات الحكومية، والخاصة والخدمات الطبية، ورفع نسبة الإشغال فيها، وزيادة المستهلكات الطبية بنسبة (٣٠٪). ويعامل اللاجئ معاملة المواطن الأردني غير المؤمن، وتقدم له الخدمة الطبية بنسبة دعم تصل إلى (٨٠٪)، وقد أدى ذلك إلى ارتفاع كلفة العلاج حيث بلغت عام ٢٠١٦ حوالي (١,٤٢٤,٠٠٠) مليار دينار أردني^(٤٩).

المبحث الرابع: معوقات مواجهة اللجوء السوري في الأردن ومقترحات للتخفيف من آثاره السلبية.

لقد واجهت الأردن الكثير من الصعوبات التي أعاقَت قيامه بتقديم الرعاية والدعم الإنساني للاجئين السوريين على أرضه، وتمثلت هذه الصعوبات في:

قلة المساحة الزراعية والقبالة للزراعة، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع فاتورة الغذاء، بسبب ارتفاع كلفة مدخلات الإنتاج الغذائي المنتج محليا، أو المستورد من الخارج.

-عوامل قانونية، ويقصد بها القوانين والمواثيق الدولية المتعلقة باللجوء، والتي تلزم الدول التي يقصدها اللاجئون بتقديم الدعم، والرعاية الإنسانية لهم، طيلة فترة إقامتهم على أراضي تلك الدول. وبحسب اتفاقية جنيف ١٩٥١م فإن جميع الدول، بما فيها الدول التي لم توقع على الاتفاقية، ملزمة بالتمسك بمعايير الحماية الأساسية التي تعتبر جزءاً من القانون الدولي العام، ولا يجوز لها إعادة أي لاجئ إلى أراض تتعرض فيها حياته أو حياتها، حريته أو حريتها للتهديد^(٥٠). وقد التزم الأردن بالإتفاقية في حين لا يلتزم المجتمع الدولي ولا المنظمات الأممية بالوفاء بالتزاماتهم تجاه اللاجئين، مما جعل الأردن -والحالة هذه- في مواجهة أزمة اللجوء بشكل شبه منفرد.

-الأوضاع الاقتصادية للأردن والذي يعتبر أصلاً بلداً شحيح الموارد، ويعاني من أزمة اقتصادية بسبب ارتفاع معدلات التضخم، وتباطؤ عملية الإنتاج، وارتفاع المديونية الخارجية، نتيجة للأزمة الاقتصادية العالمية، والموقع الجيوسياسي للأردن والذي أثر على حركة التبادل التجاري دول الإقليم، ودول العالم الأخرى.

-عوامل طبيعية، وتتمثل في طبيعة المناخ، حيث يعتبر الأردن من المناطق شبه الجافة بشكل عام، إضافة إلى تعرضه إلى التقلبات المناخية، وتوالي سنوات الجفاف، فضلا عن افتقاره إلى المصادر المائية العذبة السطحية منها أو الجوفية، مما جعله في مقدمة الدول الفقيرة في المياه على مستوى العالم، وتتضح هذه المسألة جليا" في الأزمة المائية التي يعاني منها سكان الأردن حتى قبل اللجوء السوري، وتفاقم هذه المشكلة بعد عملية اللجوء، مما اضطره إلى البحث عن مصادر غير تقليدية لتوفير المياه لاستخدامها في الأغراض المختلفة، إضافة إلى

بشكل مستمر لأسباب إنسانية وسياسية.

وللتغلب على هذه المعوقات والصعوبات، يمكن -تجنباً للتكرار- الأخذ بالتوصيات التي سيرد ذكرها في نهاية الدراسة.

النتائج والتوصيات:

خلصت هذه الدراسة (النوعية) إلى العديد من النتائج أهمها:

- أن اللجوء بشكل عام والسوري في الأردن بشكل خاص هو حالة فرضتها الأوضاع السياسية، والإنسانية، والروابط القومية، والقانونية الدولية، ولم يكن بمقدور الأردن رفض استقبال اللاجئين، حيث يعتبر ذلك مخالفاً للمواثيق والاتفاقيات الدولية (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، اتفاقية جنيف ١٩٥١م المتعلقة بحقوق اللاجئين) من جهة، والمعايير الإنسانية، والقومية من جهة أخرى.

- أدى اللجوء السوري في الأردن إلى أزمات اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وديمقراطية، وأمنية، إضافة إلى المشكلات البيئية

-الأوضاع الأمنية، المرتبطة بالموقع الجيوسياسي للأردن، حيث يقع في قلب الأزمات السياسية في الإقليم. وبالنظر إلى دوافع وأسباب تلك الأزمات فإن الحفاظ على الأمن هو أولوية الدولة الأردنية بسبب التخوف من تسلل الجماعات الإرهابية، ونقل الصراع إلى داخل حدود الدولة، وهذا يجعل عملية التعامل مع الأزمة عملية متشابكة ومعقدة، وتتضارب فيها المعايير الإنسانية مع السياسية والأمنية.

-الاتجاهات السائدة نحو اللاجئين السوريين من قبل السكان الأصليين وبعض الجنسيات العربية الوافدة، والتي يمكن وصفها بالسلبية (عنيفة)، بسبب سلوك بعض اللاجئين السوريين، أو منافستهم على فرص العمل المحدودة، لقبولهم أجور أقل، وساعات عمل أطول، إضافة لاستحواذهم على المساعدات الخارجية والداخلية، فضلاً عن التغير الاجتماعي الذي ولد عدم تقبل لهم بالرغم من فتح الحدود

- لم يلتزم المجتمع الدولي، والمنظمات الإنسانية من الوفاء بالتزاماتها في دعم الأردن، أو اللاجئين السوريين لمواجهة الأزمة لحين انتهاء أسبابها، حيث كانت دور تلك الجهات متواضع جداً، وهذا يتفق مع دراسة فرانسيس، ٢٠١٥، والمجلس الإقتصادي ٢٠١٢ اللتان أشارتا ان مجموع ما قدمه المجتمع الدولي لدعم اللاجئين السوريين في الأردن فقط ١٩% من الكلفة الواجب توفرها للقيام بأعمال الإغاثة والرعاية في المجالات المختلفة

وفي ضوء النتائج تتقدم الدراسة بعض التوصيات:

- أن تقوم الجهات الدولية بمسؤولياتها بتقديم الدعم المباشر للأردن ليتمكن من القيام بمهامه تجاه اللاجئين، أو الدعم غير المباشر للمشروعات الاقتصادية والخدمات، لتلبية احتياجات اللاجئين في كافة القطاعات من عوائد تلك المشروعات، وتحقيق التنمية المستدامة في الدولة.

- أن يتم تقديم تعويضات للأردن، واستثمارها في قطاعات البيئة والصحة، مقابل ما تعرضت له البيئة

(المياه، النفايات الصلبة، وغيرها)، وهذا بتوافق إلى حد كبير مع نتائج معظم الدراسات (فرانسيس، ٢٠١٥، والعضايلة، ٢٠١٨، والغرايبة، الشعراوي، ٢٠١٦، وسميران ٢٠١٤، الحربات، ٢٠١٦ ومنظمة العمل الدولية ٢٠١٥، والوزني، ٢٠١٢، والمجلس الاقتصادي الأردني ٢٠١٢)، كما تتفق أيضاً مع دراسة العثمانة، وآخرون، ٢٠١٦ (لم يرد ذكرها في الدراسات السابقة) حول تصورات الأردنيين نحو تبعات اللجوء السوري، حيث إذ أن جل الدراسات التي تناولت اللجوء السوري ركزت على الآثار الاقتصادية والاجتماعية، وحتى عند تناولها لآثار اللجوء على البيئة، فقد ربطت ذلك بالكلفة الاقتصادية لتلك الآثار.

تحمل الأردن العبء الأكبر من كلفة اللجوء، بالرغم من معاناته الإقتصادية، وقلة موارده، وعدم توقيعه على اتفاقية جنيف ١٩٥١م الخاصة باللاجئين، حيث تحمل الأردن نسبة ٨٠% كلفة اللجوء، وهذا يتفق مع دراسة المجلس الاقتصادي والاجتماعي الأردني ٢٠١٢م، وفرانسيس ٢٠١٥م.

الطبيعية والبشرية من تدهور حاد نتيجة اللجوء السوري.

- أن تقوم المنظمات البيئية الدولية والإقليمية والمحلية، بتوعية اللاجئين، والسكان الأصليين بالمشكلات البيئية الناجمة عن اللجوء، وتدريبهم على كيفية التعامل الصحيح مع الموارد والمشكلات البيئية، وإنشاء المشروعات التي تكفل حماية الموارد البيئية واستدامتها.

- أن تقوم المؤسسات التعليمية، والمراكز البحثية في إجراء دراسات متخصصة لقياس الآثار البيئية للجوء السوري على الأردن، وتقديمها للجهات المانحة للأخذ بنتائجها وتطبيقها، لضمان سلامة البيئة في المناطق المستهدفة مخيمات اللجوء بشكل خاص).

- أن تقوم المؤسسات والمنظمات المحلية العاملة في مجال البيئة بمخاطبة المجتمع الدولي، وحثه لإيجاد حلول سريعة للأزمة السورية، وتشكيل لجان دولية تتولى تسهيل إعادة اللاجئين السوريين إلى بلادهم، مما يساهم في الجزء الأكبر من حل

المشكلات البيئية الكبيرة التي لحقت بالأنظمة البيئية المختلفة في الأردن.

الهوامش:

(١)الدمنهوري، محمدسعيد، البيئة والمجتمع، ط١، دار الإعتصام للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤م.

(٢)الربع، فؤاد، البيئة وإشكاليات الهجرة واللجوء، شاهد برس (وكالة إخبارية)، ٨/كانون ٢٠١٦م.

(٣)عامر، عادل، مفهوم التهجير القسري في القانون الدولي العام، موقع ديوان العرب (<http://diwanalarab.com>)، ٢٠١٤م.

(٤)خضر، مجد، الفرق بين الهجرة واللجوء، الموسوعة العربية، ٢٠١٦م.

(٥)المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، ماهي اتفاقية عام ١٩٥١ الخاصة بوضع اللاجئين، ٢٠١١م.

(٦)الدمنهوري، محمدسعيد، البيئة والمجتمع، ط١، دار الإعتصام للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٤م.

(٧)العضايلة، لبنى والمهيرات، رايه مرزوق، اللجوء السوري وأثره على الأمن المجتمعي من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين في مخيم الزعتري، المؤتمر الدولي الثالث: اللجوء في الشرق الأوسط: الفرص والتحديات، ص١٥٤-١٨٧، (تحرير: فواز المومني، ومحمد الحوامده)، ٢٠١٨م.

(٨)الشعراوي، طارق إسماعيل، الوضع العام في الأردن في ظل اللجوء السوري، مركز البرق للأبحاث والدراسات، ٢٠١٦م.

(١٩) خضر، مجد، الفرق بين الهجرة واللاجء، الموسوعة العربية، ٢٠١٧.

(٢٠) حرزالله، شيراز، تعريف الهجرة، ٢٠١٦، <http://mawdoo3.com>.

(٢١) تلولو، نبيل، ٢٠٠٣، المرجع السابق.

(٢٢) محمد، أحمد، اللجوء الإنساني، ٢٠١٧، المرجع السابق.

(٢٣) الأمم المتحدة، النازحون السوريون في لبنان، الأردن، تركيا، العراق ومصر، مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية.

(٢٤) الجبور، أحمد فليح، ٢٠١٠، المرجع السابق.

(٢٥) الأمم المتحدة، ٢٠١٥، المرجع السابق.

(٢٦) محمد، أحمد، ٢٠١٧، المرجع السابق.

(٢٧) المجلس الإقتصادي والإجتماعي الأردني، ٢٠١٢، المرجع السابق.

(٢٨) الأمم المتحدة، ٢٠١٥، المرجع السابق.

(٢٩) كنزة، فيني، الهجرة البيئية بين الأبعاد الإنسانية والتداعيات الأمنية في أفريقيا: دارفور نموذجاً، المركز العربي الديمقراطي للدراسات الاستراتيجية والإقتصادية، ٢٠١٧.

(٣٠) النصور إيداد، اللجوء السوري والإقتصاد الأردني، سرايا: وكالة إخبارية، ٢٠١٣.

(٣١) العضيلة، لبنى والمهيرات، رايه مرزوق، المرجع السابق، ٢٠١٨.

(٣٢) فرانسيس، الكساندرا، المرجع السابق، ٢٠١٥.

(٣٣) المجلس الإقتصادي والإجتماعي الأردني، ٢٠١٢، المرجع السابق.

(٣٤) سميران، محمد علي وسميران، مفلح علي، ٢٠١٤، المرجع السابق.

(٩) الحرات، ريمه سالم، مشاركة المجتمع المدني المحلي في مواجهة أزمة اللاجئين في الأردن، جامعة الإسراء، ٢٠١٦م.

(١٠) غرايبة، آلاء إبراهيم، أثر اللجوء السوري على موارد النظام التربوي المادية والمالية في وزارة التربية والتعليم من وجهة نظر القادة التربويين، مؤتمر الإغاثة والقانون الدولي: واقع وتطلعات (المؤتمر الدولي لكلية الشريعة والقانون)، جامعة آل البيت، ٢٠١٤.

(١١) فرانسيس، الكساندرا، أزمة اللاجئين في الأردن، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، الأوسط، بيروت، ٢٠١٥.

(١٢) منظمة العمل الدولية، آثار تدفق اللاجئين السوريين إلى سوق العمل الأردني ٢٠١٥م.

(١٣) سميران، محمد علي وسميران، مفلح علي، اللجوء السوري وأثره على الأردن، مؤتمر الإغاثة والقانون الدولي: واقع وتطلعات (المؤتمر الدولي لكلية الشريعة والقانون)، جامعة آل البيت، ٢٠١٤.

(١٤) الوزني، خالد، أثر اللجوء السوري على الأردن، <http://ammannet.net>، أيار ٢٠١٤.

(١٥) المجلس الإقتصادي والإجتماعي الأردني، الآثار الإقتصادية والإجتماعية للأزمة السورية، ٢٠١٢م.

(١٦) الجبور، أحمد فليح، التنظيم القانوني للجوء على الصعيدين الدولي والوطني، رسالة ماجستير، جامعة الإسراء، ٢٠١٠.

(١٧) تلولو، نبيل، هجرة بني البشر: أسبابها، وأشكالها، ونتائجها، مجلة الباحثون، عدد ٢٨٥، ٢٠٠٣.

(١٨) محمد، أحمد، اللجوء الإنساني، الموسوعة العربية، ٢٠١٧.

(٤٥) الشلبي، جمال، أثر اللجوء السوري على الحدود الشمالية على المن القومي الأردني، مجلة دفا تر السياسة، ٧- حزيران ٢٠١٧.

(٤٦) العمري، عمر، وصوالحة، إسلام، ٢٠١٦م، المرجع نفسه.

(٤٧) العمري، عمر، وصوالحة، إسلام، ٢٠١٦م، المرجع نفسه.

(٤٨) سميران، محمد علي وسميران، مفلح علي، ٢٠١٤، المرجع السابق.

(٤٩). السعد، علي، عبء اللاجئين على النظام الصحي، المؤتمر الدولي الثالث: اللجوء في الشرق الأوسط: الفرص والتحديات، ص٧٧-٩٣ (تحرير: فواز المومني، ومحمد الحوامده)، ٢٠١٨م.

(٥٠) المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، ماهي اتفاقية عام ١٩٥١ الخاصة بوضع اللاجئين، ٢٠١١.

(٣٥) الفارس، إيمان، اللجوء السوري يضغط على قطاع المياه الأردني، جريدة الغد الأردنية، نيسان ٢٠١٧/.

(٣٦) بني خالد، خلدون، مواطنون يتحدثون عن تلوث المياه الجوفية في الزعتري، جريدة الغد الأردنية، شباط ٢٠١٧/.

(٣٧) العدوان، وصفي عبدالرحمن، أزمة اللجوء السوري وأثره على الأردن، المؤتمر الدولي الثالث: اللجوء في الشرق الأوسط: الفرص والتحديات، ص (تحرير: فواز المومني، ومحمد الحوامده)، ٢٠١٨.

(٣٨) حمدان، صدقي سمير، دواس، مها، أثر الهجرة القسرية على القطاعات الاقتصادية والإجتماعية في الأردن (دائرة الإحصاءات العامة)، المؤتمر الدولي الثالث: اللجوء في الشرق الأوسط: الفرص والتحديات، (تحرير: فواز المومني، ومحمد الحوامده)، ٢٠١٨.

(٣٩) العدوان، وصفي، ٢٠١٨، المرجع السابق.

(٤٠) فرانسيس، الكساندرا، المرجع السابق، ٢٠١٥.

(٤١) العمري، عمر، وصوالحة، إسلام، ٢٠١٦، تكلفة استضافة اللاجئين في الأردن، وكالة صح خبرك: <http://www.sahekhbarak.com>

(٤٢) العمري، عمر، وصوالحة، إسلام، ٢٠١٦، المرجع نفسه.

(٤٣) سميران، محمد علي وسميران، مفلح علي، ٢٠١٤، المرجع السابق.

(٤٤) العضيلة، لبنى والمهيرات، رايه مرزوق، المرجع السابق، ٢٠١٨.



The World Islamic Sciences and
Education University (W.I.S.E)

Al-Mishkat

For Humanities & Social Studies

An International Research and Refereed Journal

Volume (6), Number (2), Muharam1441, September 2019

The views and ideas expressed in the articles published in this journal are of their own authors and do not reflect the views of the editorial board or the World Islamic science and Education University or the policies of the Ministry of Higher Education and Scientific Research.

ISSN 2311-0538

المشكاة



All Correspondence Concerning this Journal should be addressed to:

Editor in Chief
Deanship of Academic Research
The World Islamic Sciences and Education University (W.I.S.E)
Amman- Jordan
P.O. Box: (1101), Post Code (11947)

Tel: 00962 6 5600230, Ext. 2012, Fax: 00962 6 5600237

Email: al_mishkat.journal@wise.edu.jo

Website: www.wise.edu.jo

Al- Mishkat

For Humanities & Social Studies

An International Research and Refereed Journal

Volume (6), Number (2), Muharam1441, September 2019

Editor in Chief

Prof. Hanaa al-huniti

Editorial Staff

Prof. waleed Awajn	The World Islamic Science & Education University
Prof. Issa Qwader	AL-Hussien Bin Talal University
Prof. Yaser al-hourani	The World Islamic Science & Education University
Prof. Mohammed Bani Salameh	The World Islamic Science & Education University
Prof. Saleem Hatameh	The World Islamic Science & Education University
Dr. Mubarak Tarawneh	The World Islamic Science & Education University
Dr. Abd alraouf Banyesa	Arab Open University

Advisory Editorial Board

Prof. Sameer al-Droubi	Mu'tah University
Prof. Abd El Kareem Khaleefah	The Jordan Arabic Language Academy
Prof. Afeef Abd ElRahman	Former Editor
Prof. Ali Tawfeeq al-Hamad	Yarmouk University
Prof. Yahya Ateyah Ababneh	Mu'tah University

English Language Editor

Dr. Jbreel AlSaoude



Journal Secretary
& Designer

Arabic Language Editor

Dr. Atef Dweakat

Shaimaa Khasawneh